من
همس المناجاة
وحديث الخاطر

(٣)

رجائي عطية

المكتب المصري الحديث
www.almaktabalmasry.com

جميع حقوق الطبع والنسخ والنشر محفوظة

الطبعة الأولى ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

عطية ، رجائي .

من همس المناجاة وحديث الخاطر / رجائي عطية .ـــ ط١

ـــ القاهرة : المكتب المصرى الحديث، ٢٠١٤. مج ٣،

٣٢٠ ص؛ ٢٠ سم .

تدمك ٩ ٢٤٩ ٢٠٩ ٩٧٧ ٩٧٨

١- التصوف الاسلامي - المقالات العربية - مجموعات

٢- الفلسفة الاسلامية

أ - العنوان

٨١٤,٠٠٨

رقم الايداع ٢٢٤٦ / ٢٠١٤ بتاريخ ٢٠١٤/١/٨

لا يجوز إعادة نسخ أو طبع أو نشر هذا الكتاب أو أى جزء منه بأى طريقة كانت ميكانيكية أو إلكترونية أو التصوير أو التسجيل أو البث عن طريق الشبكات الإلكترونية أو غيرها إلا بموافقة المؤلف على ذلك كتابة ومقدمًا

المكتب المصرى الحديث

may642003@yahoo.com

www. almaktabalmasry. com

القاهرة : ٢ شارع شريف عمارة اللواء ت: ٢٣٩٣٤١٢٧

الإسكندرية : ٧ شارع نوبار المنشية ت: ٤٨٤٦٦٠٢

تقديـــم

هذه نبضات وسبحات ، بعضها حصاد تـأمل شخصى ، وأخرى من فيوض حكم وتأمـلات صادفتنى ، فامتزج فى ذلك همس المناجـاة مـع حديث الخاطر .

رجائى عطية

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٠١)

• فضائل الإنسان العظيمة، كلها نبت لخيال الآدمى .. لولاه ما عرفها البشر .. ولولا هذا الخيال الذى جذب أفذاذًا فركبوا الصعب وكرسوا العمر وثابروا وقاوموا وصبروا، ما عرف تاريخ البشر قيمة ومكانة وجدوى وكرامة الإخلاص والصدق والاستقامة والشجاعة والمثابرة والبطولة والوفاء والتضحية والإيمان. فالآدمى مركب بالغ الدقة والإحكام والإتقان من « وقود» و« تصور» يتبادلان الخدمة آلاف ألوف المرات ليملأ عمر الآدمى الحى بالخير والشر والرحمة والقسوة والمحبة والبغضاء والإقدام والإحجام والشجاعة والجبن والاجتهاد والكسل والأمل واليأس .. من خليط هذا كله، وإرادة الآدمى، يسطر صفحات حياته .. ونحن من أسف ننسى دائمًا معظم أيامنا أننا هذا « المركب » بالغ الإتقان والدقة، ونتصور بل نعتقد ـ مغامرين مخدوعين خادعين لأنفسنا ـ أننا أصل وأول وبداية وأساس هذا الكون !!

• قيل إن الإنسان إذا انتبه من النوم فباطنه عائد إلى طهارة الفطرة، فينبغى عليه ألا يدع هذا الباطن يتغير بغير ذكر الله تعالى حتى لا يذهب عنه نور الفطرة الذى انتبه عليه ويكون فارًا إلى ربه بباطنه طلبًا للنفحات الإلهية .

• قال الصوفى أبو سليمان الدارانى : « أهل الليل فى ليلهم أشد لذة من أهل الهوى فى ليلهم» . وقال بعضهم : « ليس فى الدنيا شيء يشبه نعيم الجنة إلاَّ ما يجده أهل الذكر فى قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة »

❁ ❁ ❁

• الخيال قطعة من وعى الآدمى لا تفارقه إلى أن يرحل، وهى فى ذاكرته تلازمه ما بقى فى الدنيا، سواء فى وعيه لدنياه أو وعيه لأخراه، أو فيما يسميه اليقظة أو النوم، والحق أو الباطل، والخير أو الشر، والفضيلة أو الرذيلة، والصواب أو الخطأ .. فالخيال جزء لا يتجزأ من طبيعتنا يتطور مع تطورنا وتقدمنا ورقينا ـ ويتدهور مع تراجعنا وتخلفنا ومع تدهور أفكارنا وتصوراتنا وانحطاط عاداتنا وسلوكياتنا ومشاربنا !

• صلة الإنسان العادى بالمعارف والعلوم الوضعية أقوى بكثير مما يظن .. لأنها تملأ حياته اليومية بفضل الصناعة والتجارة والغذاء والكساء والمأوى والنقل والاتصال والتطبيب والترفيه والرياضة ... إلخ، ومن محال المحال أن يستغنى الآدمى عن ذلك كله ليعود إلى ما كان عليه آباؤه وأجداده من بساطة العيش فى الزمن الغابر !.. فهذا، وإن تصورته قلة لا ترحب بهذه التقنيات فعلاً وواقعًا وعلى الدوام ـ إلا أن مصير الكل ـ كثرة وقلة أيضًا ! ـ هو الاعتراف وحتمية الاعتراف بهذا الواقع قولاً وعملاً، واحترامه باحترام ما فيه من العقل والجد والإخلاص والتراحم..

• من أوابد عباس العقاد : إذا أحبك الناس مخدوعين فلا تفرح ؛ وإذا كرهك الناس مخدوعين فلا تحزن ؛ بعض الكراهات خير لك من بعض المحبات !!!!!!!!!!!!

❁ ❁ ❁

- مصير الآدمى كله احتمالات ـ كحياته ذاتها ـ تتردد بين النجاح والفشل، والتقدم والتخلف، وهذا التردد أو التراوح بين هذه وتلك يستحيل أن تغيره جرأة الآدمى أحيانًا، أو قدرته على المخاطرة والمغامرة، أو مبالغته فى الاعتزاز بذاته والتخيل تارة، وفى الاستكانة والخوف والتسليم والخمول تارة أخرى .. ينسى معظمنا أكثر الوقت أن «وجود» كل منا مرحلى فقط، وأن بقاءه واستمراره وفلاحه نوعيًا معلق به .. فكل فرد منا يكتتب بسلوكه واختياراته، فى مصيره هو ومصير آخرين معروفين وغير معروفين له .. وهو لا يعرف ولا يمكنه أن يعرف متى وأين تتوقف أو تبلغ مداها نتائج أعماله أو مجازفاته فى هذا الكون الهائل الذى سبق ويلى وجودنا بآماد بعيدة !
- قال بعض الصوفية : الصادق المريد إذا خلا فى ليله بمناجاة ربه انتشرت أنوار ليله على جميع أجزاء نهاره، لامتلاء قلبه بالأنوار.
- قال بعض الصوفية : من حرم قيام الليل كسلاً وفتورًا فى العزيمة، أو تهاونًا به لقلة العناية بذلك، فقد قطع عليه طريق كبير من الخير .
- قال بعض الصوفية : كل قلب يشتغل بالثواب عن خدمة الآمر عز وجل، فهو أجير وليس بعبد، وإنما يعمل على الأجر عبيد النفوس، ومن أخذه تعظيم حرمة الآمر ـ جل شأنه ـ لا يلتفت إلى الثواب وإنما يستغرقه تعظيم ربه ـ عز وجل .

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(٢٠٢)

• ينشغل الآدمى باستمرار بالنظر والتأمل، فى الأحياء والأموات، يعمم ويعين ويخصص ويفرد، فى الأشياء المحسوسة وغير المحسوسة، فى عمليات ذهنية وشعورية تجرى بالتوازى مع عمليات بلا حصر تقابلها وتسايرها فى عواطفه وعقله وأفعاله وردود أفعاله، ومن حصاد هذا كله يزود الآدميون ثم يعودون فيختزلون حصيلة أعمارهم من الميول والعادات والاتجاهات والأفكار والأحكام والمصدقات الإيجابية أو السلبية مما لا حصر له ولا حد لتنوعه !

• أشر صور سقوط الآدمى فى الحيوانية، تصنيف بعض الآدميين تصنيفًا ينزل بهم إلى ما دون الكائنات الأخرى اعتمادًا على فروق جنسية أو لونية أو دينية أو حضارية أو نوعية أو غير ذلك مما اعتاد الناس أن يفرقوا به بين الإنسان والإنسان، ثم يبالغوا ويغالوا فيسلكوا هؤلاء الآخرين فى مسالك ينزلون بهم فيها عن مستوى الإنسان إلى دونية الحيوان، ويستبيحون استخلاصًا من هذا « الترفع »« المتعالى » أن يعاملوهم بأدنى مما يعامل به الحيوان فى بيوت السراة والأغنياء فى المجتمعات الثرية .. ويستهينون بحيواتهم ولا يعطونها ما تعطاه حياة الحيوان من اهتمام ورعاية ورأفة لدى هؤلاء المترفعين المتعالين !!

• إلى الأصدقاء الذين يطالبون بالتقدم لعرض الذات أقول لهم إن المحب لمصر يستطيع أن يبذل لها عصارة ذاته دون أن يعرض نفسه ويدخل فى زمرة المتسابقين على الاستعراض. وها أنتم ترون مواكب المتسابقين

للظهور وقامات هزيلة بلا علم ولا دراية ولا خبرة ولا كفاءة تجترئ على عرض نفسها لرئاسة مصر. إننا لا نحتاج الآن إلى متسابقين جدد بقدر ما نحتاج لمن يضربون المثل على أن الوطني الحق يبذل نفسه وعصارته من أجل مصر فى صمت و وقار دون سعى إلى منصب أو استعراض، دعونا نضرب المثل للمتزاحمين بالمشهد على التجرد فى حب مصر .

- من أقوال بشر الحافى فى فضل الصوم :

« إن الجوع يصفى الفؤاد ويميت الهوى ويورث العلم الدفين » .

- لا تسال المجنون لماذا لا يستعمل عقله ؟!!!!!!!!!!!!!

❁ ❁ ❁

- ما يسمونه « عمى القلوب » ـ وسوء الاختيارات وشدة العناد والتعصب والحماقة ـ ليس إلا اختلالاً فى اتزان خيال الآدمى وذاكرته من جهة نظامها وترتيبها وتقديمها وتأخيرها .. ولم يعرف الآدميون، وإلى يومنا هذا، كيف يمنع هذا الاختلال، بيد أنه من الملاحظ أن شرائح من عامة وخاصة الناس لا تزال غارقة إلى الأذقان فى السطحية والكسل والنزوات، ولوعة ما أمكنها بإقناع النفس الاصطلاحات(الكليشيهات) التى لا أول لها ولا آخر وبطنينها وتأثيرها فى المشاعر، بينما لا تبالى بثمرات الفهم والفطنة والبصيرة والخبرة اللازمة لمسايرة واقع دنيانا فى نفعه لنا وتحسين هذا النفع ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً ...

- يا لتفاخر الناس حتى في الموت الذين يشيعون ذائقيه بالألقاب والدرجات، أرجو حين يأتي أجلي ـ وهو آت لا محالة ـ أن يكون النعي: « توفي راجعًا إلى رحاب ربه، محمد رجائي عطية، ولد لأبوين كما ولد

الناس، وتزوج كما تزوج معظم الناس، وأعقب ذرية كما أعقب كثير من الناس، واجتهد على قدر وسعه، فأصاب وأخطأ، وأحسن وأساء، ولكنه يرجو عفو من أساء إليه، ويرجو غفران ربه، ويأمل أن يجود عليه من يشاء بقراءة الفاتحة ليودع بها دنياه ويستقبل آخرته، وسبحان من له الدوام !

• اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا وأخرجنا من وهدة ما نحن فيه وأصلح ما اعوج من أمورنا وخذ بيدنا لنرجع إلى الرشد والصواب .. يا رب .

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٠٣)

- يبدو أن خيالنا حاضر وراء ما نشعر به أحيانًا من ثبات وثقة، كما هو حاضر وراء ما يعترى شعورنا من قلق أو يأس، وهو يمازج أفراحنا وأحزاننا، ومرحنا وكآبتنا، وتقاربنا وتباعدنا، وإقدامنا وإحجامنا، وشجاعتنا ونكوصنا أو جبننا ـ لأنه، فيما يبدو للمتأمل، جزء من الذات نفسها لا يفارقها ما بقيت حية . لذلك يجب ألاّ نستهزئ أو نستهين بدور « الخيال » الضخم فى توجيه عواطفنا وعقولنا إلى كل ما نحبه ونكرهه، ونحرص عليه ونهمله، ونعرفه ونجهله، ونقبله ونرفضه، ونختاره ونطمع فيه ونشتهيه أو نزدريه !
- اللهم احفظ مصر وشعبها من الكذابين والمضللين والمهيجين والمنافقين ومشعلى الفتن .. يارب .
- ثورة يناير ٢٠١١ حجبت بفعل فاعل، في غياب قيادة لها تنظم خطاها وتحميها من المنقضين عليها ومن الساعين لسرقتها للاتشاح بها لتنفيذ أغراضهم لا الغايات التى قامت من أجلها ـ والنخبة اكتفت بالبكاء على اللبن المسكوب أو بأحاديث الغرف المغلقة وتفرق بعضها في أحزاب كرتونية مشغولة بحب الظهور والبحث عن أي دور، والأحزاب القديمة ضعيفة أصلاً وخرجت في ظروف معاكسة وتعرضت لضربات إجهاضية فتراجعت طموحاتها وانكفأت على أغراض صغيرة ودخل بعضها في صفقات مع النظام السابق فلما سقط طفقوا يبحثون عن توافق أو صفقة مع البديل الموجود أو الراجح قدومه، ووسط هذا المشهد

المتشرذم تقدم المنظمون الجاهزون ولكن بأهدافهم الخاصة، ولأن الشعب منضوٍ من قديم في أغلبيته الصامتة التى ازداد صمتها إزاء ارتباك المشهد، فإن الجميع ادعوا تمثيله واستباحوا الحديث باسمه مع أنهم أطياف لا تجتمع على هدف واحد حتى يعزى أو ينسب إلى الشعب . تسألنى سؤالاً وجيهًا هو مربط الفرس : ما هو السبيل ليمارس الشعب حقوقه ؟ تكمن الصعوبة في أن الشعب يحتاج إلى قيادة تتوحد حركته وراءها، وهذا حكم الواقع ودرس التاريخ : طبعًا دعك من المتزاحمين إياهم على الساحة فهم أس البلاء ولا رجاء بداهة فيهم ! ـ ما الحل ومن لنا بمثل مصطفى كامل ؟ ظنى أن السبيل الوحيد هو أن يعود الشباب إلى أحضان ثورتهم وأن ينبذوا الفرقة التى دعتهم إلى تشكيل أحزاب تعددت أخذت منهم ولم تعطهم وهم بعون الله لن يعجزوا ـ إذا نبذوا حب الزعامة ـ عن أن يفرزوا أو يهتدوا إلى شخصية متجردة تجمع الإخلاص والخبرة والحكمة والريادة ليستكملوا مع الشعب مسيرة الثورة .

- من عرف الله تعالى ؛ صفا له العيش، وطابت له الحياة، وهابه كل شيء، وذهب عنه الخوف من المخلوقين، وأنس بالله تعالى .

❁ ❁ ❁

- إننا جميعًا فى قبضة خيال كل منا ما حيينا .. لا يفارقنا هذا الخيال لحظة قيامنا وقعودنا، وفهمنا وغبائنا، وعلمنا وجهلنا، ورشدنا وحماقتنا .. مثلما لم نفارق قط كل ما تعبر به وعنه لغاتنا وإشاراتنا واصطلاحاتنا دينية أو علمية أو فنية أو أدبية .. وكثيرًا جدًا ما يتشابه خيال كل منا بخيال غيره ممن حوله فى هذا الموضوع أو ذاك، لكنه لا يطابقه قط لاختلاف « ذواتنا » باختلاف المكونات الضرورية التى تميز« الذات » تمييزًا دائمًا عن الآخرين!

- بالقطع مصر لها أعداء نتمنى زوالهم وبقاء مصر؛ ولكن .. لكل مقام مقال ؛ والذين قتلوا الشهداء فى بورسعيد مصريون من أبناء مصر وليسوا من

الأعداء؛ فما دخل أعداء مصر فى هذه الكارثة المروعة التى قارفها مصريون أهدروا فيها دماء مصريين أبرياء قتلوهم بلا ذنب ولا جريرة ..إن هذا الخلط الضرير للأوراق والحول فى النظر إلى الأمور هو الذى أخذنا ويأخذنا إلى الضياع !!

• هناك فوارق يجب أن تكون واضحة ويجري الاتفاق عليها والتزام جميع الأطراف بحدودها . الفارق الأول : هو بين التظاهر وبين استعراض القوى، التظاهر حق مشروع للتعبير عن رأى أو مطالب، تتحقق غايته بالتعبير السلمي وهو لا يحتاج إلى عنف أو قوة أو ترويع أو استعراض أو تهديد، أما استعراض القوى فهو يجاوز غاية التعبير المشروع إلى قصد الجبر والإرغام والفرض بالتهديد السافر أو المستتر باستعراض القوى للترويع بإمكان استخدامها وهو يخرج بذلك عن مشروعية التظاهر وغايته، والفارق الثانى : هو بين التظاهر وبين الاعتصام الذى يعسكر في مكان محدد لمدة غير محدودة فيمثل تعديًا غير مشروع على الدومين العام وحقوق الأغيار من المواطنين المتعلقة بالمكان أو بسير المواصلات والمرافق العامة . ولهذه الفوارق المهمة توضع الضوابط لبيان الحدود بين المحظور والمباح وبين الحق المشروع وبين التعدى الذى يهدد ويضر بمصير الأوطان والعباد !!! ـ

ألا هل بلغت .. اللهم فاشهد .

• لا مهابة ولا كرامة لمن لم يحترم الجدير باحترامه .

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٠٤)

- ينشغل الآدمى الطبيعى طوال حياته بتحقيق طموحاته، وبطلب الرفعة أو التقدم أو الارتفاع أو الصدارة أو المجد .. تمضى به رحلة الحياة عبر محطات أو مراحل، ولكن عينه لا تكف عن رصد أهدافه والتطلع إلى غاياته، مثلما لا يكف سعيه ومناهدته من أجل تحقيق ما يتمناه أو يرجوه أو يرى أنه جدير به خليق بإمكانياته ومواهبه وملكاته وقدراته .. سعى الآدمى وجريه وربما لهاثه وراء طموحاته، سعى لا ينى ولا يهدأ ويكاد يكون شاغل معظم الناس إلا من انسلت من تيار الحياة أو تطلعاتها إما لتحليق روحانى صوفى أو نظر فلسفى خاص. وإما لعلل أو مثبطات أو عوائق أو موانع أو ما شابه، فرضت على الآدمى أن يقنع بما هو فيه، ويعتاده ويألفه، ويكف عن التطلع إلى المزيد .. يبقى الآدمى مشغولاً « بالقمة » أو « الذروة » التى يريد، فإذا بلغها ربما بحث عن قمه تالية أو قمة أخرى موازية، ولكن حاله بالتأكيد على القمة غير حاله قبل أن يبلغها، وما يصادفه ويلقاه ويواجهه وهو متربع عليها يختلف اختلافًا هائلاً عما صادفه وألفاه وكابده وواجهه فى صعوده أو ارتقائه إليها !
- إذا اكتمل القلب بنور ذكر الذات وصار بحرًا موَّاجًا من نَسَمات القرب، جرى فى جداول أخلاق النفس صفاءُ النعوت والصفات، وتحقق التخلق بأخلاق الله تعالى .

- قال بعض الصوفية : المعرفة توجب الحياء والتعظيم، كما أن التوحيد يوجب الرضا والتسليم .
- قيل فى العارف إنه أنس بذكر الله فأوحشه من خلقه، وافتقر إلى الله فأغناه عن خلقه، وذلّ لله تعالى فأعزّه فى خلقه .

❁ ❁ ❁

- يبدو أن تعلق الآدمى بذاته ـ ليس إلا تعلقه بوجوده هو .. وهو تعلق يشكل أعمق منابع خيال الآدمى التى تغذى ذاته بغير توقف، وتعينها على الوجود والبقاء إلى أمدها المقدور فى هذه الدنيا !
- لا يعيش الآدمى لحظة وعى ويقظة دون أن يشغلها خيال، لأن الشعور بحواسنا عاملة مجيبة مستجيبة، راغبة مريدة ـ هو نفس وعين شعورنا بأننا أحياء .. ملىء دائمًا بخيال واضح وحاضر لكل منا .. إذ الخيال هو الذى يعرض صور ما تنقله حواسنا إلى وعينا لكى يحتضنها على النحو الذى يسيغه .
- العادة كصندوق التوفير، تؤدى العمل المعتاد عليه دون أن تقتضى بذل المزيد من الجهد .
- القلق أشد على العقول والأجسام من الجهد . فالجهد توجيه للقوة إلى حيث يراد، ولكن القلق حيرة بلا وجهة .. لا يعرف إلى أين يتجه بصاحبه، وقد يستنفد قواه قبل أن يتحرك به قيد أنملة !!

❁ ❁ ❁

- غالبًا ما يصاحب طلاب القمم (غير الأدبية)، اهتمام أو التفات أو ربما إعجاب أو عبادة للذات .. وقد يصاحب هذا أو ذاك اقتناع أو« اعتقاد » بأنه « طبيبِ الملايين »، وأنه أجدر وأصلح الناس، وأقدرهم

على رصد وتحليل وحل مشاكل الناس أو أبناء المهنة أو الحرفة أو الإقليم أو الدائرة ـ وكثيرًا أو أحيانًا ما يخفى هذا الاقتناع أو الاعتقاد وهمًا لا يطابق الواقع ويدارى الرغبة أو الشهوة إلى التصدر والوجاهة وأحيانًا الركوب على رقاب الناس وتحصيل المجد !! وهذه غاية قد لا تستلزم كثير مجاهدة ومكابدة أو كبير عناء من دراسة وتحصيل وتجويد وفكر وإنتاج وإفراز، لذلك كان عشق المواقع « جامعة المنافع » و« حاصدة » الشهرة أو الصيت أو المكانة أو الصدارة أو الوجاهة والرفعة بلا كثير عناء !!!

- الجدران التى تقيمها حولك لتصد طعنات السهام ؛ تحجب عنك الضوء .. وتحجب عنك أيضًا عطور الحدائق !!!!!!!!!!!!!!!
- القداسة، كالجمال والحب، قيمة لا تمتحن بالأرقام والبراهين، وقداسة العقيدة مصدرها حكمة الوجود العليا، ولا مصدر لها من أرقام أو براهين .

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٠٥)

• عشق القمم والذرا يكاد يكون سمتًا مشتركًا لدى كثير من الناس ! .. يمضى الآدمى عمره فى مناضلة للوصول للقمة، ثم يفجأ مرتقى القمة ـ حين يبلغها ـ بأنها ليست بالصورة الوردية التى تخيلها وتمناها، وبأن أثقل ما يلازمها « الصقيع » الراقد هناك .. فضلاً عن القذائف والأحجار والسهام والطعنات التى تأتى من هنا وهناك .. على أن «صقيع» القمة، وحجم ومقدار ما فيها من صعاب، وما يلقاه المتبوئ لها من مناوشات أو طعان، وما قد يعانيه فيها من حصار، أو يكابده من صَغار النفوس الصغيرة، أو حسد المبغضين، أو غيرة المنافسين ـ كل ذلك، مع الوسائل المتاحة أو غير المتاحة لمواجهته ـ يختلف من قمة إلى أخرى ! .. فى القمم الأدبية المحضة، يتضاءل إن لم يتلاش « الصقيع » لأنها قمم لا تمارس فعاليات، ولا تمثل إلا قيمة أو مكانة أدبية رمزية، من اليسير أو القريب، من اليسير تلافى صغَار الحساد أو المنافسين أو المبغضين، بما يلقاه صاحب القمة من دفء القاعدة العريضة من أبناء المهنة أو الصناعة أو الحرفة أو النشاط الفكرى أو الأدبى .. فهؤلاء جميعًا يقدرون « المكانة » ويتطلعون إلى صاحبها ويحيطونه بالمحبات وبالإعجاب وبدفء المودات .. ما يتلقاه أصحاب القمم الأدبية كعمادة الأدب أو الشعر أو مشيخة المهنة أو الحرفة وما إلى ذلك من دفء مشاعر الأغلبية العريضة، يقيهم أو

على الأقل يخفف من « صقيع » القمة ولوازم هذا الصقيع أحيانًا من متاعب ومنافسات ومناوشات !!

• نشرت الصحف والمواقع أن حزب الحرية والعدالة ـ جناح الإخوان المسلمين، قد صرح بأنه لا مانع من منح أعضاء المجلس العسكرى حصانة من المحاكمة تكريمًا لهم وأن من حق المؤسسة العسكرية أن تتمتع بوضعية خاصة .

• ولا أخفى أنه ليس غريبًا هذه المنة الاستعلائية ما دام الغرور قد داخل النفوس.. والسؤال : من فوض القائل توزيع المنح نيابة عن شعب مصر؟! .. ومن الذى نسب إلى المجلس العسكرى ارتكاب ما يحتاج إلى منحهم من أجله حصانة من المحاكمة ؟!.. والمحاكمة على ماذا ؟! ..أم أن الحكاية صارت طق حنك ؟!!!!!!!!!!!!!!!!

❁ ❁ ❁

• أخطر وأثقل ما تلاقيه القمم السياسية، تلك التى تشد الناس وتعجب الناس ـ ذلك « الصقيع البارد » الكثيف الموجود هناك !! .. حياة «القمة» السياسية فى أى مكان، ليست الحياة الوردية المخملية، وليست أيام السعد والهناء، ولا هى أيام خلو البال ونعيم السلطان والسؤدد .. حياة وأيام « القمة » السياسية مليئة بالأشواك والصعاب .. حافلة بالقيود والمنغصات .. أصعب وأثقل ما فيها على النفس الآدمية هذا « الصقيع » النابع من « الوحدة » المفروضة التى تقيد « الحركة » وتحرم مما يمارسه الناس فى ذهابهم وإيابهم، وحلهم وترحالهم، وأنديتهم ومحافلهم، وشوارعهم ومتنزهاتهم، علاقاتهم ومحباتهم، صداقاتهم وأواصرهم !!

• العاقل من يعرف أن أعماله ترد إليه ؛ وأن ما يحصل عليه هو الذى فى الأصل قد أعطاه !!!

• مهما اشتدت الحيرة، فلا تخلو من خيار .. وهى قد تسمح للحائر بالمجازفة أملاً فى نتيجة يرجوها، وقد يؤثر القعود ولسان المتابع يقول له : يفوز باللذة الجسور !!!!

❁ ❁ ❁

• ليست وردية، ولا هى مخملية .. دائرة القمة، وإنما هى معاناة وتيقظ وانتباه ومكابدة وانشغال بهموم ومشاكل بالغة التنوع والتركيب والتعقيد، وانشغال دائم بمغالبة « الصقيع » هناك ـ رغم الحواجز أو القناطر والسدود ـ للالتحام بالقاعدة التحاقًا حيًا فاعلاً يبقى ويحفظ ويثرى القدرة على رصد وجيب القلوب ونبضات وآمال الناس .

• حماقة كبرى أن يستهين أى آدمى عاقل بوجود الخيال ودوره الأساسى فى حياة كل منا، خاصة فى حياته العاقلة، لأن خياله ملازم ومساير لعقله فى قوته وضعفه ـ إذا توقف الخيال توقف العقل تمامًا، وفقد الآدمى إدراكه، وإذا تطرق الخلل أو الخبل إلى جزء من عقل الإنسان تأثر خياله حتمًا تأثرًا شديدًا لافتًا للأنظار !

• لا يملك أحد الحديث باسم الإسلام . الإسلام أكبر من أن يحتويه أحد أو أن يحتكر لنفسه سلطة تفسير الإسلام . الإسلام دين لا يعرف ولا يقبل الكهانة !

• فرق بين البلادة والحلم .. فالذى لا يغضب لما يمس كرامته، بليد وليس بحليم .. وإنما الحلم يكون ممن يستطيع أن يملك نفسه عند الغضب مما يغضب، ويخشى أن يظلم بغضبه ما يخشاه على نفسه، إن تعرض للظلم !

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٠٦)

• تطورت أعراف وعادات عموم الناس فى بلادنا العربية، منذ بزوغ الإسلام مرات ليس لها حصر فى كل مناحى حياة الآدمى، ولم يبق معنا الآن من مألوف وعادات وأساليب وحركات وسكنات وحاجات وواجبات ولياقات وموافقات ومسموحات ومحظورات ومكروهات ومشبوهات مما كان موجودًا فى ذلك الزمن البعيد إلاّ نزر يسير، من العجيب أنه انحصر فى دوائر محددة لا يتفق الجمود الحادث فيها مع مساحة وحجم ونوع التطورات التى لم يكن منها بد !

• انعقد لسانى وأصابنى الغم واقتحمنى تشاؤم مر وأنا أتابع ما يجرى وينتابنى سؤال مر وموجع: هل هكذا ستكون عملية التشريع فى مصر؟!

• احتمال التبعة والقدرة على المعاونة، هما أعلى ما ترتفع إليه أخلاق وطبائع الشعوب .

❁ ❁ ❁

• من اللافت أنه مع التطور الهائل لا يزال المسلمون غارقين فى شكليات الأزياء دون أن يلتفتوا إلى ما كان فى ذلك الزمن البعيد من ظروف وملابسات، ولا إلى ما طرأ على الدنيا وعليهم من تغيرات . فى القرآن المجيد النساء مأمورات بغض الأبصار .. كان هذا هو السلوك الحسن بين العاقلات، إذ كانت النظرات المبداة من الناس مخلوطة بالشهوات نادرًا ما تبرأ منها، أما ما تزينت به المرأة عادة من حلى أو كحل أو خضاب مما كان ظاهرًا على الدوام كالخاتم ونحوه ـ فلم يكن هناك بأس من إبدائه، وذكر الكتاب المجيد مواقع الزينة الظاهرة وسامح فيها . أما لماذا سامح مطلقًا فى

الزينة الظاهرة فلأن سترها فيه حرج لمعظم الناس وقتئذ، وهذا معنى قوله تعالى : « إلا ما ظهر منها » يقصد الزينة الظاهرة عادة، إذ المرأة لم تجد بدًا فى ذلك الزمان من مزاولة الأشياء بيديها دون الحاجة إلى كشف وجهها والمشى فى الطرقات، ولأن به جرت العادة ـ فإنه لم يكن يثير شهوة ولا يستلزم من ثم سترًا !

- فارق بين الثبات والعناد ؛ فالثبات إصرار واع ومدرك، يثبت صاحبه على رأيه ما لم يظهر له ما ينقضه أو يدعوه للتحول عنه، أما العناد فهو إصرار بغير سبب وتصلب ضرير لا يقبل المراجعة أو المناقشة!!
- الحب فى فيضانه يغمر ويخفى الكثير من المساوئ والسيئات .

❁ ❁ ❁

- ليس فى وسع أحد أن يبيع الواقع الفعلى الحضارى الحى الواعد بالهروب إلى الأحلام والأوهام ومرارات الانتكاس ! .. هذا إلى أن « الردة » إلى « الفراغ » معناها زيادة رقعة الحياة « الخاوية » لأحد الجنسين ودعوة أكيدة للهو والعبث والجرى وراء الغرائز والنزعات والشهوات!
- خوف الحياة كخوف الموت، من شيم الضعفاء .. والقوى لا يخاف الموت وإن كرهه، ولا يخاف الحياة لأنه يقبل عليها إقبال المؤمن الواثق فى نفسه وفى رعاية ربه .
- قد تخاف حواء الرجل الذى يمضى مع غضبه، ولكنها تخشى أكثر الرجل الذى يملك غضبه، وتحترم من يملك غضب الآخرين !
- قال حكماء الزمن الأول : « لا ترخِ الزمام إلى اللئام » !!
- من استبد برأيه هلك !
- قيل إن الرجوع إلى الحق فضيلة، لأن العودة للالتزام بالحق خير من التمادى فى الباطل، وقيل فى الأمثال : من صارع الحق صرعه .

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٠٧)

• اتسعت حاجات الناس على مدار الزمن، وصارت أبعد سعة بما لم يدر فى خَلَدِ أهل الأزمنة الماضية .. مع التقدم الهائل غير المسبوق للحضارة الحالية سواء فى العمق أو الامتداد أو فى الإسراع ـ تقوم النساء الآن بجانب ضخم من المهام والأعمال التى كان ينفرد الرجال بالقيام بها، كما تشغل النساء نصيبًا لا يقل عما يشغله الرجال فى المهام والوظائف والأعمال التى ابتدعتها الحضارة الحديثة، وبهذا وذاك تضخمت مشاغل النساء العامة إلى حجم لم يسبق له مثيل فيما سلف من عصور، وخرجت بها المرأة إلى ميادين الحياة العلمية والتعليمية والفنية والدينية والسياسية والتجارية والمالية والاقتصادية .. ولم تعد محصورة فى البيت والأسرة بعد أن أخذتها تلك الشواغل والمهام الكثيرة، كما ضيقت هذه الشواغل الجادة من فرص اللهو والترف والشهوة والخلاعة والعبث .. لم تعد المرأة فى زماننا كتلك التى كانت فى ذلك الزمان البعيد، ولا عادت النظرة منها وإليها كتلك التى رانت على العقول والنفوس فيما مضى ! ..

• قد يكره المعجب بك من يعجبون بك مثله، لأنهم يبطلون انفراده ويشاركونه المكانة عندك .

• الغيظ كالسمّ .. لفظه أسلم من مضغه، ومضغه أهون من اجتراره !

• ليست السرعة نشاطًا فى كل الأحوال، فقد يسرع الكسلان ضيقًا بالعمل واستعجالاً وشوقًا إلى الكسل !

❁ ❁ ❁

• يبدو أن عامة البشر من قديم الزمان لا تحب التوسط والاعتدال، وأن لديها ميولاً فطرية تشدها إلى المغالاة والتطرف لأقصى اليمين تارة، أو لأقصى اليسار طورًا ! .. وربما كان لهذا التأرجح نشأة الحضارات البشرية وازدهارها وذبولها وزوالها . وربما كان قد أعان على هذا ضيق الصدور وتبرمها من الجد والمثابرة، ومن طول التأمل والصبر على مراجعة النفس والتدبر، فضلاً عن النفور من إعطاء العقل والأعصاب حظهما الواجب من الهدوء والابتعاد عن الحدة والاستعجال !

• انعزال حياة الآدمى المادية عن حياته الروحية والنفسية انعزالاً تامًا ـ كما يبدو أنه حاصل الآن ـ داء لا يدوم، ومستحيل البقاء، لأن ماديات حياة الآدمى ضرورية لتغذية معنوياته، كما أن معنوياته لازمة جدًا لتغذية وتشجيع مادياته وتقويتها ودفعها باستمرار إلى الحركة والنمو والتطور .

• فلا مناص إذن من العودة إلى توازن جديد ومعقول، يناسب ويصلح لتعاون والتحام الحياتين المادية والروحية معًا لدى آدمى اليوم الراغب والحريص على أن يكون ابن عصره فى التحضر والمزيد من التحضر !

• لا تفرض علمك على من لا يريد، ولا تجهد نفسك مع من يرى أنه مستغنٍ بما لديه عن سماعك !!

• قيمة الإنسان فى قدرته على تغيير ما يستوجب التغيير .

❁ ❁ ❁

• معظم معارفنا بالموجودات، وبالوجود، وبالواجد ـ جل وعلا ـ دائمًا أقرب إلى أن تكون افتراضية مشوبة بقصور وفراغات، أو من باب الاعتقادات المبنية على التسليم الذى نقنع به شوقنا إلى قدر من المعرفة والفهم .. ومن أجل ذلك ينبغى لنا أن نقف لنحاول تبين سعة المساحة الشاسعة بين ما سجله ويسجله البشر فى الأزمنة الماضية والحاضرة ـ

وبين ما يستقر من مبناه ومعناه وفحواه فى فهم كل من أفراد الخلق الذين يتناقلونه خلال الأمكنة والأزمنة، ففهوم أفراد الناس مختلفة دائمة التغير على تعاقب الأزمنة والأجيال .

- الإنسان يستقبل الحياة باكيًا، ويعيشها شاكيًا !
- من لا هدف له، لا وجود له !
- ما أكثر الناس، ولكن ما أندر الإنسان !

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(٢٠٨)

• فى أساس كل حى من المخلوقات توجد الحاجة والاحتياج، أى الشعور بالحاجة وضرورة إشباعها والخوف من فشل السعى إلى هذا الإشباع، وقد ترتب على عقل الآدمى وخياله، تزايد قدرته على اكتشاف احتياجاته على تعاقب الأزمنة، وإلى التفنن فى تحقيقها، مما أشعر الآدمى بأنه أكثر وأقوى حيلة وأتقن وسيلة من غيره من الأحياء دون أن يلتفت إلى أن ذلك كان ثمرة لتجارب تفكيره وتوظيفه إياه !

• قد تكون قيمة الإنسان فيما يتوق للبلوغ إليه، أكثر مما يبلغه بالفعل !

• ليس بمستطاع الإنسان ـ كما قال القرآن المجيد ـ أن يقدر الله تعالى حق قدره : « وَمَا قَدَرُواْ اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ » (الأنعام ٩١) .. فكيف للمخلوق أن يقدر خالقه، ناهيك عن أنه يقدره حق قدره، ولو عرف المخلوقون الله حق قدره وبقدره، وهذا محال عليهم، لذابت أرواحهم عند كل وارد يرد عليهم من صفاته عز وجل .

• من عرف الله تعالى فى كل مقام، تعرف إليه سبحانه فى كل ساعة.

❁ ❁ ❁

• نحن نستهين عادة بالتريث ونستثقله ونأنس للمبادرة والسرعة والحماس، ونهش لعجلة الحياة ونشاطها المتدفق ـ كأنها تمنح الآدمى ثقة فى الدنيا وفى الحياة . وإذا كان التأمل والتدبر وتكرار الفحص والمراجعة وإعادة الاختبار ـ هو الأسلوب السائد بين المشتغلين بالعلوم الوضعية فى أبحاثهم ومعاملهم ومراصدهم وتقديراتهم وتقريراتهم، إلاّ أن ذلك عسيرٌ

جدًا على الإنسان العادى، ومن ثم كان انقسام الجماعة إلى أغلبية وأقلية أمرًا طبيعيًا لا مفر للجماعة من نواتجه وعقابيله التى تُسأل عنها الأغلبية كما تُسأل عنها الأقلية لأنها لا بد أن تشارك فى الانحدار كما شاركت فى الازدهار بحكم انتمائها للجماعة !

- من أقوال طاغور : « تمسك بالإيمان أيها القلب الشجاع، استيقظ من النوم، ومن فتور اليأس، واستقبل بالأغانى نور الفجر الجديد » .
- المغرور من يغتر بما يجرى عليه من الأعمال، فالأعمال قد توافق الخلقة وقد تخالفها، والمغرور الغافل من يتمنى على الله الأمانى !!
- دعا الله سبحانه وتعالى خاصته بالآية :

« قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ » .

- دعاهم إلى الانقطاع عن كشف ما لا يستطيع المعاندون تحصيله وفهمه، والاكتفاء بالإشارة إليه سبحانه،وفى طلب المعرفة فليجتهد المجتهدون.

❁ ❁ ❁

- ألف البشر تناسى ما بنيت عليه حياتهم منذ خلقوا ـ من غيب واحتمال، دعاهم إلى هذا التناسى رغبة اللا وعى فى مفارقة الشعور الدائم بالقلق والخوف الذى ينغص على الآدمى حياته وقد يجعلها مستحيلة، وربما أدى الفرار من هذا الخوف فى بعض أو كثير من الأحيان إلى ما شاع فى كل جيل من مغامرات المغامرين ومضاربات المضاربين واندفاعات المندفعين المجازفين فى العام والخاص من الأمور!
- الآدمى بلا تربية عبد رائع، وقد يكون وحشًا مفكرًا !!

• من لطف الله ذكره لعباده فى الدهور الخالية، حيث لا سماء مبنية ولا أرض مدحية قبل سبق الوقت وإظهار الكونين وما دبره سبحانه فيهما لخلقه.

• ما خفى من ذكر الله، أشرف مما ظهر.

❁ ❁ ❁

• من آثار التطور الهائل الذى شمل حياتنا على تعاقب العصور، أن خلق تقاربًا شديدًا بين الجنسين فى الأفكار والمعلومات والأعمال والجهود، وضاقت تبعًا لذلك كثير من المفاهيم المحصورة فى سطوة أو سيطرة أحد الجنسين على الآخر، ولم تعد هناك فروق تنسب الحماقة أو التفاهة إلى جنس مخصوص دون الآخر..

• السؤال طريق المعرفة، وعلامة حياة.

• لا يناضل الإنسان إلاَّ من أجل ما يحب.

• قال بعض الصوفية: لا سبيل للوصول إلى الله إلاّ بالله..
وقالوا: المؤمنون سبقت لهم من الله السعادة.

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٠٩)

• يدرك الفاهمون لإلهية الإسلام، وعالميته، الملتفتون إلى دلائل هذه العالمية، وعناصرها، المعبرة عن قدرة الحق سبحانه، وتدبيره المحكم لغايته لديانة أرادها ـ عز شأنه ـ ديانة للعالمين إلى يوم الدين، تمتد فى الزمان مثلما تمتد فى المكان بلا حدود، يدركون أن من آيات هذه العالمية، أن معجزة الدين ذاته كانت ذلك القرآن المجيد الذى حوى أوامر الحق تجلت حكمته ونواهيه، فى العبادات، والعقائد، والأخلاق المعاملات، فكان حجة أبدية لا تنطمر ـ كما تنطمر الحجج الحسية أو المادية ـ بمضى الزمن، وإنما تزداد وتزدان على الأيام بما يضيفه العلم ومستحدثاته، وحقائق الكون وما يتكشف منها، إلى فهم الناس لآيات هذا الكتاب المجيد وإلى إيمانهم العميق به، وكان إلى ذلك معجزًا فى بلاغته ومعماره، مثلما هو معجز فى إثباته الغيب، سابقه وقابله، وفى إحكام قواعده، فضلاً عن معجزته الكبرى التى تضمن حياة الدين وصلاحيته للامتداد الذى تغيته الحكمة الإلهية، والتى تتجلى فى التفاته وحرصه على التمييز بين الأصول والثوابت، وبين المتغيرات التى تفرضها تطورات الحياة وصنوف الحوادث .. فاكتفى فى حكمة تصادقها الأيام بإيراد الأصول والمبادئ.

• القلب إذا سلم من الآفات، وأعرض عن الدنيا وغرورها، وأقبل على المولى عز وجل، وتنور بنور الذكر، انشغل عن ظلمات الشواغل، وانكشف الغطاء عن بصره وبصيرته، فيرى جمال آيات الحق تبارك وتعالى .. كما قال سبحانه : « مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى » (النجم / ١١)

• قيل فى الشر، إنه نوعان : شرّ محض .. حقيقى من كل وجه ؛ وشرّ نسبى.. إضافى من وجه دون وجه . فالأول لا يدخل فى الوجود، والثانى يدخل فى الوجود . ذلك أن الشرور إما أن تكون أمورًا عدمية أو أمورًا وجودية..لذلك كانت الشرور الوجودية شرًّا محضًا حقيقيًا من كل وجه!

• كثيرًا ما يقود التردد إلى الإخفاق والفشل .. العاقل إذا ما عزم أقدم!

❁ ❁ ❁

• أغلب أهل الأديان بعامة، يصرون على تثبيت معانى الألفاظ والعبارات الدينية، باعتبارها معانيها الأصلية من ناحية، وبأمل استقرارها وثباتها على وصفهم لها فى عقول وأفهام الأتباع، وقد أدى ذلك إلى التجمد والتعصب، كما أدى إلى عزلة عن المساهمة فى تيار الحياة الدافق المتجدد، فلم يعد للأديان القدرة على المساهمة بدور فعال فى حاضر البشر، بعكس العلوم الوضعية التى حصرت جهودها فى الإمعان فى رصد وفهم الظواهر الطبيعية والمواظبة على المزيد الجاد من هذا الفهم الذى باتت به تلك العلوم المصدر والأم لكل الاكتشافات والاختراعات والإبداعات والصناعات !

• من أقوال مازينى : المتفائل شخص متهور يطعم دجاجته فضة حتى تبيض له ذهبًا، والمتشائم شخص متوجس قلق .. يرمى البيضة الذهبية لاعتقاده أن فى داخلها قنبلة موقوتة !!

• إذا تشابه الناس بالطبيعة، فإنهم مختلفون جد الاختلاف بالتربية !

• الصبر ملاذ فى ساعات الضيق، فى انتظار الفرج أو رحمة الله .

❁ ❁ ❁

• تميز الآدمى بالعقل والفكر والابتكار الذى يقوده إلى مزيد من العلم والمعرفة والتهذيب والرقى والتقدم والتطور .. هذا التميز، هو الذى يقوده

كذلك إلى نقيض ذلك من الكبر والاغترار والمقامرة والغش والفساد والإفساد وأسوأ النهايات !

- من المهم أن نتوقف لنرى مدى الفارق الهائل بين تصورات الآدمى لما هو كائن أو غير كائن، وبين فهمه الفعلى الحقيقى لذلك . هذا قد يبدو بسيطًا، ولكنه عسير جدًا يحتاج إلى إصرار وجهود وأعمار!
- كثيرًا ما تحمل الضرورات على مراعاة الواقع .
- تبدأ تربية الطفل قبل ميلاده ـ بتربية أمه . من أجل ذلك قال الشاعر:

الأم مدرسة إذا أعددتها   أعددت شعبًا طيب الأعراق

- لا يأمن المكر إلاَّ من هو غريق فى المكر ؛ فلا يرى المكر به مكرًا .. وأما أهل اليقظة فإنهم يخافون المكر فى جميع الأحوال . إذ السوابق جارية والعواقب حقيقة.

وفي القرآن المجيد :

« أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ » (الأعراف ٩٩).

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢١٠)

• يدرك الفاهمون، مما اختطه الإسلام الحنيف، أن الأديان لا تُفرض بالقسر والإرغام، وإنما تنتشر وتعيش وتحيا وتبقى بالاقتناع .. وأنه من أجل ذلك كانت حياة الدين ـ أى دين ـ فى حياة مبادئه وقواعده وأحكامه وقدرتها على ملاحقة وتغطية ما يعرض للناس غدًا وبعد غد، مثل قدرتها على تغطية ما عرض لهم بأمس وأول أمس !

• لا ينقطع عموم الناس عن العبث فى كل عصر وفى كل مكان .. قليل منهم من يدرك قول الخالق عز وجل شأنه :
« أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إلينَا لا تُرْجَعُونَ » ـ وقوله عز وجل :
« وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ » وأمره سبحانه : « وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا » .

• لا بد للكاتب من موهبة خارقة، لأنه ينهض بشىءٍ من طبائع النبوة، ويحمل رسالة « خاصة » من لدن الحياة . كما قال العقّاد ـ إلى إخوانه فى الحياة .

• قال بعض العارفين : « ما نظرت فى شىءٍ إلاّ رأيت الله فيه » .. وقيل إن معرفة العوام تأتيهم بدلائل المعقول، وأن معرفة الخواص تكون بشواهد المدلول . فأين من يعرف الحق سبحانه وتعالى بإراءة العقل ممن يعرف الحق بإراءة آياته فى مرآة الآفاق، وقبله .

• يقول جل شأنه: « سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ » .

❁ ❁ ❁

• من كنوز علم أصول الفقه فى الإسلام، الذى أحصى فيها أحصاه من مصادر الشرع : ـ « الإجماع » كمصدر من مصادر الشرع يلى الكتاب والسنة مباشرة، ويتلوه فتوى الصحابى، والقياس، والاستحسان، ثم العرف والمصالح المرسلة والذرائع والاستصحاب، وأخيرًا شرع من قبلنا فيما لم يطأه التحريف والتبديل والتغيير ولا يختلف مع الأصول الإسلامية باعتبار الشرائع السماوية جميعها من نبع واحد، احترمها الإسلام واحتواها واحترم رسالاتها وأنبياءها وكان الدين الوحيد الذى كرم جميع الأنبياء والرسل وبأكثر مما ورد فى كتب أديانهم، وأطلق أسماء العديدين منهم على كثير من سوره (يونس، هود، يوسف، إبراهيم، مريم، نوح) غير سورة « الأنبياء » وسورة طه ومحمد، واعتبر الإيمان بالرسالات السابقة جزءًا من الإيمان به، مما استقر على الزمن فى نسيج أبنائه الذين انفردوا دون أبناء الأديان الأخرى باتخاذ جميع الأنبياء أسماءً لأولادهم وذراريهم على مدار الأزمنة والعصور ..

• تكون المعرفة على قدر شهود العبد بها قدره الله تعالى له، واستعداده فى قبول الفيض الإلهى بلا واسطة حجاب . ولا يبلغ السائر الصادق إلى هذه المرتبة السَّنيّة، إلاَّ بالعبور على مقامات النفس، والقلب، والسر، والروح .. مؤيدًا بالتأييد الإلهى .

• من لوازم الحياة الفعل الاختيارى، فإن كل حى فعال، ولفعل الإنسان حدود، أما الحى القيوم فإنه سبحانه وتعالى فعال لما يريد .

- الدنيا كالحياة، لا تدوم لأحد، وفى القرآن الحكيم :
« وتلك الأيام نداولها بين الناس »

❁ ❁ ❁

- « الإجماع » كنز من كنوز قدرة الإسلام على التجديد وملاحقة التطورات فى إطار القواعد الكلية والمبادئ الأصولية التى سنها القرآن المجيد والسنة المطهرة .. فهو مصدر من مصادر الشرع الإسلامى يلى مباشرة النصوص : الكتاب والسنة، ويعتمد عليها، ويفتح الباب للنظر والتأمل والاجتهاد المأمـون الذى يجد أمانه فى اتفاق « الإجماع » على القاعدة أو الحكم المستنبط من أصول ونصوص الشرع الحكيم .. والإجمـاع ـ شرعًا، هو اتفـاق المجتهدين من الأمة بالقول أو الفعل أو التقرير، فى عصر من العصور بعد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ على حكم شرعى فى أمر من الأمور العملية دينى ودنيوى وعقلى ولغوى .
- للعباد فى شهودهم لله مراتب، فمن طالع الذات الإلهية أسلم طوعًا وكرهًا، ومن لم يطالع إلاّ الهيبة أسلم كرهًا . وفى القرآن المجيد : « وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإليهِ يُرْجَعُونَ » (آل عمران ٨٣) .
- فى دنيا الأحياء يرتبط السبب بالمسبب، هكذا شاءت حكمة الخالق جل شأنه الذى هو وحده إذا قضى أو أراد شيئًا فإنما يقول له كن فيكون !
- المحن تكشف المعادن وتصقل الرجال !

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢١١)

• الكون من حولنا فى حركة دائمة لا تتوقف .. هو « صائر دائمًا »، ومع هذه « الصيرورة » الدائمة المستمرة يتعامل الآدمى، ينجح أو يخفق، يبدع أو يخمل، تحدد « ذاته » معالمها ودورها من واقع هذا التعامل الحى مع الكون الصائر الحى، وليس يعنى هذا أن الإنسان يشارك فى خلق الله، أو يضيف إليه، وإنما هو يتفاعل ويتلاحم ويلتئم مع هذه الصيرورة الحية المتفاعلة .. الحق جل شأنه قد خلق الكون برمته من العدم، وخلق السموات والأرض، والشمس والقمر والكواكب والأجرام والمجرات والأفلاك، ونظم سبحانه هذا الكون ودبره، بث فيه أسباب الحياة فى نظام بديع هائل .. تتلاقى فيه آيات وحدة الخالق سبحانه وقدرته، وإحكام تدبيره، وتتجلى فيه « الحركة الدائمة » فى كل ربع من ربوعه، وكوكب من كواكبه، وفلك من أفلاكه .. الحركة الدائمة هى قانون الكون كله .. هى الصفة العامة التى تشمل الكائنات جميعًا .. تتراءى للناظر المتأمل حيثما اتجه نظره فى هذا الكون الفسيح المعجز للأفهام !

• كتب عباس العقاد قبل وفاته بيومين، يقول :

عند الحب سهر أحلى من حلم النوم، ونوم أيقظ من سهر الخلود ..
عند الحب نور يطوى الشمس والقمر، وموعد ينسى الليل والنهار ..
عند الحب حياة يهون من أجلها الموت، وموت تباع من أجله الحياة ..

• قال العارفون، إن التوحيد ثلاثة :

الأول : توحيد الحق للحق، فى إخباره سبحانه بأنه الواحد .

والثانى: توحيد الحق للخلق : وهو حكمه سبحانه بأن العبد موحِّد، بخلقه.

والثالث: توحيد الخلق للحق : وهو علم العبد بأن الله واحد، وحكمه، وإخباره عنه بأنه واحد .

يقـول ﷻ : « فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلِ بِعِلْمِ اللّهِ وَأَن لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ » ..

❁ ❁ ❁

- كل ما فى الكون فى حركة دائمـة مـستمرة لا تنـى ولا تهـدأ .. عـرف الناس من قديم أن الشىء الساكن يظل ساكنًا أبـدًا، إلا أن تفعـل فيـه قـوة تحركه، وفى هذا أصابوا .. بيد أنهم ظنوا أن الشىء المتحرك لا يبقى متحركًا إلا إذا وافاه مدد دائم من قوة تدفعه وتحركه، وفى هـذا أخطـأوا!!.. الـذى أكده العلم وتجاربه، أن الجـسم الـساكـن سـاكن أبـدًا إلا أن تتـدخل قـوة تحركه، وأن الجسم المتحرك متحرك أبدًا، وبنفس سرعته، إلا أن تتدخل قوة تؤثر فى حركته سلبًا أو إيجابًا .. السيارة التى تفقد سرعتها حتـى تتوقــف، لا يطرأ عليها ذلـك لتوقـف موتورهـا عـن العمـل، وإنـما بفعـل الجاذبيـة الأرضية ومقاومة الهواء والاحتكاك بالأرض .
- لا يسوى الله تبارك وتعالى بين المختلفين، أو يفرق بين المتماثلين .. فحكمته وعدله تأبى ذلك، فيقول جل شأنه :

« أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ۞ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ »،

ويقول ﷻ : « إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ »،

ويقول ﷻ : « أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ » .

• من آمن بالله تعالى فقد آمن بغيبه، وآمن بشهادته ـ سبحانه ـ لنفسه أنه واحد ولا صانع غيره، به يؤمن الملائكة وبغيبه يدعون إليه، وبه وبغيبه ـ سبحانه ـ يؤمن المؤمنون ويدعون إليه بكتبه ورسله . يقول الواحد الأحد :
« شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمًا بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » .

❁ ❁ ❁

• حيثما نظر الناظر فى الكون، سوف يرى « الحركة » قانونًا شاملاً عامًا يتجلى فى شموس الكون وأرضينه وكواكبه وأجرامه ومجراته وأفلاكه .. كوكبنا الأرضى الذى فيه وعليه نعيش، فى حركة دائمة، تدور الأرض حول نفسها وحول الشمس، من غرب إلى شرق .. والقمر ـ كالأرض ـ فى حركة دائمة، يدور حول نفسه وحول الأرض .. وهو يتبع أمه الأرض فى دورانها حول الشمس، ومدارهما معًا من غرب إلى شرق !!

• بغض النظر عن شطحات المتفلسفين، وتهاويم المنكرين، فإن المعرفة العقلية قد جمعت المسلمين والكفار، وإليهود والنصارى والملاحدة، وغيرهم من الدهرية والفلاسفة ـ جمعتهم كلهم على وجود إله، ولم يجادل من جادل إلاّ فى الصفات ـ لا فى الذات ـ أو فى وسائل التعبد والقربات، مثل من قالوا :

« مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى » (الزمر/ ٣) .

على أن المعرفة العقلية ليست ـ وحدهاَ ـ بمنجية من النار، إلاّ أن يكون الاستدلال العقلى مؤيدًا بنور الإيمان، ومؤكدًا بصالحات الأعمال .

• ليس فى كل الأحوال تغلب الكثرة الشجاعة .. قد يؤدى تصرف طائش مجنون إلى تفرق الكثرة طلبًا للسلامة .

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(٢١٢)

• حياة الآدمى فى اتصاله الدائم بتيار الحياة .. فى ولـوج ربوعهـا وميادينهـا والمساهمة فى صنعها ونسقها وإيقاعهـا .. فى الإسـهام البنـاء المثمـر فى تعمـير الدنيا وإثراء الحياة وتجميلها ونفع الإنسان بهذا الربـاط الفاعـل بـين الأحيـاء وبينهم وبين الحياة .. اتـصال الآدمـى بالحيـاة هـو الـذى يجعلـه قـوة فاعلـة معطاءة، ويقيه الخواء والعبث واللا أهمية ـ فى القرآن المجيد : « تَبَـارَكَ الَّـذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُـوَكُمْ أَيُّكُـمْ أَحْسَنُ عَمَلا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ » (الملـك ١ ، ٢) .. الآدمـى معلـق مـصيره بعمله، والحياة كلها ابتلاء للآدمى .. ميزان هذا الامتحان ماذا عمل الإنـسان وماذا استطاع بتناغمه مع حركة الحياة الدائمة أن ينجز وأن يعطى وأن يقدم.. فى القرآن المجيد: «وَقُـلِ اعْمَلُـواْ فَـسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُـمْ وَرَسُـولُهُ وَالْمُؤْمِنُـونَ » (التوبة ١٠٥) .. « هُوَ الَّـذِي جَعَـلَ لَكُـمُ الأَرْضَ ذَلُـولاً فَامْـشُوا فِي مَنَاكِبِهَـا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيهِ النُّشُورُ » (الملك ١٥) .. « وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّـا عَمِلُـوا » (الأحقاف ١٩) « وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ » (المطففين ٢٦)

• لأن الخيال وصوره هما قوام جمال أساليب الأدب والفنون، فإن قراءة الفنان تحتاج إلى جهد، لا يُطالب إزاءه بأن يكون سهلاً لكل إنسان، لأن ذلك قد يهبط بعبقريته ويفقدها ما تتميز به فى عالم الفنون والآداب !

• قيل فى معنى « قل هو الله أحد » .. أنها تعرف وتخبر بمعنيين :
إثبات صفة الكمال، وسلب صفات النقصان . فقد أثبتت أنه هو الله أحد . وهو للحصر . أى هو الله الذى هو أحدىٌّ فى ذاته بالألوهية . ليس له ثانٍ فى الألوهية الأحدية . فأما نفى الاثنية عنه ـ سبحانه ـ لأحديته، فلأن أحديته لا

تشبه أحدية شىءٍ آخر . وفى قوله الآية : «اللهُ الصَّمَدُ » ـ دلالة على أنه ـ سبحانه ـ الكامل الذى لا يحتاج إلى شىءٍ لكماليته، وأن كل شىء ناقص بالنسبة إلى كماله عز وجل، محتاج إليه فى إتمامه . وقول الآية : « لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ » دلالة على سلب صفات النقص .

❁ ❁ ❁

• الإجماع مصدر غنى مانح من مصادر الشرع الإسلامى، إليه ـ فى زمن الصحابة ـ قاعدة أن الجدة تأخذ السدس تنفرد به الواحدة وتشترك فيه الأكثر من واحدة، وإليه ـ فى زمن الصحابة أيضًا ـ عدم جواز الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها، وعلى أن الإخوة والأخوات لأب يقومون مقام الأشقاء إن لم يكن أشقاء، وبطلان زواج المسلمة بغير المسلم، وعلى أن الأراضى المفتوحة لا توزع كسائر الغنائم والأنفال .. وإلى الإجماع الاتفاق على إطلاق أسماء « الصانع » و « الموجود» و« الواجد » و« القديم » على الله سبحانه وتعالى، والإجماع على أن الماء إذا تغير لونه أو طعمه أو ريحه بنجاسة فهو نجس لا يجوز التطهر به من الحدث، وليس لهذا الحكم دليل آخر غير الإجماع، وإلى الإجماع أيضًا قاعدة أن سداد دين المتوفى من ماله مقدم ليس فقط على ميراث التركة، وإنما أيضًا على تنفيذ وصيته، وإلى الإجماع حكم أنه لا زكاة فى أعيان الشجر، وميراث بنت الابن مع البنت .. إلى غير ذلك من الأمثلة والأحكام التى كان مردها إلى « الإجماع » .

• يهاب الإنسان ألم الجسد، وقد يصبر عليه .. ولكنه لا يصبر على عنت البلوى وتباريح العذاب !

• من سأل الله أن يهديه إلى الصراط المستقيم، فقد سأله أن يهديه إلى طريق محبته والسعى إليه، وإلى طاعته كما أرشد فى توحيده، سائلاً إياه ـ سبحانه ـ بأن ينعم عليه بنعمة الإقبال عليه، والإعراض عمّا دونه .. جل جلاله .

❁ ❁ ❁

• الكواكب السيارة.. لم يعرف الإنسان فى الزمن الغابر من هذه الكواكب سوى خمسة : عطارد، والزهرة، والمريخ، والمشترى، وزحل .. بيد أنه كشف منذ القرن الثامن عشر عن ثلاثة كواكب أخرى : أورانس ونبتون وبلوتو ! .. سماها كلها بالسيارة تمييزًا لها عن النجوم التى جرى الظن أنها ثابتة لا تدور، ولا تتحرك ! .. بيد أنه اكتشف أن هذه الكواكب ليست وحدها السيارة، بل الكل فى حركة دائبة ودائمة .. الأجرام والنجوم والشموس .. الشمس ربة هذه الأسرة، استبان أنها حول نفسها تدور من غرب إلى شرق، وأن كل النجوم والكواكب تدور فى جملتها حول نفسها وحول الشمس .. إن لسائر الكواكب ـ كالأرض ـ أيامًا وأعوامًا وإن اختلفت أطوالها عن أيام وأعوام الأرض .. كل ذلك نابع من حركتها وحركة الأفلاك والشموس والأقمار الدائمة !! .. هذه الحركة ليست قصرًا على الشمس والأرض والكواكب والنجوم والشهب والمذنبات، وإنما تشمل المجرة أو سكة التبانة .. وهى قرص متوهج عظيم يضم المجموعة الشمسية وآلافًا مؤلفة من النجوم، وتظهر فى السماء كهالة كبيرة من نور وسط عتمة فسيحة مظلمة .. هذه المجرة ـ مجرتنا، وغيرها مئات الملايين من المجرات فى هذا الفضاء اللا نهائى ـ ثبت أنها هى الأخرى فى حركة دائمة، تدور .. وعلى نفس قانون الكون من غرب إلى شرق !!

• التوبة فيها محو البشرية وأدرانها، وإثبات الألوهية بفناء النفوس عمّا دون الله تعالى وعن الله تعالى .

• من أقوال الحلاج : إن حقيقة المحبة (لله)، قيامك مع محبوبك بخلع أوصافك والاتصاف باتصافه .

❀ ❀ ❀

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢١٣)

• تتفق الأديان، ويصادق الواقع المعاش منذ الأزمان الغابرة ـ على أن الإنسان وجد على هذه الأرض ليتكاثر، وليزداد باستمرار ـ مع هذا التكاثر ـ فهمًا وخبرة من التعامل والمصادقات والأخطاء، وليزداد إدراكًا لما فى دنيانا بالنسبة لنا ـ من الأسرار والقوى والفرص، وليتنامى استغلالاً لما وُهبنا من استعدادات تزداد بلا انقطاع مع ازدياد فهمنا وإدراكنا وجرأتنا وتعاوننا عمقًا واتساعًا ..

ولكننا ننسى ذلك كله، وننسى معه أن نمونا فى الأرحام وخارجها هو دائمًا نمو داخلى ـ حيويًا كان أو نفسيًا أو عقليًا ـ ننسى ذلك كله حين يستغرق كل منا فى محيطه وأغراض هذا المحيط وأفكاره وأطماعه وطبقاته واختلاف مستوياتها ومشاربها وعاداتها .. وكلها سطحية بنات أزمنتها وأمكنتها، يحدث ذلك لأننا منذ ولدنا خاضعون لقواعد « التكرار والإعادة » فى كافة حركاتنا وسكناتنا .. الواعية وغير الواعية . هذا الخضوع يضبط نسبيًا معدل نمونا المناسب البدنى والعاطفى والعقلى، ولكنه مثل كل استعدادات الآدمى معرض للمغالاة التى تسوق الآدمى إلى التخلف والجمود .. أو إلى الاستخفاف الذى يسلس إلى الرعونة والحمق، وأحيانًا إلى الهوس والاعتلال البدنى والعاطفى والعقلى !

• العبد مبتلى بأوامر الله تعالى ونواهيه، وللقلب أسرار تخطر دائمًا بخطراتها، فإن هداه ما يعرضه العبد على الكتاب ـ اهتدى إلى طاعة الله، وإن عز عليه الوصول عرضه على ما سواه من سنة الرسول ﷺ وأعمال الصالحين، فيهتدى إلى طاعة الرسول ﷺ أو أولى الأمر الذين تابعوا الكتاب والسنة بإحسان .

• الملك الحقيقى ليس فى تسيد الإنسان على عباد الله، وإنما فى تحريره وتحرره من رق الدنيا وما فيها !

❁ ❁ ❁

• الشهادة منحة ربانية وليست صكًا آدميًا !! فالذين يسبغون الاستشهاد والشهادة على من يشاءون ويحجبونها عمن يشاءون .. يتداخلون فيما لا يمنحه أو يحجبه إلا الله سبحانه وتعالى ؛ شأنهم كشأن الذين كانوا يتاجرون بصكوك الغفران التى ثار عليها مارتن لوثر .. وما يسبغه هؤلاء الآدميون أو يحجبونه لا قيمة له ولا أثر وليس جواز مرور إلى رضوان الله الذى لا يمنحه سبحانه وتعالى إلا لمن يشاء من عباده!!!!!

• قلوب الناس ثلاثة : مريضة، وقاسية، ومخبتة .

فالقلوب القاسية، هى القلوب اليابسة الجامدة المتحجرة التى لا تلين للحق ولا تعترف به أو تذعن له، والقلوب المريضة هى التى تضعف وتنحل عن الإذعان للحق فلا تقوى على الولاء والانتصار له . أما القلوب المخبتة، فهى القلوب الصحيحة، التى تجمع بين الصلابة والصفاء واللين، فتبصر الحق بصفائها، وتشتد فيه بصلابتها، وترحم الخلق بلينها . وفى المرويات : « القلوب آنية الله فى أرضه، فأحبها لله أصلبها وأرقها وأصفاها » ....

• فارق بين الكاتب وبين من يقتصر على إنشاء الكلام .. ففضيلة الكاتب نفس شاعرة مدركة ليست مجرد سبك لفظ وعبارة، وإنما غوص وتحليق تبقى له قيمته إذا ترجم من لغة إلى أخرى، وليس هذا شأن صناعة الإنشاء التى وإن حملت رونق العبارة، إلاَّ أنها تفتقد عمق الفكرة والمعنى !

• يكون استنباط العبد للقرآن الحكيم، على مقدار تقواه فى ظاهره وباطنه، وتمام معرفته، وهذا أجل مقامات الإيمان .

❁ ❁ ❁

• الحركة الدائمة فى الكون ليست وقفًا على الأجرام، وإنما تتجلى أكثر حركةً وإيقاعًا فى دورة الحياة فى الكون وفى المخلوقات ـ كل المخلوقات ـ على السواء .. تتجلى فى الشمس التى تضرب البحار فتتحول أبخرة تتصاعد إلى السموات، فيجمدها البرد فتهطل أمطارًا تصافح وجه الأرض فتخضر بها الحياة على أديمها، وتشرب الكائنات من ينابيعها وأنهارها .. تتجلى فى أوراق الأشجار والأفنان تسقط لينبت غيرها، مثلما تتجلى فى دورة الحياة بين بنى الإنسان وكل الخلائق والكائنات .. أجيال تبيد، وأجيال تولد، ومن الموت توهب الحياة، تتوالى الحيوات مثلما تتوالى الفصول والأيام .. ليال تروح، وليال تجىء، وشموس تشرق وتغيب، يولَج (بفتح اللام) النهار فى الليل، ويولَج الليل فى النهار، وتتعاقب دورات الحياة لا تستثنى من حركتها شيئًا ولا كائنًا .. إما أن يمسك الحى بزمامها ويتلاحم ويلتئم معها، ويتوحد مع إيقاعها، وإلا يموت !! .. هذه « الصيرورة الدائمة » هى ميدان الآدمى الذى فيه تجرى خطاه وتضرب سواعده ويحلق عقله ويتوالد ويتواصل عطاؤه ويستمد معنى الحياة !!

• ربما كانت المرأة التى تملك إرادتها ـ أقل عنادًا من المرأة مسلوبة الإرادة التى يدفعها ضعف إرادتها إلى العناد !

• قال الحلاج فى وصف « السيد الحصور» فى عبارة القرآن المجيد « فَنَادَتْهُ الْمَلَآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ » (آل عمران ٣٩) .إنه من خلا من أوصاف البشرية وأظهر بنعوت الربوبية .

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(٢١٤)

• الذين يحاولون إصدار قانون بالعزل السياسى لكل من شغل موقعًا رئيسيًا فى الثلاثين سنة الأخيرة يكتبون نهايتهم بأيديهم ؛ فمعنى هذا المشروع الذى لن يرى النور عزل قامات مصرية بغير عد ؛ وبغير حجة ؛ وبغير منطق .. معناه : عزل كل من تولى رئاسة الوزارة فى الثلاثين سنة الأخيرة ؛ أو نائبًا لرئيس الوزراء ؛ وكل من حمل حقيبة وزارية فى الثلاثين سنة؛ ومساعديهم ؛ وجميع سفرائنا فى الخارج ثلاثين سنة؛ وجميع من مثلنا فى الأمم المتحدة ؛ وفى جامعة الدول العربية ؛ وفي منظمة الأمم الأفريقية؛ وكل من تولوا فى الثلاثين سنة رئاسة محكمة النقض ؛ وكل من تولوا رئاسة مجلس الدولة ؛ وكل من تولوا رئاسة هيئة النيابة الإدارية ؛ وكل من تولوا رئاسة هيئة قضايا الدولة ؛ وكل من كان نائبًا عامًا أو مدعيًا عامًا اشتراكيًا ؛ وكل من تولوا رئاسة المحكمة الدستورية العليا؛ وجميع المحافظين ؛ وجميع رؤساء الجامعات ؛ وجميع عمداء الكليات والمعاهد العليا ؛ وكل من تولى دار الإفتاء فى الثلاثين عامًا؛ وكل من بقى على قيد الحياة ممن تولوا مواقع رئيسية فى مشيخة الأزهر والهيئات التابعة له ووزارة الأوقاف ؛ وكل من تولى قيادة القوات البرية أو البحرية أو الجوية ؛ وكل قادة الأفرع الرئيسية والهيئات والمناطق العسكرية والأسلحة والإدارات ؛ ومن يوازى هؤلاء فى هيئة الشرطة وأفرعها وإداراتها ومناطقها وكل مديرى الأمن والبحث الجنائي؛ وجميع رؤساء المؤسسات والهيئات ... إلخ ... إلخ ... إلخ ... إلخ .. باختصار عزل كل من فيه رمق من المصريين !!! لماذا ؟! لمنع واحد بعينه أو اثنين أو ثلاثة بالذات من الترشح للرئاسة ؛ ودون أن يدرك صاحب الاقتراح ومن وراءه أن هذا يدمغ التشريع

بعدم الدستورية لفقدانه شرط العمومية والتجريد؛ وإنه من المحال أن يوافق المشير على إصداره وإلا كان مفرطًا فى حقوق مصر والمصريين ومشاركًا فى تجريف وخراب مصر .. من المحال أن يمضى هذا العمل الضرير إلى غايته؛ ومن المؤكد أنه سيفجر ثورة عارمة ضد أصحاب هذا الاقتراح المستفز ؛ وبه يكتبون مشهد النهاية فى تجربتهم التى صدمت المصريين الذين يقدمون مصلحة الوطن ويعرفون كيف تدار الدول وتوزن الأمور !!!!!!!!!!!

- زال عجبى حين تأملت متعمقًا فى قالة العقاد إن العلاقة بين الرجل والمرأة علاقة حرب ودية ؛ فهى تجمع أمتع ما فى الحرب من لذّة الانتصار، وأمتع ما فى الصداقة من لذّة الألفة والإيلاف ..

- من آمن وجاهد وشكر الله تعالى على نعمه وإحسانه، أمن العذاب يوم القيامة . يقول عز من قائل : « مَّا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللهُ شَاكِرًا عليمًا » (النساء ١٤٧) .

❁ ❁ ❁

- حصيف بالغ الحصافة من لا يأخذ شيئًا أبدًا أو أحدًا على الإطلاق على سبيل الضمان، حتى وإن كان أعز الأصدقاء ـ فالدنيا في صيرورة دائمة لا تبقي أبدًا على حال ـ وكذلك الناس !

- لا بد أن تحس بوجيعة العقاد، وما ناله من أذى، فى قوله إن صاحب المكانة الأدبية الكبيرة ـ بغير جاه « مادى » ولا سلطان على الأرزاق ـ هو عرضةٌ أبدًا لإيذاء اللئام، لأنه محسود على مكانته، وغير محسوب فى دنيا المنافع المادية التى يحسب اللئام حسابها ولا يشعرون بالحاجة إلى غيرها !!

- الأمور مرهونة بأوقاتها، فلا تلوِ الزمن على ما تريد !
- لذة الانتقام لحظة، ولذة العفو حالة دائمة !
- النصيحة ثقيلة الاستقبال على معظم الناس، فإذا وعظت فأوجز .
- قال حكيم من الزمن الأول : نعم الدهر، فهو خير مؤدب ...

أو كما قيل : من فاته تأديب والديه، أدبته الأيام والليالى .

- فتش حولك ؛ فمهما أقفرت الصورة ؛ ستجد غير بعيد رموزًا طيبة للحب الصادق والوفاء !!!
- الألفة والإخاء، يورثان المودة والولاء .

❁ ❁ ❁

- التكرار والإعادة، كما يتسببان فى تقوية حفظ الحافظ، وفهم الفاهم، وعلم المتعلم، وأدب الأديب، وفصاحة الفصيح، ومحاسن الحسن، وحب المحب، وعطف العطوف، وكرم الكريم، وشهامة الشهم، وصلاح الصالح، وإصلاح المصلح، ووطنية الوطنى، وصدق الصادق، وإيمان المؤمن، وفطانة الفطن، وصبر الصابر، وعفة العفيف، وأمانة الأمين، وولاء الولى، وشفقة الشفيق، ـ يتسببان أيضًا فى تقوية وتحكم الشعور « بأضداد » ذلك كله فتقوى أو تتحكم أو تستحكم صعوبة الصعب، وصلابة المتصلب، وقسوة القاسى، وقبح القبيح، ونكر المنكر، وفساد الفاسد، وجشع الجشع، وخيانة الخائن، ونصب النصاب، وحقد الحاقد، وإجرام المجرم، وخطورة الخطر، وتهور المتهور، واندفاع المندفع، ورعونة الأرعن، ومرارة المر، وأذى المؤذى، وغرابة المستغرب، وضراوة الضارى، وهياج الهائج، وقفر المقفر ـ .. لأنه مع تكرار هذا وإعادته يقوى ذلك كله ويشتد فى اللا وعى أو فى الوعى، وينزرع فى النسيج والطباع، وإلى ذلك ترجع الشرور والأشرار .. فى تناسب طردى هو الذى يفسر لنا كيف تنتعش أو تفتقر وتذوى أحوال الجماعات مع مرور الزمن !
- جعل الله قلوب أهل الدنيا محلاً للغفلة والوسواس، وقلوب العارفين محلاً للذكر والاستئناس.
- انشراح الصدر للإيمان، هو نور يقذفه الله فى القلب .

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢١٥)

• سماحة الإسلام فرع على معالم عالميته، وعلى خصال وشمائل فيه عديدة، أو هى خصلة جامعة لخصاله، صدى لها، ومعبرة عنها، ثم هى تلتئم مع كل هذه المعالم والسمات فى اتساع الإسلام للعالمين إلى يوم الدين، وامتداد واحته إلى من لم يؤمن به مثلما هى للمؤمنين به .. الدين العالمى دين يحمل بذوره وقدرة الامتداد الواسع العريض، فى الزمان والمكان .. لا تحده أرض، ولا ينقضى بزمان، ولا يستأثر أو يختص به قوم دون أقوام، ولا جنس دون أجناس، ولا بلد دون بلدان، ولا عرق دون أعراق، ولا جيل دون أجيال، وإنما هو دين يخاطب العالمين، وبخطاب صالح لكل الأزمنة والأماكن والعصور .. يخاطب الناس كافة على سنن الهداية والبيان والإقناع الذى يخاطب الألباب والضمائر والوجدان، ولا يغلق دون أحد بابه، ولا يوصد واحته أو يعطى ظهره إلى وجه أحد ..

• من كلمات العقاد :

قد تختصم القوة الصغيرة والحق الصغير .

وقد يختلف الجهال المحدود والحق المحدود .

ولكن القوة الكبرى والحق الأكبر لا يختصمان .

• الحـرُ حقًّا، من لم يسترقه عاجل الدنيا، ولا حاصل هوى، ولا عاجل منى، ولا سؤال ولا قصد ولا أرب ولا حظ من حظوظ الدنيا.

• الناسُ نيامٌ، فإذا ماتوا انتبهوا !

❁ ❁ ❁

• الاندفاع الفطرى لدى كل آدمى فى استغلال فرص حياته، يوجه كلية ويحصر بالضرورة التفاته إلى ما هو محل للحواس ثم إلى ما هو موضوع للتفكير فيما يهم إلى الحاجات والآمال والأغراض والمخاوف الخاصة بنفسه وبمن هم فى حكم نفسه، ثم إلى ما يتعلق بالاهتمام بالأهل والجماعة والبلد الذى إليه ينتمى، وهذا وأمثاله يخلق باستمرار حوائط وأسوارًا كثيفة جدًا بين تطلعات ورؤى وعادات ومصالح العاقل الواعى وبين اشتغاله بالتفكير والتأمل بإمعان فى وجود الإنسان ذلك الوجود الوقتى العرضى الذى يبدأ من عدم ثم يُزود تباعًا بأجهزة واستعدادات قبل أن يخرج إلى دنيا الوجود ليستكمل نمو حياته إلى أن ينحدر بعده إلى تقلص ثم انطفاء وجوده تاركًا بقايا وأشلاء تتحلل إلى مكونات الكون غير الحىّ !

• الإخلاص إفراد الحق سبحانه فى الطاعة بالقصد، وهو أن يريد العبد بطاعته التقرب إلى الله دون أى شىءٍ آخر .. ليس فيه تصنع لمخلوق، أو اكتساب مَحْمدة عند الناس، أو محبة مدح مع الخلق، أو أى معنى من المعانى سوى التقرب إلى الله تعالى.

• ليس من الصوفية، من ادعى المقامات، وزعم الكرامات، وقصر فى أداء الفروض والعبادات.

• التجافى من دار الغرور، هو السمة الواضحة لانتفاضة المهاجر إلى الله .

❁ ❁ ❁

• بين فكر الآدمى وشعوره جسر حى قائم ودائم وموصول، به يترجم فكر الآدمى عن شعوره فى عملية عقلية صرف مليئة غالبًا بالأخطاء والمغالطات والأخطار، مبناها المشابهة والمقارنة لما هو مسجل من قبل فى « الذاكرة » من الأسباب والمشاعر لأمثال هذا الشعور . هذه الترجمة التى

ينهض بها العقل لاحقة بداهة فى الترتيب الزمنى على وجود الشعور، وتتوقف مساحتها وعمقها على الرجوع لحصيلة « الذاكرة » وما سجلته على قدر سعة صاحبها وحظه من المعرفة والإدراك والنباهة والفهم .

• ليس حُرًّا من دامت معه الأهواء والشهوات .. الحُرُ من احتلت الحقائق لديه مكان الأهواء والنزعات والشهوات.. وهو حرٌ ما دام يهتدى بالحق أينما كان.

• أخطر الأخطار طلب السلامة ببذل الاستكانة والخضوع، فلا رجاء فيمن يغلبه الخوف ويقعد به الجبن عن اتخاذ الأسباب وخوض الغمار .. وقديمًا قالوا : يفوز باللذة الجسور .

• ليست آفةُ العجز نقصًا فى الفهم، ولكنها نقص فى عزيمة العمل وضعف فى الشعور بالتبعية والمسئولية .

• هم الغد حيطة نافعة وهمة محمودة، ولكن هم الزمن كله عجز ذميم وحماقة خاسرة .

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
حديث الخاطر
(٢١٦)

• حياة البشر الذين يجتمعون لينتشروا، وينتشرون ليتجمعوا، ليست فيها يبدو مبنية على « المطابقات » كما فى الكيانات غير الحية، فمعلوماتنا عن الأحياء أقل دقة ـ مهما اجتهدنا، عن معلوماتنا ومعارفنا بالنسبة لغير الأحياء، مرجع ذلك أن الدقـة أكثر تمكنًا فـى « المتطابقات » التى لا تختلف ولا تتغير عناصرها ومركباتها، وما نشاهده فى الحشرات والميكروبات والفيروسات من ميل شديد للانتشار ـ هو مجرد انتشار غريزى للتكاثر والتغذية فقط، وليس انتشارًا لنمو باق وتطور مطَّرد فى الاستعدادات والأجهزة كما لدى الآدميين. وللخالق سبحانه وتعالى حكمة فى هذا كله نحاول باستمرار فهم جانب منها خلال المسافات بين إيجاد وانسحاب الأفراد والأجيال والعصور !

• قال بعض الحكماء : لا تتكلف ما لا تطيق، ولا تنفق إلاَّ بقدر ما تستفيد .

• ليس الواقع هو الحق فى كل الأحوال ؛ فالباطل أيضًا واقعٌ لا شك فيه . وقد يكون الحق مرامًا مأمولاً لمغالبة واقعٍ ملىء بالأباطيل !

• تعظيم الله، هو امتلاء القلب بجلال الرب.

❁ ❁ ❁

• ليست دنيا البشر على صورة ثابتة قط، فهى تتغير وتظل تتغير باستمرار فى هذا الكون الصائر هو والحياة دائمًا .. سنرحل عن هذه الدنيا

كما رحل من سبقونا، وسيأتى بعدنا كما أتينا وأتى من سبقونا ـ يأخذ اللاحق من السابق ويزيد عليه أو ينتقص منه .. بين دنيانا وبين الأرحام التى نتشكل فيها مشابهة عامة من حيث الاستقبال ثم العناية والنمو، ثم الطرد، أما إلى ماذا أو إلى أين يكون ذلك الطرد المحتوم من الدنيا، فشىء لا يدركه إدراكًا فعليًا وعى البشر وقصاراه أن يمتلئ به إيمان المؤمن على ما يحتمله عقله !

- الرذيلة كالفضيلة .. تتملك نفس الإنسان درجة درجة !!
- يحسن القاضى صنعًا إذا نَزَّه نفسه عن السخط على المجرم ليستوى له صفاء التقدير والحكم، بينما تمرض المجتمعات إذا برئت من السخط على الجانحين والمجرمين، لأن ذلك بلادة مجتمعية تساوى بين الإجرام والسواء!!
- من أقوال الصوفى أبى مدين الغوث : « أغنى الأغنياء من أبدى له الحق ـ سبحانه ـ حقيقةً من حقه، وأفقر الفقراء من ستر الحق ـ سبحانه ـ حقه عنه » .

ومن أقواله : « أسماء الله تعالى بها تعلق وتخلق وتحقق » :

فالتعلق شعور بمعنى الاسم.

والتخلق أن يقوم بك معنى الاسم.

والتحقق أن تفنى فى معنى الاسم .

- علامة الإخلاص أن يغيب عنك الخَلْقُ فى مشاهدة الحق.

❁ ❁ ❁

- لا يسعى الإسلام لفرض دين، ولا يجبر على هداية .. سماحته فى الدعوة عنوان لمتانة بنائه واستقامة عناصره .. « ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ

بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالتى هِيَ أَحْسَنُ » (النحل ١٢٥) ..
رسول القرآن عليه البلاغ والإرشاد لا الفرض ولا الإجبار ..
« إِنْ عليكَ إِلا الْبَلاغُ » (الشورى ٤٨) .. « إِنْ أَنتَ إِلا نَذِيرٌ. إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلا خلا فِيهَا نَذِيرٌ » (فاطر٢٣، ٢٤) ..
«لَّيْسَ عليكَ هُدَاهُمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء» (البقرة / ٢٧٢) ..
« إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء. » (القصص ٥٦) ..
لا يتعقب الإسلام ولا يطارد أحدًا أو يفرض نفسه عليه ..

« لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ » (البقرة ٢٥٦) ..
« أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ » (يونس ٩٩) ..

« فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عليهَا وَمَا أَنَاْ عليكُم بِوَكِيلٍ » (يونس ١٠٨)

- المفلس من أتبع نفسه هواها !!
- ينتحر عملاً من ينتهى إلى حالة من التسليم تغنيه عن الانتحار، لأنه لا يواجه الدنيا ولا تغريه رغبة تدفعه للعمل والكفاح !
- كل ما فاتك ـ من الله سوى الله ـ يسير، وكل حظ لك سوى الله قليل .

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢١٧)

• سماحة الإسلام مع منظومة سجاياه رسالة إلى الدنيا فرقت بين عهدين.. تسالم وتبث المحبة والإسماح ولا تبادئ بعداء، ولا تلفظ من رحابها أبناء الملل والديانات الأخرى، بل هى تؤمّن الكافر وتجيره حتى يسمع كلام الله ثم تبلغه مأمنه .. فى القرآن المجيد : « وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ » (التوبة ٦)

• من كلمات العقاد :

بين الجليل والمضحك لمحة خاطفة، يحذرها العقل الذى يُفْرط فى إجلال القداسة .

ومن هنا كان حذر الإمام الغزالى من الفكاهة مع قدرته على قياس الفوارق المنطقية !

• إن الله تعالى عَجَّل لأرواح أوليائه التلذذ بذكره، والوصول إلى قربه، وعَجَّل لأبدانهم النعمة بما نالوه من مصالحهم، وأجزل نصيبهم من كل كائن. عيش أبدانهم عيش أهل الجنة، وعيش أرواحهم عيش الربانيين .

• الطريق إلى الله أوله توبة واستغفار، بهما وبالإخلاص فيهما يرتقى السالك من مقام التوبة حتى يصل إلى مقام المحبين، حيث منه إلى مقام المقربين، فانفردت روحه بالذكر، وجالت فى ملكوت الله عز وجل، ونهلت من حياض المعرفة .

❁ ❁ ❁

• ليس فى وسع فرد أو أفراد ـ قيادة أو تقويم كل البشر أو غالبيتهم، فللقيادة والتقويم حدود، سواء لدى القادة أو المقودين، ويجب لذلك على الناس أن يسلموا بضرورة توزيع القيادة والتقويم على أوسع نطاق، وأن يتوقعوا دائمًا اختلاف وتغير ذلك التوزيع حسب الأزمنة والأمكنة والجماعات والطبقات .

• المحب يتحبب إلى محبوبه بكل شىء، ولا يتسلى عنه بشىء، يتبع آثاره، ولا يدع استخباره .

• قد تروى لك الزهرة المتفتحة، من فخامة أسرار الحياة ما تملأ به آفاق الأرض وأبراج الشموس والكواكب والأقمار !

• الأنس بالله، هو استبشار القلوب بقرب الله تعالى، وسرورها به، وهدوؤها : فى سكونها إليه، وأمنها : معه، من حيث الروعات، وإعفاؤها لها من كل ما دونه : أن تشير إليه، حتى يكون سبحانه وتعالى هو المرجع والمبدأ والمنتهى .

❁ ❁ ❁

• الجماعات بفضل الشعور القوى بالتماسك، تكون قابلة مهيأة للاتساع فتتسع وتزهو بقوتها، ثم لا تلبث حتى تنصرف إلى الاستمتاع بذلك الاتساع وما يصحبه فى البدايات من رخاء يسلس إلى استرخاء يدخل بدوره فى دائرة الاعتياد، فيقود إلى الرخاوة والطراوة !

• لقد جُبلت القلوب على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها .. فكيف بمن لم ير محسنًا غير الله، مَنَّ علينا سبحانه بكل شىء مع نعمة الحياة التى وهبنا، كيف به لا يميل بكليته إليه، ويحبه ويحب من يحبه ؟!

• خوف الموت كخوف الحياة، فكلاهما من شيم الضعفاء !

• تأتى المعرفة إلى القلب من وجهين : من عين الحسود، ومن بذل المجهود.

❁ ❁ ❁

• قلما لاحظ أو يلاحظ الآدمى ـ أى آدمى ـ أن « التكرار والإعادة » هما فى بنية وأسس الكون كله، بجميع ما فيه من شموس وأرضين وكواكب وأجرام وأفلاك ومجرات وعناصر وذرات وجزيئات ومركبات وقوى وطاقات .. وأيضًا فى بنية وأسس الحياة والأحياء جميعًا بغير استثناء .. وأن التكرار والإعادة هما أيضًا فى بنية وأسس الزمان والمكان، وأنهما لذلك فى بنية الوجود والموجود !

• لا بد للمريد، السالك فى الطريق إلى الله، من ثلاثة أصول يعمل بها، بها يقوى إيمانه، وتقوم حقائقه، وتثبت فروعه، وتصفو عند ذلك أعماله:

الإخلاص
والصدق
والصبر

• الدنيا كقبض الريح .. يذهب المال، وينطوى النجاح، وقد يذهب العقل قبل أن ينزل النار، ويفارق الحى دنياه دون أن يأخذ معه منها شيئًا !!

• إذا أعوزك الرضا، فالجأ إلى الطيران واستراق النظر من فوق هامات الشجر! ستجد جماعات العصافير سعيدة تشدو بأعذب الألحان.

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(٢١٨)

يستحيل على الآدمى بخلقته وطبعه واستعداداته وأجهزته ـ أن يعى وجوده ـ ووجود العالم من حوله، إلاّ عن طريق التكرار والإعادة وفى إطارى الزمان والمكان .. وهـذه نسبية لا مفر له منها، تكوِّن كل تصوراته، ولا تنجو منها أفكاره قط .. بل هو يشهدها دون أن يفطن لها، وهو فى قيد هذه النسبية منذ أن يولد إلى أن يموت، لا يمكنه دائمًا وأبدًا أن يتخلص منها مهما اجتهد وتقدم وتطور !

قالوا فى الصدق دعامة السالك فى طريقه إلى الله، إن الله عز وجل قال فى كتابه العزيز :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ » (التوبة ١١٩) وقال جل شأنه : « فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ » (محمد ٢١) .

وقال ﷻ فى وصف المؤمنين:«رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عليهِ » (الأحزاب ٢٣) .

وقال تعالى : « وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ»(مريم٥٤)

وقال ﷻ : « لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ » (الأحزاب ٨)

وقال عز من قائل : « وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا » (الأحزاب ٣٥) .

- البخيل فيما قيل عبد الدرهم، لأن حبه للدرهم ليس لما يشتريه أو يحصل عليه به، وإنما محبةً له فى ذاته !!!

• كل مهاجر ينسى شيئًا فشيئًا ما كان وراءه، إلاَّ المهاجر إلى الله، فيزداد ذكرًا كلما اقترب من الحضرة القدسية.

❁ ❁ ❁

• من التكرار والإعادة، كانت كل الصفات والعادات الآدمية، الإيجابية والسلبية، وجميع ما مع البشر من فضائل ورذائل، ومن مزايا ونقائص .. ذلك أنه يستحيل على البشر البقاء بلا عادات، وهذه العادات هى حصاد التكرار والإعادة - تنفذان منها إلى استعدادات الآدمى وأجهزته البدنية والنفسية والعقلية، بل إن هذه الاستعدادات والأجهزة تصبح بلا معنى إذا لم تكن مهيأة للإعادة والتكرار بما فيهما من خير وشر !

• قالوا فى الإخلاص سبيل السالك فى الطريق إلى الله، أن أساسه قول الله عز وجل : « فَاعْبُدِ اللهَّ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ . أَلا للهَّ الدِّينُ الْخَالِصُ » (الزمر٢، ٣) وقال تعالى : « فَادْعُوا اللهَّ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ » (غافر ١٤) .

وقال عز وجل لنبيه المصطفى ﷺ : « قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَّ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ» (الزمر ١١) .

وقال سبحانه : « قُلِ اللهَّ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي » (الزمر١٤) .

• ليست المتعة أن تلعب وحدك ويغبطك أو يتفرج عليك الآخرون، أو يغطون في نوم عميق . المتعة أن تتناغم مع الآخرين، لتعزفوا معًا لحن الحياة!

• من المفارقات أن حب الدنيا مصدر شقائنا، وأن الهروب منها هو الملاذ الذى نفىء فى النهاية إليه !

❁ ❁ ❁

• المسلم غنى بهدايته، لا يفقره ولا يضره ضلال غيره ..
« عليكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ » (المائدة ١٠٥) .. الإسلام يمد يده بالسلام والمحبة والإسماح .. السماحة خصلة أصيلة وشميلة رفيعة من خصاله وشمائله .. يصدر عنها المسلم فى علاقته بالمسلمين، وفى تعامله مع غير المسلمين .. فى بيعه وفى شرائه، وفى استئدائه وفى أدائه .. فى الحديث النبوى : « رحم الله رجلاً سمحًا إذا باع، سمحًا إذا اشترى، سمحًا إذا قضى، سمحًا إذا اقتضى » .. المسلم مأمور بالأخذ بروح الإسلام ومهجته وتسامحه .. « خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ » (الأعراف ١٩٩) .

• قالوا فى مقام الصبر فى طريق السالك إلى الله، إن الله تبارك وتعالى قد أمر المؤمنين بالصبر، فقال:
« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ » (آل عمران ٢٠٠) .
وقال سبحانه : « وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرينَ » (النحل ١٢٦) .
وقال عز وجل لنبيه المصطفى ﷺ : « وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ » (النحل ١٢٧) .
وقال تعالى : « وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا » (الطور ٤٨) .

• من كلمات العقاد : أكثر ما تأتى المعارضة من الذليل الذى يفتقد الكرامة كلما أطاع أمرًا يتلقاه من سيدٍ مُطاع، وقلما تأتى المعارضة حُبًّا للمعارضة من ذى كرامة يطمئن إليها ويطمئن إلى الاعتراف له بها من غيره!

• يوم عابس، اليوم الذى لا تجد فيه ذكريات تفئ إليها .

❀ ❀ ❀

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢١٩)

• عاش الإسلام معطرًا بباقة ما تحلى به من سجايا وخصال وشمائل، موصولاً بالناس ـ كل الناس، المسلم وغير المسلم، بسماحته التى صاحبت رسالته منذ نزلت وللآن ـ ومن اللافت أن سماحة الإسلام لم تتوار حتى فى فترات الهبوط والانحدار أو استبداد وبطش بعض الملوك والحكام والأمراء والولاة .. وهذه حجة مضاعفة لسماحة الإسلام التى لم تستطع صور البطش التى سقطت فيها بعض فترات الحكم فى هذا القطر أو ذاك، أن تحول دون حضور سماحة وإسماح الإسلام، وإلى هذا الحضور سر الحضارة الإسلامية التى مضت متسامقة رغم كل شىء، تتسع بقيم ومبادئ وسماحة الإسلام للمسلم وغير المسلم، وتفسح لكل قادر أيًّا كانت ملته أو ديانته ليصب عطاءه فى نهر هذه الحضارة التى ظلت دافقة متدفقة لعدة قرون .

• قالوا فى مقامات السالكين فى الطريق إلى الله، وفى مقاماته :

الإخلاص والصدق، والصبر :

الإخلاص لا يتم إلاَّ بالصدق فيه، والصبر عليه .

والصبر لا يتم إلاَّ بالصدق، والإخلاص فيـــه .

والصدق لا يتم إلاَّ بالصبر عليه، والإخلاص فيه .

• من قلة الإنصاف أن تطالب الناس بما لا تفعلـــه !

❀ ❀ ❀

• يعتنق الإسلام، ويعرف المسلمون من قرآنهم المجيد، أن الناس قد خلقوا مختلفين فى عقولهم وقدراتهم، وفى فهمهم وعقائدهم .. هذه السنة الكونية تحدث عنها القرآن الحكيم فقال : « وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ » (هود ١١٨) .. لا يقابل الإسلام هذا الاختلاف بالازدراء أو بالعداء، وإنما يمد له الهداية والإسماح.

• هل يتذكر قاطعو الطريق على كوبرى ٦ أكتوبر وأشباهه أن قطع الطريق من أعمال الإفساد فى الأرض التى ينطبق عليها حد الحرابة الذى تقدموا هم أنفسهم بمشروعه إلى مجلس الشعب لإصداره للأخذ بحد الحرابة بتقطيع الأيدى والأرجل من خلاف .. هل يعون أنهم يرتكبون الآن ما ينطبق عليه حد الحرابة الذى يطالبون به ؟!!! فقط للتذكير فإن الذكرى تنفع المؤمنين؟!!!!!!!!!!

• قد تجمعك الأشواق بالزمان والمكان، وقد يكون للمكان ثبات .

أما الزمان، فلا ثبات له !

وأما الشوق، فلا يورث إلاَّ الحزن !

❁ ❁ ❁

• على كثرة وضخامة وجسامة ما تعرض له المسلمون من أذى شديد من الكفار، أمروا بالاعتصام بالصبر والإسماح ..وصبروا .. «وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ » (آل عمران ١٨٦) .

• سُئل الخراز عن مقام التوبة : أوائل طريق السالك إلى الله، تدل على أنها مقام يفضى إلى مقامات متتاليات.. مقام التوبة يفضى إلى مقام الخوف الذى يفضى إلى مقام الرجاء.. ومن مقام الرجاء إلى مقام الصالحين فمقام

المريدين.. ومنه إلى مقام المحبين فمقام المشتاقين، حتى يصل السالك إلى مقام الأولياء ثم مقام المقربين .. حيث إدمان النظر فى نعمه عِزَّ وجل وأيادى إحسانه، وحيث تنفرد النفوس بذكر ربها، وتجول الأرواح فى ملكوت عِزِّ الله، وترد على حياض المعرفة وهى شاخصة ناظرة هائمة فى محبتها لله عز وجل .

- لا يسىء الأحياء الظن بالحياة، وإنما يسىء الظن بها من صاروا فى قبضة الموت أو فى قبضة الإفلاس الروحى !
- شراب العارفين، النجوى إلى الله !

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(٢٢٠)

• من العجيب اللافت للنظر، أن عامة أهل الأديان السماوية فى كل عصر ـ يعترفون بأنهم عرفوا الخالق عن طريق العقل . لكنهم مع ذلك قلما يذكرونه ذكرًا جادًا .. تطويهم عن ذكره الجاد تلك الشواغل والتفاهات والرواسخ القديمة التى تنشغل بها عواطفهم ويغرقون فى تلبيتها ومراضاتها بإشباع الملاذ والشهوات والأطماع والأحقاد التى تملأ معظم أيام كل منهم، وتصرفهم صرفًا عن رقابة وحساب الخالق جل شأنه على ذلك الجانب المتمرد المتحدى من حياتهم الذى يفارقون به حدود ملتهم أو ديانتهم ..

• الكل يدعى الآن أنه المتحدث باسم الشعب ؛ والشعب صامت مغلوب على أمره ؛ سرقوا منه الكلمة مثلما خطفوا مصيره ؛ بينما لسان حاله يجتر من أغنية عبد الوهاب : « كنت فى صمتك مرغم » ! فهل سكت الأشاوس الأدعياء قليلاً وأفسحوا للشعب الظليم ليتحدث هو عن نفسه بما يريد؟!!!!!!!!!!!

• تنصلح أحوال البلدان، حين يؤمن أهلها بأن عاقبة الجبن أوخم من عاقبة السلامة !

❁ ❁ ❁

• التعانق الفريد، بين « المساواة » و« التسامح » فى الإسلام، شكل ملمحًا ناصعًا من ملامح عالمية هذا الدين .. لا يطلب الإنسان .. أى إنسان.. من دين لا يدين به، أكثر من أن يحس فى كنفه بالمساواة مع الجميع .. قد خلق الناس مختلفين متمايزين .. تتسع الديانة للعالمين حين تراعى

هذا، فتفتح قلبها بالمساواة والتسامح ليحيا الجميع فى دوحتها فى مساواة لا تمييز ولا تعالى ولا اضطهاد فيها .. عبقرية الإسلام أن « الأمان » الذى تبنى دوحته، يؤمه ويستظل به غير المسلم مع المسلم، لا يصادر على أحد فى دينه أو ملته أو معتقده .

- كيف يعرف خالقه ؛ من لا يعرف نفسه !!!!!!!!!!!
- من أوجع كر العصور وتعاقب السنين، رحيل الأحباب ودفن الأولاد والأحفاد !!

❁ ❁ ❁

- الوفاء بالوعد والعهد وبالمواثيق، مبدأ عام أوصى بـه القرآن المجيد : «وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئولاً » (الإسراء ٣٤) .. فى صفات المؤمنين: « وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ » (البقرة ١٧٧) .. العهد المتغيا هو كل عهد.. فى أى صورة من صوره، وبأى شكل من أشكال إبدائه أو إثباته .. العهد الشفوى كالكتابى، والعهد بصيغته العامة وبأى عبارة يقال، كالعقد الذى يبرم ويعقد بين أطراف .. فى القرآن الحكيم : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ » (المائدة ١) .. يمتد هذا الوفاء المأمور به إلى وجوب أن تصادق الأفعال الأقوال ..
- من الحكم العطائية : « لا تستبطئ منه النوال ـ ولكن استبطئ من نفسك وجود الإقبال » !!
- الكمال حلم يعيش فى الخيال، ولو تحقق فى الوجود ما طابت للحى حياة!
- يكابد الإنسان فى الحياة ليبنى ويثرى ويعمر، حتى إذا ما كاد يفرغ من إعداد المنزل الذى تمناه، ترامى إليه نداء الرحيل !

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٢١)

• إن العالم الذى فيه نعيش الآن، مقبل من سنوات خلاف الجانب المظلم الذى نعانيه من أطماع الدول وشطحات القوة ـ على عهد جديد بالغ الخطورة والأهمية لم تجرب الإنسانية مثله من قبل .. قد يغير معظم ما معنا من مفاهيم وأفكار ومعارف وتصورات.. مقومات هذا العهد الذى غزا الفضاء وعالم الإلكترونيات وأحدث ثورة علمية مهولة ـ يبعدنا حتمًا عن التنافس والتسابق على ما اعتادت الأرض أن تمنحنا إياه من خيرها المحدود الذى نتخيله ونتطاحن عليه، ومن الانتهازية التى تفرضها هذه المحدودية، ومن الأنانية التى يولدها حتمًا هذا التزاحم والتناحر والشعور الملازم بأن حياة كل منا تتوقف على استمرار الكفاح طبقًا لقانون البقاء للأصلح .. هذا العهد الجديد الواقف فى أعتابه الآن ملايين الملايين من الصغار والشباب يبعدنا وحتمًا أيضًا عن التمسك الضرير العاجز بما ألفناه وانحصرنا فيه خلال آلاف القرون التى لازم فيها جنسنا هذه الأرض .. ما يجرى الآن نذير للأفراد والجماعات بتغيير جوهرى يفارق ما ألفناه منذ القدم من الاستسلام أو الإذعان لنداءات عواطفنا دون حساب لصوت الفطنة والتبصر والعقل !

• الحاضر نور يخفق بين ظلمتين، ماضٍ تولى، وآت لا نعرف له حالاً!!

• من دعاء الصالحين : اللهم وسع علىّ رزقى فى دنياى، ولا تحجبنى بها عن أخراى.

❁ ❁ ❁

• لا ينبغى أن تحجب السحب الكثيفة التى تجمعت وما زالت تتجمع الآن فى أفق البشرية ـ لا ينبغى أن تحجب عيوننا عن رؤية هذه النقلة الجديدة العلمية التى لا يمكن أن يحتكرها أو ينفرد بها أفراد أو خاصة من الناس، أو تحجبنا عن المستقبل الذى يصحبها للبشرية كلها، كما لا ينبغى أن تفقدنا نوبات وانفعالات وحماقات العناد والنزق والغرور والتعصب ـ الالتفات والحرص على ما صار فى حوزة البشرية الآن من أسباب وأدوات ووسائل التقدم الهام الهائل غير المتوقع .. لم يعد معقولاً اندفاع العواطف والأفكار السطحية المشوشة، ولا « القوة » المزهوة الباطشة، إلى « مقتلة» عامة شاملة يتبادل فيها الآدميون بلا وازع ـ التدمير والتخريب والهلاك والإهلاك .. إن ما صار الآن فى متناول البشرية، رصيد عام لا تستأثر به دولة أو فرد أو جماعة، وإنما هو حصاد عام تحقق عبر أجيال ساهمت فيه حضارات تلو حضارات، ودان به للناس جميعًا ما يمكن أن يحمل إلى البشرية كلها الخير والنماء ما دامت قادرة على وقف حماقات الحمقى والجهلاء والطغاة !

• من المؤسف أن يضطرك الواجب للدفاع عن اللصوص ومطاردة الشرفاء !

• الدين الخالص : هو ما ليس لغير الله فيه نصيب.

• لا تقنط الناس، وذكرهم بأنعم الله تعالى.

❁ ❁ ❁

• عمود الإسلام، الذى غير واقع الدنيا، هو اتجاه العبد إلى خالقه بكلياته وجزئياته بإخلاص تام وأمانة كاملة مع الشعور بفيض الرحمة والود الذى يثيره حتمًا ذلك الاتجاه .. هذا الاتجاه لا يتغير إذ الخالق جل وعلا لا يتغير، وإنما الذى يتغير هو اتجاه الآدميين إليه سبحانه، وجودًا

وعدمًا، قربًا وبعدًا، جدًا وهزلاً، فهمًا وغباء، علمًا وجهلاً .. وذلك على قدر بيت وبيئة الآدمى ووسطه وعصره وزمانه ومحيطه . فكل اتجاه جاد يشعر الآدمى بجده نحو خالقه ـ هو اتجاه مقبول عند المسلم يصاحبه ـ لكى يصبح مسلمًا ـ الإيمان بالعقائد والاعتراف بالشعائر المقررة على كل مسلم، ومن هنا توطدت أسس العلاقات السلمية فى القرآن بين المسلمين وبين غير المسلمين وأهل الكتاب .. لم تغمض عيون الإسلام قط عن أن الناس خلقوا مختلفين، وأن هذا الاختلاف يجرى بين الأفراد، عقولهم وقدراتهم وملكاتهم وفهمهم وعقائدهم ومذاهبهم .. فى القرآن المجيد بيان لهذه السنة الكونية : « وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ » (هود ١١٨) .. روح وعمود الإسلام التفاته المحمود إلى هذا « الاختلاف » وموافاته بما يقتضيه من محافظة على العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين ..

- قال بعض الصوفية : من أراد الصفا فليلتزم الوفا ..
- الوفاء بالفروض، والوفاء فى العهود، والوفاء بالعقود.

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٢٢)

• العالم الجديد الذى وضع الإسلام مفتاحه أمام الناس، عالم مفتاحه الإصرار على الوفاء والإصرار على الأمان من جانب المسلم .. الوفاء بالوعد الذى يعده المسلم لغير المسلم والإصرار على الأمان الذى يجير به المسلم غير المسلم ويبقى وفيًا به ملتزمًا بمقتضياته إلى أن يبلغ غير المسلم مأمنه .. ظل المسلمون على ذلك وصاحبهم الوفاء والأمان فى مراحل تكوين امبراطوريتهم وازدهار حضارتهم ـ إلى أن دخلوا مع الناس فيما اصطلح عليه الناس ـ وما زالوا فيه بآلامهم وآمالهم إلى اليوم.

• قليلون من بقوا يتمسكون بحبل الوفاء والإيلاف .

• قال شاعر من الزمن الأول :

أودك ودًّا ليس فيه غضاضةٌ : وبعض مودات الرجال سرابُ .

• إذا ظهر الحق لم يبق معه غيره.

❁ ❁ ❁

• لا شىء يبرر ـ فى أحكام الإسلام ـ نقض العهود والمواثيق، حتى خيانة من اتفق وعاهد وخان .. لا يزين الإسلام للمسلمين ـ بل يأبى عليهم ـ أن يتخذوا من خيانة المعاهد ذريعة للتردى فى مثلها، وإنما لهم فقط أن يواجهوا خيانته بما يردها عليه ودون أن يتعدوا ذلك إلى الجور والتنكيل .. فـى القرآن الحكيم : « وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرينَ » (النحل ١٢٦) .. وفى حديث رسـول

القرآن : « من كان بينه وبين قوم عهد، فلا يحلنّ عهـدًا، ولا يشدنه، حتى يمضى أمده أو ينبذ إليهم علـى سواء » .

• أولى بالحصيف ـ مع قصر أعمارنا ـ ألا يصرف همه إلاَّ فيما يرجو به رَحْبَ المنقلب، وحُسْن المآب غدًا .

• الدين الخالص : هو ما خلا من الشرك الظاهر والشرك الخفى، وما خلا من شرك السرائر.

• سُئِل الصوفى سهل بن عبد الله : أى شىءٍ أشد على النفس ؟ قال : الإخلاص، لأنه ليس لها ـ للنفس ـ فيه نصيب.

❁ ❁ ❁

• أمان الجوار للمسلم، لا يخرج منه أحد .. يعطى ويبذل للمسلم والكتابى ولغير الكتابى، وللعربى ولغير العربى، الطريق الفسيح لأولئك أو غيرهم لاعتناق الإسلام والحرص عليه ـ هو الثقة التامة فى كلمة المسلم ووعده وعهده، وفى جيرة وجوار يمنحه المسلم لإنسان يخاف حتى يبلغ مأمنه .. « وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّـهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ »(التوبة ٦)

• قيل فى الزمن الأول : أريحوا النفوس فإنها تصدأ كما يصدأ الحديد .

• قال بعض الصوفية : لا يصلح لبساط الحق من أهمل فى الأحوال.

• الزهد هو خلق القلب عما خلت منه اليد.

• العارف سائر إلى الله تعالى بين جناحين : مشاهدة المنة من الله تعالى، ومطالعة عيوب نفسه .. فلا يسير إلاَّ بهما، كالطائر لا يطير إلاَّ بجناحين.

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(٢٢٣)

• روح وعمود الإسلام، هو فى هذا الجوهر الذى عَمَّر به الإسلام حياة الدنيا ووصل به حيوات الناس .. لذلك فإن قيمة الإسلام لا تنحصر فى محض ما أنجزه وحققه، وإنما فى تلك الروح التى استطاع بها أن يكون قاطرة البشرية من عهد مظلم إلى نور جديد .. قيمة التراث هى فى قدرته على بعث عقول ونفوس جديدة مزودة بهذه الروح التى بها خطا المسلمون خطوات سبقوا بها زمانهم وعالمهم إلى مزيد حققوه من الوفاء والأمان، ومن السلام والعطاء، ومن الاستنارة والمعرفة والعلم .. لم يكن المسلمون الماضون قادرين على تحقيق ما حققوه، وإنجاز ما أنجزوه لولا هذه الروح أو هذا العمود أو ذلك المفتاح الذى أعطى به الإسلام الأمان والسلام وغير وجه الحياة .

• لجلال الحب دقت معانيه عن أن توصف إلاّ بالمعاناة !

• من أقوال ابن القيم : لولا أن الله سبحانه وتعالى يداوى عباده بأدوية المحن والابتلاء ـ لطغوا وبغوا وعتوا !!!

❁ ❁ ❁

• تقدم الإسلام والمسلمون، وأقاموا الامبراطورية العظمى، والحضارة الرفيعة، لأن عيون الدعوة كانت ملتفتة من واقع الدين نفسه ومبادئه ومثله وأحكامه إلى البناء وإقامة ما ينفع الناس من هداية ونظام وصلاح هو رسالة الإسلام ذاته إلى الدنيا . لم تكن الرسالة تقويض امبراطورية الفرس أو الرومان، أو اجتياح بلدان، وإنما هى رسالة نور وهداية .. تتغيا تغيير الواقع الكئيب إلى «خفقات» جديدة تشد الحياة والأحياء إلى الأمام بقيم باقية تختلف عما كان فيه الناس !

• قيل فى حديث مرفوع بسنده إلى أبى الدرداء :

« أَجِمُّوا النفوس بشىءٍ من الباطل ليكون عونًا لها على الحق ».

• فارقٌ بين الشح والبخل، فالشح هو شدة الحرص على الشيء والإلحاح في طلبه والاستقصاء في تحصيله مع جشع النفس عليه، والبخل منع إنفاقه بعد الحصول عليه وإمساكه وحبه والحرص عليه . فالمصاب بهذا الداء شحيح قبل حصوله، بخيل بعد حصوله !

• السخي قريب من الله تعالى ومن خلقه وأهله، قريب من الجنة، بعيد عن النار .

❁ ❁ ❁

• مقومات المجد، كانت في روح الإسلام ومفتاح العالم الجديد العامر بالقيم والأخلاق والتسامح والوفاء الذي قدمه الدين للناس وهداهم إليه .. في ذلك الأمان الوارف الجاذب الذي قدمه الإسلام والمسلمون لأبناء الأديان والملل والنحل الأخرى وأحاطهم به، في ذلك التعايش الذي تعايش به الإسلام بمنظومته الرفيعة الخلابة مع كل الأديان والحضارات، فجذب الناس وشدهم إليه، واستظلوا به، وأعطوا في دوحته، فكان هذا وذاك هو « مائدته » الرشيدة الحكيمة التي هدت القلوب والأفئدة إليه، فأقدموا طائعين محبين راغبين على الاقتراب منه ثم الدخول إليه .

• من أقوال الصوفي يحيى بن معاذ :

« من لم ينظر في الدقيق من الورع لم يصل إلى الجليل من العطاء ».

• قيل في الحب إنه اتصال بين أجزاء النفوس المقسومة في هذه الخليقة في أصل عنصرها الرفيع !

• تتراوح حياة العبد بين نِعَم، ومحن .. فإن ترادفت عليه نعم من الله تعالى استقبلها بالاعتراف بها في باطنه، والتحدث بها في ظاهره، وقام بتصريفها في مرضاة ربه . فإن ابتلاه ربه بمحن، استقبلها بالصبر .. وهو حبس النفس عن التسخط بالمقدور، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن المعصية. فإن قام العبد بذلك كما ينبغي، انقلبت المحنة في حقه منحة، وصارت البليّة عطية !

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٢٤)

• قد أدى وهن الأخلاق مع اتساع العمران وكثافة السكان وعدم إخضاع المهن والحرف لقانون ينظم مزاولتها فيما عدا المهن الحرة ـ إلى تصور أن العربدة مباحة لكل من يحلو له أن يعربد، فهان الادعاء والاحتيال واستهواء الخلق والاتجار بولائهم وحياتهم وسلب أموالهم، ولم يعد الأمر مجرد مبالغة فى النظر إلى الذات مصدرها الفطرة، بل صار ميدانًا فسيحًا لمغامرات جسورة خطيرة تنشد الثراء والإمارة والسلطان . قد تسفك فى مقاومتها الدماء، وتبذل الأموال، وتنفق الأعمار !

• حسن الظن بالله، هو حسن العمل بما أمر به، واجتناب ما نهى عنه .

• فى الحديث الشريف : « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله » !!

• تتفاضل الأعمال عند الله تعالى بتفاضل ما فى القلوب من حقائق الإيمان والإخلاص !

❁ ❁ ❁

• الأهمية والكرامة اصطلاح دارج فى جماعة قد تتسع فتشمل الاشتراك فى اللون أو الاشتراك فى الذكورية أو فى الأنثوية أو فى الأصل كالآريين والساميين والزنوج والتتار والمغول، وقد تضيق فتشترك فى النجع أو المخيم أو القرية أو المدينة أو القطر ـ وقد تنتشر فى اليابسة أو فى البحر صيدًا ونقلاً، أو فى العمار أو فى الصحراء أو فى الوديان والجبال .. وقد يستعمل الاصطلاح فى أمة أو فى طبقة أو طائفة أو فى دين أو مذهب، وقد يكون اصطلاح عصر أو زمان، أو اصطلاح أذواق وثقافة وحضارة . وهذه فرص أو أوضاع أو

أحوال مختلفة لاختلاف معنى الأهمية والكرامة بالرغم من حرص كل آدمى صغيرًا كان أو كبيرًا على صيانة أهميته وكرامته والزيادة فيها ما أمكنه ذلك !

- من الخذلان والحمق، رجاء رحمة من لا تطيعه وتخالفه !!
- من أقوال الحسن البصرى : إن قومًا ألهتهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا بغير توبة، يقول الواحد منهم : « إنى أحسن الظن بربى . وكذب . لو أحسن الظن لأحسن العمل ».

❁ ❁ ❁

- نحن لا نتصور حقيقة الواقع قط وأنه سبحانه وتعالى داخلنا وخارجنا .. يشهد نوايانا ويشهد أفعالنا على حقيقتها وليس على صورتها التى نرسمها نحن، ويعرف سبحانه أن صلاتنا ليست صلاة على الإطلاق .. كذلك صومنا وزكاتنا وصدقتنا وحجنا وزيارتنا، وإنما هى خدعة نحاول أن نخدع بها الرب عز وجل من قبيل ما يحاول الممول أن يخدع به مصلحة الضرائب أو مصلحة الجمارك لترضى بأقل القليل . ووراء ذلك تاريخ قديم جدًا لآبائنا وآباء آبائنا ـ اعتاد الناس خلاله على عدم الاكتفاء بالخالق عز وجل، وعلى حشد هائل من الأنبياء والأولياء القديسين وذوى الكرامات، وعدد هائل من الأماكن والأشياء المباركة، والعزائم والأدعية والرقى ذوات الأسرار والبركات والقدرات..وكل أولئك وتلك يؤتى من مصدره إتيانًا ماديًا ليس فيه حساب ولا عتاب!!!
- ليس الاستغفار مجرد ترديد باللسان، وإنما ندم واستعبار، وضراعة صادقة بطلب العفو والمغفرة.
- قال حكيم من الزمن الأول : الرياء وإنْ دق ـ محبط للأعمال مفسد لها!

❁ ❁ ❁

- ونحن قد نحاسب أنفسنا عامدين هذه المحاسبة ـ بسبب أو آخر، دون أن تعود هذه المحاسبة إلى شجاعة وإخلاص ورغبة فى مواجهة صادقة

ومكاشفة بكل ما فعلنا وما نعرفه .. وإنما يدفعنا مخافة الخزى والتسليم بالسقوط والهوان .. نحاول بهذه الخديعة الإبقاء على صورتنا التى اعتدنا على تصورها لأنفسنا وعلى ظاهر احترامنا لذواتنا ـ لكى نظل نتعامل مع أنفسنا كأن إثمًا لم يقع أو لم يقع منا، أو كأن وقوعه بلا قصد أو بلا قصد مشين !!

• معظمنا لا يعرف نفع وقيمة الاعتراف الكامل أمام النفس بكل ما كان فعلاً ونية وهدفًا، ولا يعرف قيمة ونفع سماع الحكم الصحيح الذى تصدره أنفسنا على ما عملناه وعلينا، خوفًا من الجزاء الذى يفرضه هذا الحكم، وفرارًا من تنفيذه أو من عجزنا عن تنفيذه !

• من الرياء تعاطى الأوامر أو الكف عن النواهى ـ لمجرد التجمل فى نظر الخلق، أو طلب السمعة والمنزلة والجاه، أو اتقاء السقوط فى عيون الناس!

• قال بعض السلف الصالح: « احذر إذا رأيت الله يتابع عليك نعمه وأنت مقيم على معاصيه » ! .. وقال بعض العارفين :

« رب مستدرج بنعم الله عليه وهو لا يعلم . ورب مغرور بستر الله وهو لا يعلم . ورب مفتون بثناء الناس عليه وهو لا يعلم » !

• أولى مراتب تعظيم الحق عز وجل، تعظيم أمره ونهيه .. تعظيم أمره عز وجل واتباعه، وتعظيم نهيه واجتنابه !

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٢٥)

• يبدو أن الآدمى لا يشبع من مرضاة نفسه .. فهذه المرضاة وقود حياته .. يتخلل حرصه عليها جميع صلاته وواجباته ومساعيه ودواعيه .. وهو لا يترك ذلك أبدًا مهما اجتهد فى مقاومته أو ستره ، وكثيرًا ما يحاول كبح جماحه والبعد عن الغلو والمبالغة بما يؤديان إليه من إفساد العشرة أو العشيرة ، وذلك بمحاولة الالتفات المعقول لمرضاة الآخرين ، وهم شركاؤه فى الحياة ، واحترام ما تواضعوا عليه من العدل والبر المعروف فى وسطهم وظروفهم وزمانهم .

• كل منا يستحسن وينحاز لنفسه .. حتى فى انتقاده لها أو اعترافه بذنوبها وأخطائها .. يقول لنفسه إن مواضع العيب والملامة فيها طارئة عليها من خارجها ، ويرجو أو يوقن أنها ستفارقه ، وأن نفسه سوف تستعيد براءتها عما قريب !

• من دعاء الكروب ، دعاء ذى النون .. إذ دعا ربه وهو فى بطن الحوت : « لا إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ » (الأنبياء ٨٧) .
قال تعالى : « فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ » (الأنبياء ٨٨) .

• أكمل القلوب ـ القلوب التى استنارت بنور الإيمان ، وانقشعت عنها ظلمة الشهوات، وزالت من أمامها حُجُب الأهواء، وأشرقت بأنوار اليقين.

❀ ❀ ❀

• الحياة يلازمها سعى لا يهدأ ولا ينى ولا يكف ، للحصول على المزيد ومزيد المزيد من الرضا عن النفس ، وهذا المسعى الدائب قطب تدور عليه رحى الحياة ومعها تاريخ البشر المعروف وغير المعروف.. وفيه يختلف الأفراد والجماعات اختلافهم الأبدى الذى يتوزعون فيه بين ناجحين وفاشلين ، وأصحاء ومرضى ، ونشطين وخاملين ، وواقعيين وأصحاب خيال ، وأذكياء وأغبياء ، وأغنياء وفقراء ، وأمراء ومستعبدين ، ومؤمنين وملحدين ، ومعتدلين وجامحين.. إلى آخر هذه التصانيف التى تتفاوت فيها أنصبة الناس!

• بدون « التكرار والإعادة » ـ يستحيل أن توجد نفس أو كيان أو ذات ، أو حاجة أو عاطفة أو شهوة أو أمل أو خوف أو فرح أو حزن ، ويستحيل أن يوجد خيال أو عقل ، ويستحيل أن يقاوم الحى عوامل الموت والفناء ، ولا أن يداوم التناسل والتكاثر وتوالى الأجيال والأطوار والأعمار !

• فى التكرار والإعادة لدى الآدميين ، يغلب غياب البصيرة والتبصر ، تحل محلهما الفطرة أو الغرائز لقرابتهما من اللوازم والضرورات والاحتياجات فى نظر الآدمى المحكوم بالآلية بحكم الاعتياد !

• يقول ابن حزم فى طوق الحمامة : من بعض صفات الحب الكتمان باللسان، وجحود المحب إذا سُئل ، والتصنع بإظهار الصبر !

❁ ❁ ❁

• كل عبادة كانت فى بدايتها نبتة روحية متواضعة كبذرة أو عقلة أو شتلة فى نفس أو أنفس تنمو شيئًا فشيئًا مع الزمن ، فإن استقام عودها تعرضت للصحة والمرض ، والقوة والضعف ، والتوالد والعقم .. ثم الشيخوخة والموت خلال الأطوار المكتوبة لها !

• وأهم ما فى كل عبادة هو حقيقتها الروحية .. أى مقدار حيويتها واستعدادها للنماء والتطور، فقد تبدأ صحيحة لتنتهى ضعيفة هزيلة بلا تأثير فى محيطها ، وقد تنمو وتشتد ويزيدها الزمن تطورًا ونضارةً فتطور بقوتها ونضارتها حياة الآدميين وبيئتهم وعصرهم .. وقد تقوى العبادة زمنًا أو أزمانًا ثم تقوى أكثر فأكثر إلى أن تفقد روحها فتندثر أو تصبح مجرد تقليد اجتماعى ضمن الأعراف والعادات التى تمارس يوميًا أو فى مواسم ومناسبات معينة !

• يحدث ذلك حين تفقد العبادة روحها وحيويتها لتصير تقليدًا شكليًا يلتزم أوضاعًا وطقوسًا معينة لا تتبدل ولا تكلف من يقومون بها إلا أعمالاً وحركات قليلة وتلاوات أقل فى أوقات متقاربة أو متباعدة ، وتقابل باستحسان سطحى عام فى الجماعة دون اهتمام بأثر أدائها على نفس الآدمى وعواطفه أو سلوكه أو مواقفه نحو الآخرين ، ودون أى تتبع لخيط العبادة فى أطوار حياة الآدمى .

• من يرى آيات ربه فى الآفاق ، يدرك أن قرآنه المجيد حق .

❁ ❁ ❁

• خاصية العبادة الحية أنها دائمًا تتفتح ويتسع صدر صاحبها وأفقه لكل ما خلقه خالقه سبحانه ، ولها من ذلك مذاق وطعم يختلفان .. يتجددان لا يتكرران ، ولا تلحقهما رتابة أو إلية منشأهما اعتياد خال من الانتباه والالتفات .. وهنا لا يفلت من العابد خيط اتصاله بمعبوده سبحانه ، ولا ينسى قط أنه فى العبادة ـ بين يدى الحضرة الإلهية وحدها ـ لا يشغله همّ كان يقلقه أو مطمع كان يلعب بلبه .. ولهذا يحسن فى العبادة ألاّ يطول وقتها على الناس تجنبًا لإجهادهم أو تشتت انتباههم عنها . وهذان الأمران لم يعد يُحفل بهما كثيرًا ، إذ صار المهم أن يمتلئ مكان العبادة وأن

تعلو وتخفت أصوات مألوف الأدعية والخطب والعظات ـ لكى تتحقق مطالب المراسـم والتقاليد والطقوس ، وإن لم تتحقق بذلك عبادة حية من أحياء ـ إلى الحىّ الذى لا يموت !

- لا وحشة فى قلب من حسن ظنه بالله .. وهو يهديه إلى أحسن العمل.
- من الجهل والعماء والجهالة ، الاعتماد على العفو مع الإصرار على الذنب !!!

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٢٦)

• إن غياب الروح والإرادة الآدمية بلاء البلايا كلها، لايعوضه أى إحصاء مهما دق وصح وروجع وأُعيد وزيد ولوحظ فى تعديل القوانين وفى إبداع الأدوات والآلات والنظم ولا يغنى عنه أى تقدم علمى أو فنى تقنى ، لأن غياب الروح هو غياب الإنسانية نفسها وتوابعها التى تتعاون وتتكاتف معًا على بقاء حضارة الإنسان والتى تحول دون اندثارها !

• التجرد التام من مرضاة الذات ، أمنية لم ولما تتحقق لآدمى فى أى زمن .. وكل ما قيل ويقال وما عُمِلَ ويعمل مما يعتبر خيرًا أو نفعًا باقيًا ـ لا بد أن تجد فيه لذات الآدمى نصيبًا أرضاه وأشبعه فضلاً عن نصيب الآخرين أو قبل نصيب الآخرين ! ـ لأن خير الآدمى دائمًا منه وإليه ، وشره دائمًا منه وإليه.. وهذا وذاك ظاهرتان بشريتان طبيعيتان ، قدّرهما الخالق عز وجل .

• أثر عن ابن تيمية أنه أوصى تلميذه ابن القيم فقال له : « لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل الإسفنجة فيتشربها فلا ينضح إلاّ بها ، ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة .. تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها ، فيراها ـ أى قلبه ـ بصفائه ، ويدفعها بصلابته ، وإلاّ فإذا أَشْرَبْتَ قلبك كل شبهة تمر عليك صار مقرًّا للشبهات !

• المعاصى مواريث ، تتسلل إلى الحاضر من الماضى ، ويغذيها قلة الفطنة ونضوب البصيرة وضعف العزم والهمة !!

❀ ❀ ❀

• حياة الأمم والدول والحضارات غاصة بالمغامرات التى لا تنقطع لاتساع ميادين السلطة وتعذر المعرفة الكافية للإدارة الحسنة ، وتزاحم المغامرين مع جهل الرؤساء وقلة خبرتهم وشدة غرورهم ، وانصياع المحكومين واستسلامهم انشغالاً بمصالحهم ومعايشهم .. كل ذلك قديم استتبت به المقامرة للمقامرين بشئون الحكم والسياسة ، وصارت أقرب الأشياء إلى المضاربة على الاحتمال الصرف والارتكان إلى الحظوظ والتماس العون من المقادير !!

• يظهر أن المبالغة فى النظر إلى الذات ـ شىء فطرى يرجع إلى أن شعور الآدمى ابتداء وانتهاءً هو شعوره بذاته ونفسه .. هذا الشعور أساس لشعوره بكل ما عداه حتى شعوره بوجود الخالق عز وجل .

• أخبر ـ الله تعالى ـ أن القرآن شفاء للناس ، ففى سورة الإسراء : «وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ » (الإسراء ٨٢) .. ويخاطب نبيه المصطفى ﷺ فيقول له سبحانه عنه : « قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء » (فصلت ٤٤)

• العاقل من تدبر وتأمل فى سنن الخلق والخالق جل شأنه ، ورأى أننا فى أصلاب الهالكين ، والتفت إلى أننا فى كل يوم نشيع غاديًا رائحًا إلى الله عز وجل وقد قضى نحبه وانقطع أمله ، إلاَّ من عملٍ صالحٍ قَدَّمَه فى دنياه !

❁ ❁ ❁

• يبدو أن كل ما اكتسبه ويكتسبه الآدمى مؤقت مرتبط بزمن وظروف . لأن ما نكتسبه فيه دخل قليل أو كثير للمخيلة . والمخيلة لا تعمل خارج الزمن والظروف ، سواء أكان عملها واعيًا أو غير واع ، إراديًا أو غير إرادى . ولولا الوعى واستعداده للنمو والحافظة وقدرتها على الاختزان ، والمخيلة ووثبها على الزمن والمكان ونشاطها الذى لا ينقطع فى الحلم

واليقظة ، ولولا اختلاف الأعمار والأجناس ودرجات الاستعداد لا نقضى كل ما يكتسبه بسرعة كما ينقضى كل ما يكتسبه أى من تلك الأحياء الأخرى التى ليس لأجناسها وأنواعها عدد . ولعل هذا هو سرّ عدم المبالاة الذى يقابل به عالم الأحياء جميع ما حققه الآدمى وما بناه وما عرفه وما يحاول أن يحققه أو يبنيه أو يعرفه ، مما نسميه خيرًا أو شرًا ، جميلاً أو قبيحًا ، منفردًا أو مجتمعًا !

• قيل فى المعصية إنها سبب لهوان العبد على ربه ، وسقوطه من عينه ، وفيها قال الحسن البصرى : هانوا عليه ـ سبحانه ـ فعصوه ، ولو عزوا عليه لعصمهم ، ومن هان على ربه لم يكرمه أحد .. يقول رب العزة : « وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ » (الحج ١٨)

• روى الحاكم فى صحيحه من حديث عائشة رضى الله عنها ، قالت : قال رسول الله ﷺ : « لا يغنى حذر من قدر . والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة » .

• وفى صحيح الحاكم من حديث أنس عن النبى ﷺ : « لا تعجزوا فى الدعاء : فإنه لا يهلك مع الدعاء أحد »

• قال بعض السلف الصالح ، إن كان ابن آدم محتاجًا إلى نصيبه من الدنيا ، فإنه إلى نصيبه من الآخرة أحوج !

۞ ۞ ۞

• نحن نحب إطراء أنفسنا لأننا نحب أن نعيش . ونعجب بعملنا إعجابًا شديدًا إذا ظننا أننا أحسناه أو أتقناه ـ وهو ظن قد يكون خاليًا من الأساس، لا يستند إلى دراسة أو مقارنة موضوعية جدية .. كم منا هام إعجابًا وتيهًا بنفسه ، لأى عمل أجراه ، أو مقال دبجه ، أو لوحة رسمها ، أو معزوفة لحنها ، أو خطبة عصماء ألقاها ، أو حديقة زرعها وشذبها

ونسقها ، وقد يمتد التيه بالذات وبإنتاجها وأعمالها إلى السفاسف والتفاهات !! يتجاهل المعجب التائه بذاته وما يصنع ، أعمال ألوف المحترفين والموهوبين ، ويفترض أن من حقه أن يعجب بنفسه وعمله هذا الإعجاب المرضى لأنه تجاوز فى تقديره لنفسه معايير الآدميين العاديين .. وهذا خيال ووهم يصوره كل منا لنفسه ـ على هواه !! .. لا يلتزم فيما يضفيه على نفسه من أمجاد ـ بما هو مقرر فى معايير وأصول وأعراف أهل العلوم والفنون والآداب والصناعات الذين يمارسون هذه الأنشطة على الدوام أو على وجه الاحتراف ، فيتقيدون بمستوى لا ينزلون عنه من الخبرة والمعرفة والمهارة !

- قال بعض العارفين : « لا تستعجل ربك ، ولا تستبطئ إجابته » . وفى مسند الإمام أحمد من حديث أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يزال العبد بخير ما لم يستعجل . قالوا : يا رسول الله ، كيف يستعجل ؟ قال : يقول : « قد دعوت ربى فلم يستجب لى » .
- إذا ملأ النور قلب المؤمن ، امتثل لأوامر ربه، واجتنب نواهيه ، وأقبلت وفود الخيرات إليه من كل ناحية .

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٢٧)

- نحن والغير فى تجاذب وتنافر لا ينقطعان ـ بيننا دائمًا خلاف واتفاق .. نقاط تنافر ، ونقاط تماثل .. تارة تبدو هذه وتختفى تلك ، وتارة يحدث العكس . ومع اشتداد الاقتراب تظهر دواعى الاختلاف فنتنافر ، ومع الابتعاد لا نرى إلا وجوه التماثل فنتقارب .. والاختلاف يوجد وراء الغضب والخصام والجفوة والقطيعة والعداوة ، ووراء التقارب يوجد التعاطف أو الصداقة أو المودة أو الحب .
- دائرة الحسد محدودة تحدها القرابة والمشابهة والخلطة ، فلا حسد بين الغرباء المتباعدين الذين لا معرفة لأحد منهم بالآخر ، لأن ذلك الحسد مقارنة أو محصلة مقارنة .. فإذا انتفت المقارنة ، لم يعد هناك ما يؤدى إلى غيرة أو غمط أو حسد .. ونحن لا نشعر بالمقارنة إلا بالنسبة للقرابات والأشباه والنظائر والمخالطين ، فلا يتعرض الأجنبى أو البعيد عادة للحسد ، ولا الذى بيننا وبينه فروق واضحة محل تسليم قبلناها أو افترضناها وافترضنا دوامها.
- قالوا فى لغة القلوب وأحوالها : ما دخل عسيرًا لم يخرج يسيرًا !
- لا يستقيم القلب ، ما لم تكن تملؤه محبة الله ، وتكون متقدمة فيه على أى محبة عداها .
- قال بعض الصوفية : « غفلة القلب عن الله تبطل قوته » .

❁ ❁ ❁

• يفترض الناس أن الاشتراك فى الدم سبب للمحبة لا يحتاج إلى دليل.. ويفترضون أن غير الأقرباء ، غرباء لا يُؤْمَنون ، أى لا يؤمن جانبهم، إلا إذا قامت بينة قوية فعلية على تحقق المودة .. هذا الافتراض يسلم به الجميع رغم كثرة الشواهد على بطلانه ، وعلى أن أشد العداء قد يوجد بين الأشقاء من طول العشرة والالتصاق وربما بسبب مكابدة المقارنات والمنافسات التى تجرى فى الواقع والخيال معًا ، بينما تورى الشواهد أيضًا بأن الغريب غير المثقل بهذا الزاد الكئيب أقرب ـ فى عين الواقع ـ لعقد صداقة فعلية يحرص على صيانتها بأكثر مما يحرص الأهل المستندون إلى رابطة الدم .. ويبدو أن هذا الافتراض الأحول تقليد قديم فى جماعات العشائر والقبائل ، شكل من زمن بعيد جزءًا من معتقداتها وكان لازمًا لترابط أبنائها فى الدفاع عنها والمحافظة على بقائها !

• قال بعض الحكماء : ليس العجب فيمن أحب قبيحًا ، ولا فيمن طُبع منذ كان على تفضيل الأدنى ، ولكن العجب فيمن كان ينظر بعين الحقيقة ، ثم غلب عليه هوًى عارض ، وتسلط عليه ، فلم يعد يستطيع أن يرى إلاّ بانحراف هواه !!!

• لا يقبل الله تعالى دعاءً من قلب غافلٍ لاهٍ .. فالله عز وجل طيب لا يقبل إلاّ طيبًا .

• لا يمكن للقلب السليم أن يؤثر هواه أو هوى من يعظمه أو يحبه ـ على محبة الله تعالى .

❁ ❁ ❁

• لم يعد منطقيًّا افتراض المحبات من مجرد القرابات ، ولا افتراض العداوات من مجرد البعد أو الغربة .. فقد اختفت العشائر والقبائل من مجتمعنا من قرون وصرنا أمة ضخمة ومجتمعًا يزداد اتساعًا وانفتاحًا

باستمرار، ولم يعد سائغًا فى عقل أحد أن نفترض فيمن لا ينتمى إلينا بجنسيته أو بدينه، أنه عدو لا يؤتمن ابتداء ، فلسنا أبناء قبيلة أو عشيرة ، ولا رعية لمجتمع يتلقى من حاكمه أو حكامه عقائده وأفكاره .. نحن أعضاء وشركاء فى مجتمع كبير متفتح حر يكفل لكل من فيه فعلاً وحقيقة حرية الاعتقاد وحرية الفكر .

- غير القريب يقترب منا إذا أفسحنا له وقربناه ، والقريب قد يبعد عنا إذا أهملناه اتكالاً على ماضينا معه وماضيه معنا .. العلاقات الأسرية والاجتماعية علاقات حية بين أحياء تحتاج كالشتلة للرى والعناية ، وإلى المشاركة والالتفات من الجانبين .. يجب أن يكتتب فيها أطرافها باستمرار لكى تظل حية مستمرة تزداد وتزدهر كالروض الذى يتعهده أصحابه .

- قيل فى لغة العيون ، إن العين تنوب عن الرسل ، ويُدْرك بها المراد .. فالحواس الأربع أبواب إلى القلب ، ومنافذ نحو النفس ، ولكن العين أبلغها وأوضحها دلالة ، وأوعاها عملاً ، وهى رائد النفس الصادق ، ودليلها الهادى ، ومرآتها المجلوة التى بها تقف على الحقائق ، وتميز الصفات ، وتفهم المحسوسات .

- لا رجاء فيمن لا يعظم أوامر الله ونواهيه .. قال عز وجل : « مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا »؟! (نوح ١٣)

- من وفَقه الله ـ ألهمه رشده .

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(٢٢٨)

• الحظ هو الاحتمال المجرد منظورًا إليه فى ذاته غير مرتبط بعوامل معروفة أو غير معروفة ، ترجح فيه وضعًا على وضع أو حالة على حالة .. وأقرب الأمثلة على ذلك عثور شخص على كنز أو لقطة على غير استعداد وبلا بحث ، أو جريًا وراء الاحتمال غير المعروف للتوزيع الأمين لأوراق اللعب أو للتحريك الأمين لعجلة الروليت أو التقليب الأمين لأوراق اليانصيب !!

• قالوا فى القلب الخالى من الإيمان ، إنه قلب مظلم ، قد استراح الشيطان من إلقاء الوساوس فيه ، لأنه قد اتخذه بيتًا ووطنًا وتحكم فيه !!!

• من علامات تعظيم النواهى ، الحرص على التباعد عن مظانها وأسبابها وما يدعو إليها ، ومجانبة كل وسيلة تقرب منها !

• قد يكون الكتاب لسانًا فى بعض الأحيان !

❁ ❁ ❁

• أشاع العلم الوضعى ـ بصورة مخيفة ودون أن يقصد ـ اليأس القاتل العميق فى عالم الإنسان . ومن هنا أصبح الآدميون فى مجاعة حقيقية إلى أمداد روحية ضخمة تساعدهم على مواجهة العالم الخارجى الذى تعرّى لهم فجأة وانكشف عن حقيقته العلمية المخيفة المرعبة المكذبة للقيم الآدمية، الهازئة بالعواطف التى يعتبرها الآدمى أساسية لوجوده من آلاف السنين !

• من لطف الله عز وجل بالعبد ، أنه جعل له النفس المطمئنة مقابل نفسه الأمارة ، إذا أمرته النفس الأمارة بالسوء ، نهته عنه النفس المطمئنة ، وإذا نهته النفس الأمارة عن الخير ، أمرته به النفس المطمئنة .. وقيل من أهل العلم : إن الله قد جعل لعباده مقابل الهوى والشيطان والنفس الأمارة - جعل لهم نورًا وبصيرة وعقلاً يردهم عن الذهاب مع الهوى ، أو طاعة الشيطان ، أو الاستسلام للنفس الأمارة !

• أُثر عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان يقول لأصحابه : «لستم تُنْصرون بكثرة ، وإنما تنصرون من السماء » .. ويقول : « إنى لا أحمل هَمّ الإجابة ولكن هَمّ الدعاء . فإذا أُلهمتم الدعاء فإن الإجابة معه » .

• هناك من يذيع حبه ليتزيا بزى المحبين ، ويدخل فى عدادهم .. وهذه خصلة مقيتة ، قد يكون من أسبابها غلبة الحب ، أو تغلب الجهر على الحياء.. وكم من مصون الستر ، مسدول الغطاء ، قد كشف الحب ستره ، وأباح حرمته ، ونال من حماه !

❁ ❁ ❁

• نصيب الاحتمال الصرف فى حياتنا أكبر كثيرًا مما نتصور .. ونحن لا نلتفت إليه إلاّ فى المآسى والمكاره ، أو فى النعم غير العادية ، وخاصة فى المكاسب الفجائية التى تأتى اعتباطًا !

• الآدمى فى أى زمان ومكان لا يمارس اختياراته الشخصية إلاّ من خلال ما عرفه وأدركه من اختيارات الناس ، سواء المعاصرين له ، أو الذين سبقوا أو سلفوا فى أزمنة ماضية لا سبيل إلى تقصيها أو تقصيهم .

• من القلوب قلوب قد استنارت بنور الإيمان ، ولكن ظلمة الشهوات وعواصف الأهواء لا تزال تعبث فيها ، فى إقبال وإدبار بفعل الشيطان ووساوسه ، والمفلح من وَأَدَ الشهوات والأهواء ، واستنار بنور الإيمان .

• لو علم العبد فضيلة طاعة الله عز وجل ، لجالد عليها !

❁ ❁ ❁

• البشرية لها قادة ـ بلا شك ـ نعرف بعضهم ونجهل معظمهم ، لكن ليس لها صانعون معينون صنعوا أو يصنعون اختياراتها .. هذه الاختيارات غير قابلة لتحديد المصدر بأى يقين . وهو أمر يشهد به شدة اختلاف التاريخ والنظم والعقائد والحضارات !

• المن والأذى ، محبطات للأعمال ، مفسدات لها .. قال تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللهِ واليوْمِ الآخِرِ » (البقرة ٢٦٤) .. وقال عز من قائل : « قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَاللهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ » (البقرة ٢٦٣)

• طوبى للطيبين والطيبات ، الذين فيهم قال الله تبارك وتعالى : « الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عليكُمُ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ » (النحل ٣٢) ، وقال سبحانه وتعالى عنهم : « وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عليكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ » (الزمر ٧٣) .

• لا يأتى الخير من السوء ، ولا يُنتج الشرُّ خيرًا !

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(٢٢٩)

• من المحال أن يعيش الآدمى بغير رجاء يأمله أو يتوقعه أو يتمناه .. فالرجاء « تطلع » ملازم لوعى الآدمى ملازمة لا تفارق حياته ، بين «الوعى» و « الحياة » تلازم لا ينقطع حبله ، لأن الحياة تمتد امتدادًا مصحوبًا بالوعى وما ينحفر فيه ويستهدفه من آمال وتمنيات لأحوال أفضل ، لا تقتصر على الحياة الدنيا التى يرجو فيه الآدمى عيشًا أهنأ وأفلح وأرضى ، بل إلى ما يرجوه أيضًا من نشور وقيام وبعث بعد الموت يلاقى فيه ثواب ما يعتقد أو يأمل أنه قدمه فى دنياه .

• حين نادى نوح عليه السلام ربه وقال مستعطفًا لابنه : « رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي » (هود ٤٥) ، أجابه رب العالمين : « قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ» . (هود ٤٦) ، فاستعبر نوح وآب إلى الحق واعتذر لربه : « قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ » (هود ٤٧) .

• قال أحد العارفين : مساكين أهل الدنيا ، خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها ؟ قيل : وما أطيب ما فيها ؟

قال : محبة الله تعالى ومعرفته وذكره .

❁ ❁ ❁

• لا نهاية لميادين العلم والمعرفة ، لأنه لا نهاية لآمال الآدمى فى عقله وسعيه ، ولا نهاية لعقل الآدمى وسعيه لأنه لا نهاية لآماله فيما هو أفضل مما بين يديه .. لا يتوقف الآدمى عن الأمل ، مستقبله هو أمله ، وأمله هو مستقبله .. من يدرك « الأمل » ودوره ، يدرك أن حياة الآدميين لا تتكرر فى قوالب وأنماط ثابتة إلاّ إذا انطفأت فى الآدمى جذوة الأمل أو انقلبت آماله سلبية محصورة فى إبعاد ما يكذب أو يدحض ما معنا من الحاضر واستبعاد ما يوقظنا إلى ما فى حاضرنا من قصور أو غلط أو تهافت أو خيبة أو انحراف .. فلا شىء أفضل مما نحن فيه ، وليس فى الإمكان أبدع مما كان!!!

• فى الحديث الشريف : « الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف . وما تناكر منها اختلف » .

• يحمل الشاب خضار القلب ، وحماس الطبع ، ولكنه لا يحمل رأس الشيخ !

❁ ❁ ❁

• حياة الآدمى الواعية على هذه الأرض ، حياة تتألف دائمًا من عالمين لا غناء لأحدهما عن الآخر : «عالم الآمال » ، وهو عالم أساسى للآدمى يشحنه بوقود الحياة ، ويلزمه لاستمرار رغبته فى الحياة ، من التفاؤل والاستبشار وحسن الظن وحسن النية ، و « عالم الواقع » الخشن الجامد . العابس أو الخالى أحيانًا من اللين ومن العواطف ، الذى يشعر الآدمى من آن لآخر بضآلته وعجزه وحتمية زواله ، وربما صادر على آماله ، أو رده إلى الحدود المعقولة التى توافق ظروف الزمان والمكان وما قد تمأبى به على طموحه وآماله الشخصية ! .. « عالم الأمل » ـــ لا يعنى الهروب

المخدور من الواقع ولا بناء قصور الوهم والخيال فى الهواء ، ولا هو أمل العاشقين الذى صاغه بيرم التونسى وغنته أم كلثوم :

« بالأمل أسهر ليالى ، فى الخيال أبنى العلالى » ..

وإنما هو شعلة تضىء روح الآدمى وتدفعه إلى الأمـام والجـد فى أنـشودة الحياة طلبًا للنور والجمال والكمال والحق !

- قال حكماء الزمن الأول : من جار على شبابه ، جارت عليه شيخوخته!
- من أسكت الشر سلم .

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٣٠)

• يبدو أن « الاعتياد » بذاته، باب تدخل منه « الثقة » أو « التلقائية » .. وهو باب لا غربال ولا مصفاة له، تدلف منه السلبيات والجنوحات، مثلما تدخل الإيجابيات .. « فالاستقامة » اعتياد يحقق «الثقة »، وكذلك الاعتياد على السرقة أو النصب أو السطو ! هذا الجنوح يحقق لصاحبه ثقة وتلقائية لا دخل فيهما ولا وزن للقيم والأخلاق والمبادئ ! وهذان الاعتيادان يوجدان فى الجماعة الواحدة على وجه التقابل أو التعادى الدائم الذى يعلو صوته أو يخفت على قدر حدة الصراع القائم بينهما وفقًا لمصطلحات الخير والشر، والنفع والضرر، والقدرة والعجز، والسمو والانحطاط .

• من أعراض المحبين طول السهر، ومناجاة النجوم والكواكب !

• قيل فى المتاع الحسن، إنه الرضا بالميسور، والصبر على كربة المقدور !

• قيل فى مجالس الذكر إنها مجالس الملائكة، وفى مجالس اللغو والغفلة إنها مجالس الشياطين !

• حُسْن السمت ثروة .

• أعظم الخلق غرورًا من اغتر بالدنيا وعاجلها، فآثرها على الآخرة !

❀ ❀ ❀

• الدنيا تجمع الأضداد كما تجمع الأشباه، ولا ينقطع فيها التناحر والتعادى بين الخير والشر، وبين الأخيار والأشرار، ومثلما لا تكف الحياة عن إنتاج المحبات وتقوية العلاقات والصلات، فإنها لا تكف أيضًا عن

إفراز العداوات والمحن والحروب والصراعات والمخاطر، ومن هذه الدوائر المهولة تنشأ وتتجدد وتستمر مخاوف الناس، ويولد الشك الذى يأخذ الآدمى إلى بحور عديدة متنوعة، يلاقى فيها أمواجًا وأصدافًا وأشواكًا، ويعتصر فكره وعقله ليخرج من هوة الشك والارتياب إلى شطآن الاطمئنان والثقة والأمان .. أمان النفس، والعقيدة، والموقف، والسلوك .

- قيل إن السخاء نوعان : أشرفهما سخاء المرء عما بيده .
- والثانى سخاؤه ببذل ما فى يده .
- وقال بعضهم فى السخاء أن تكون بمالك متبرعًا .
- وعن مال غيرك متورعًا !
- العاقل من لا يسأم فى طلب الأمور .
- الحصيف من عرف أن أدبه خير من ذهبه .

❁ ❁ ❁

- اتساع وتنوع دوائر الأهوال فى هذا العالم، يزيد من ناحية أخرى حاجة الآدمى إلى « الثقة » و « التلقائية »، وإلى سعة القاعدة التى يقومان عليها سعة لا حد لها لأنها هى ذات الحياة التى يحياها الآدمى أنى يوجد، فى أى مكان وفى كل زمان .. فحياة الآدمى مجردة من الثقة والتلقائية مستحيلة، ومحال أيضًا ـ وبنفس النسبة ـ أن تمضى حياته مجردة من القلق والخطر والخوف . فالثقة والتلقائية والقلق والخوف والخطر، ليست فلسفة ولا صوفية ولا شعرًا ولا أوهامًا ولا أخيلة، وإنما هى واقع ووقائع وجوانب حاصلة فى الحياة التى علينا أن نحياها بقدر أقل من التهويل والاندفاع والتفاؤل والتشاؤم ما وسعنا ذلك، وبمزيد من الملاحظة والفهم والمعرفة .

• قد يتباغض شخصان لا لمعنى ولا لعلة، ويستثقل أحدهما الآخر بلا سبب ظاهر !

• لا تجب الأحمق، فخير من إجابته السكوت !

❁ ❁ ❁

• حاجة الآدمى للثقة والتلقائية لا تنقطع، واستيلاده لحاجته من هذه الثقة والتلقائية مثل استيلاده لحاجته من التغذى، يتم بحسب عصره وبيئته ومحيطه وظروفه ومواهبه الشخصية وما أتاحه الله تعالى له . هذه التلقائية لا يجوز أن تمضى بلا فهم ولا عقل، ولا أن ينشدها الآدمى بالطمع والتكلف، أو بمحاولة استعجالها قبل أوانها أو استدامتها بعد وقتها بالحيل والإضافات والوصفات والمجربات والقربات والرقى والطقوس والمراسم، من يستعيضون عن الثقة والتلقائية بالخيالات والتصورات والأهواء، يفقدون الطعم الطبيعى للثقة والتلقائية، ويضيع منهم مذاق بالغ الأهمية فى مباشرة ومعايشة واستطعام الحياة !

• من علامات الحب الوحدة والأنس بالانفراد !

• قال بعض العارفين : كثرة الضحك تميت القلب !

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٣١)

• الكائن الحى لا يعرف «الشك»، إلاّ حين يكبر .. يبدأ الشك فى التوالد من « المخاوف » التى يصادفها الحى فى غير نوعه وفى نوعه وبيئته، ومن خبرته من التعرض لما يفاجئه من المخاطر على غير استعداد أو توقع .. المخاوف هى التى تبعث الشك وتثيره وتحدد حدوده، وخارج هذه الحدود تبقى « التلقائية » الأولى على حالها البكر فى صفحة وجدان الحى وسلوكه الذى يتسم بالإقبال وبعدم التردد، وبالثقة التى تكاد أن تكون خِلْقية لا تحتاج إلى أى أساس برهانى، أو لتأمل وتمعن وتدبير .. يشارك الآدمى فى هذه التلقائية سائر الأحياء بلا فارق رغم ما بينها وبين الآدمى من فروق كبيرة فى العقل والإدراك والمخيلة .. مرد ذلك إلى أن التلقائية تكاد تكون سلوكًا غريزيًا لا يحتاج احتياج لزوم إلى ملكات العقل والتدبر والترتيب !

• قال حكيم من الزمن الأول : ذرة منقودة، ولا درة موعودة .
أو كما قيل : عصفورٌ فى اليد، خيرٌ من عشرة على الشجرة !

• قال بعض الصوفية : الحق تبارك وتعالى هو المقصود بالعبادات، والمصحوب إليه بالطاعات، ولا يُشْهد بغيره، ولا يُدْرك بسواه .

• الذكر قوت القلوب والأرواح، ومورث القرب والمراقبة والمحبّة .

❊ ❊ ❊

• إن النافع والضار لنا فى هذه الحياة، هو فيما يبدو أقوى أثرًا وأعلى صوتًا من الصحيح فى ذاته أو الباطل فى ذاته . ذلك أننا كائنات حية ترجو وتنشد

وتطلب ما ينفعها، وتتجنب وتأبى وترفض ما يضرها، ولسنا « مجردات » أو « تصورات » أو « معانى » تسبح فى اللاّ زمان واللاّ مكان !

• قال أحد الصوفية : الأنبياء مبسوطون على مقاديرهم واختلاف مقاماتهم، وكلٌّ رُبط مع حظه باستعماله الأدب بين يدى الحق عز وجل، وكلٌّ أثيب على ترك الاستعمال .. فمنهم النبى محمد ﷺ .. فإنه أنس قبل التأنيب، ومنهم من أنس ـ على اختلاف ـ بعد التأنيب .. ومن لطف الله تبارك وتعالى أنه يؤنس بأنبيائه، كقوله لنبيه المصطفى ﷺ : « عَفَا اللهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ » (التوبة ٤٣) .. فسبق عفوه عتابه .. سبحانه .

• قال بعض العارفين : الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، وإذا ذكر الله تعالى ـ خنس .

• وقيل فى الحديث الشريف : « ما عمل آدمى عملاً قط أنجى من عذاب الله من ذكر الله عز وجل » .

• قال حكيم من الزمن الأول : لا تترك يقينًا موثوقًا به، إلى أمرٍ مشكوك فيه!

۞ ۞ ۞

• تتوالد فى الكائن الحى، من احتكاكه بالحياة، مخاوف يخشى بها الأخطار التى تصادفه أو توشك أن تصادفه، أو تلك المتبدية أو المحتملة فى الأفق لأنها لازمة من لوازم الحياة .. خطر قوى الطبيعة، وخطر الأعداء من غير نوع الكائن الحى ومن نفس نوعه، وخطر الظروف التى تصاحب أو تقع فيها الأخطار عادة، كالليل والظلام والبحر والخلاء الموحش والزحام الشديد والغربة والوحدة والمباغتة والغرق والنار والبرد والقحط والغزو . هذا كله، وغيره مما لا يقع تحت حصر، يصادف ويتعرف عليه

أفراد كل نوع من الكائنات ـ بفضل ما هو مركب فيهم من أجهزة، أو ما اكتسبوه من خبرات ـ على مدى وحدود حياة الفرد فى البيئة والمحيط .

- الحب داء عياء، وفيه الدواء منه على قدر المعاملة، ومقام مستلذ، وعلّة مشتهاة، لا يود السليم منها البرء والشفاء، ولا يتمنى العليل بها الإفاقة منها!!
- والحب يزين للولهان ما كان يأنف منه، ويسهل عليه ما كان صعبًا عنده !
- فارق بين صدأ القلب وجلائه . القلب يصدأ بالغفلة والذنب، ويجلوه الاستغفار والذكر . ومن كان فى الغفلة أغلب أوقاته تراكم الصدأ على قلبه، فإن الغفلة واتباع الهوى يطمسان نور القلب . ونوره يجلوه الاستغفار عن الذنب، ومداومة ذكر الله عز وجل، ولذكر الله أكبر.
- الجنة قبلة السابقين إلى الخيرات والأعمال الصالحات .
- من يفعل الخير لا يعدم جوازيه .

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٣٢)

• عادة لا نلتفت إلى من يذكرنا بنفسه وبحضوره باستمرار. فنحن لا نلتفت للحياة ولا للحواس ولا للصحة ولا للأمن ولا للأهل ولا لخالق ذلك كله .. لا نلتفت لذلك بل نلتفت لغيره مما هو غير حاضر أو غير مستمر مما نرغب فيه ونشتاق إليه، أو مما نخاف عليه أو نخاف منه . وربما كان هذا مرجعه إلى طبيعة جهازنا العصبى، وإلى أن الالتفات درجة عالية من الإثارة العصبية، وأن المنبه أو المثير يضعف تأثيره بنسبة طول مدته ويستعيد قوته بتدخل منبه أو مثير آخر بعد الضعف أو الانقطاع أو التوقف .. وهكذا مما يجرى آليًّا فى داخل الإنسان دون إرادة ووعى . فالموت يلفت نظرنا للحياة، والمرض يلفت نظرنا للصحة، والعاهة لقيمة الحواس، والخوف للأمن، والوحدة للأهل، ووجود هذا وذاك فينا يلفت نظرنا إلى الخالق عز وجل إلفاتًا لا يطول، لأنه إذا طال يفتر ما لم نعمد إراديًا إلى تقويته بالعبادات .

• من أقوال الحلاج : نفوس المؤمنين نفوس أبية، استرقها الحق فلا يملكها سواه .

• قال بعض الحكماء : لا خاب من استشار، ومن استغنى برأيه ضل !

• ربما كانت المحبة لسبب من الأسباب، وتلك تفنى بفناء سببها، فمن ودّك لأمرٍ ولَّى مع انقضائه !

❁ ❁ ❁

• يبدو أنه يستحيل على الآدمى أن يتجنب إتيان الخديعة بإطلاق . وأقصد خديعة الآخرين وخديعة النفس ومحاولة خديعة الخالق عز وجل!! وهذه الاستحالة ترجع فيما ترجع إليه ـ إلى أن الخديعة وسيلة للتغلب علـى اعتراض يعترض طريقنا لم نعمل له حسابًا، أو لم نجد سبيلاً للتغلب عليه إلا الحيلة .. فعجزنا الذى يتضح لنـا عند المفاجأة أو بعد تقليب الرأى ـ هو الذى يسوقنا إلى التماس حيلة كى نمضى فيما نحن بسبيله دون توقف أو رجوع أو نكوص !

• قال تعالى : « أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ » (يونس ٣٥) .. فقال بعض العارفين : الحق من الحق ومن أجل الحق، فهو قائم بالحق وللحق، وليس وراء ذلك إلاَّ رؤية الحق . أفليس عز وجل أحق أن يُتَّبع ؟!

• من عزت عليه نفسه، هان عليه ماله، ومن هانت عليه نفسه، فكانت على الناس أهون !!

• قال بعض الصالحين إن أرواح المؤمنين تتآلف، وروى أن أبقراط اغتمّ حين قيل له إن رجلاً من أهل النقص يحبه، فلما سئل فى ذلك قال : ما أحبنى إلاّ وقد وافقته فى بعض أخلاقه !

❁ ❁ ❁

• احتمال الانتصار والهزيمة والنجاح والفشل والكسب والخسارة، يلازم كل مساعى الآدميين وآمالهم ـ والإنسان يأخذ ما تبقى ليحتال به على أخذ ما لم يعط مما يجتذبه أو يطمع فيه إذا لاحت الفرصة المناسبة ! .. هذا العموم يخضع له الطفل والمراهق والشاب والكهل والشيخ ذكرانًا وإناثًا .. وهذا أصل الإرادة فى الاختيار عند البشر يكمله الحكمة والعقل

والتبصر مع تطور المعلومات والخبرات وتحسن البيئات والظروف تبعًا لترقى الاختيارات والإرادات .

- قال بعض الصوفية : إن للحق تبارك وتعالى تكليفًا عن وسائط، وتكليف الحقائق .. فتكليف الحقيقة بدت معارفه منه وعادت إليه سبحانه، وتكليف الوسائط بدت معارفه عمن دونه فتتناهى المعرفة به إلى نهاية معرفة أهل الوسائط .. فلا يوصل إليه سبحانه وتعالى إلاّ بما كان منه .
- قال حكماء الزمن الأول : إياك وقرين السوء، فإنك به تُعْرف .
- إذا تأمل الإنسان حاله من مبدأ كونه نطفة إلى كماله واستوائه، اهتدى إلى أن من سوّاه فعدّله، محال أن يتركه أو يهمله أو ينبذه !
- قال بعض العارفين : لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه، لجالدونا عليه بالسيوف !

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٣٣)

• الناس تسمى الحيلة خديعة ـ عندما تتنافى مع حسن النية المفترض فى تعامل الخلق بعضهم مع بعض ـ ومعياره العرف العام السائد، وهذا العرف قد يتسامح فى الكذبات البيضاء والمجاملات والذوقيات، وفى مبالغات الباعة والتجار فى الإعلان والدعاية، وفى الالتجاء إلى التزين والإطراء والصباغة لإخفاء ما لا تحسن رؤيته وإبراز ما يحسن، والولع المستمر بتغيير وتبديل أطرزة الملابس والحلى، والتفنن فى الحركات المغرية بين الجنسين ـ شريطة ألا يتجاوز هذا حده إلى الاستفحال أو الإغراء أو النصب أو سرقة الأعراض واستباحتها .. وهذه أيضًا تخضع لمعايير أساسها العرف وبعضها يتناوله القانون بالعقاب !

• من كرامات النبى المصطفى ﷺ، أنه ما نظر إلى الملكوت ولا إلى سدرة المنتهى، وما زاغ بصره عن مشاهدة الحق، وما طغى قلبه عن موافقته .

• إذا كان السخاء محمودًا، فإن من وقف على حده سُمى كريمًا وكان للحمد مستحقًا، ومن قصر عنه كان بخيلاً للذم مستوجبًا، وفى الأثر : أن الله تعالى أقسم بعزته ألاّ يجاوره بخيل .

• قال بعض العارفين : الرضا بالكفاف يؤدى إلى العفاف .

❀ ❀ ❀

• يولد الكائن الحى، مزودًا ـ فضلاً عن خلقته ـ بأدوات وأجهزة تقوم عليها حياته، وتولد معه استعدادات ظاهرة أو كامنة تشكل عالمًا بكرًا لا

يعرف سلفًا إلام سوف يصير حالها .. ولا مراء فى أن الشك ملازم لطبيعة كل كائن حى، يصاحبه فى رحلة حياته، ويتغشاه بين الحين والحين، بقدر أو بآخر، بيد أن الشك لا يولد مع ميلاد الكائن الحى، وإن ولد معه الاستعداد له .. ولست بهذا أعارض ديكارت، ولا الدكتور طه حسين الذى تأثر بفلسفته القائمة على الشك المنهجى الذى دعا ديكارت إلى البدء بالشك فى كل شىء .. الشىء الوحيد الذى عنده لا يقبل الشك، هو حقيقة كونه يشك، هذا الشك هو آية ودليل وجوده .. ولأن الشك تفكير، فإنه موجود لأنه يفكر.. هذا النهج الذى صبه فى عبارته المأثورة: « أنا أفكر، إذن فأنا موجود»!

- قال بعض الصوفية : لا يعلم أحد، حتى الملائكة المقربون، حقيقة ما أظهره الحق تبارك وتعالى لخلقه، وكيف الابتداء والانتهاء ..إذ كيف يعرف من هو فى الحقائق غائب وإليها آيب !
- ما خالطه الشك، لا خير فى الإقدام عليه !
- أكرم الأكرمين وأحبهم إلى ربه، من اتصف بمقتضيات صفاته، فإنه سبحانه كريم يحب الكريم من عباده، جواد يحب الجود، وعالم يحب العلماء، وحليم يحب الحلماء، وحكيم يحب الحكماء، وجميل يحب الجمال .

❁ ❁ ❁

- الشك لا يولد مع ميلاد الكائن الحى، بل يولد ـ مع ميلاده ـ الاستعداد له .. هذا الاستعداد يظل جافًا عقيمًا خامدًا لا حركة ولا أنفاس له ما لم يطرأ ما يبعثه ثم ينميه، لأن « التلقائية » هى التى تصاحب المولود منذ يخرج إلى الحياة .. هذه التلقائية هى تلقائية الحياة المعاشة بأجهزة الآدمى الخالية من التردد فى عملها الدءوب المستمر لأداء وظائفها الحيوية حسبما تسمح به أو توجهه أدوات التنسيق والرقابة والاتصال المركبة فى

الآدمى، فضلاً عن الأفعال وردود الأفعـال .. هـذه الأجهـزة المركبـة فى الكائن الحى بمواصفاتها المتنوعة لكى يتمكن مـن الحيـاة والتعامـل معهـا ومع معطياتها فى المحيط المتاح له فى الزمان والمكان!

- قوام المرء عقله، ولا دين لمن لا عقل له .
- الألسنة ما نطقت، والعيون ما أبصرت، والآذان ما سمعت .. هذه حدودها لا تتعداها !
- جنة وبستان المرء فى صدره، إن راح أو جاء فهى معه لا تفارقه .

لذلك قال ابن تيمية : إن فى الدنيا جنة مَنْ لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة .جنته وبستانه فى صدره، معه لا تفارقه . ولذلك قال :

إن حبسى خلوة، وقتلى شهادة، وإخراجى من بلدى سياحة !

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٣٤)

• البشارة بمحبة الله فى الكتب المقدسة، موعودة للمؤمنين، المحسنين، المقسطين، المتقين، الصابرين، المطهرين، الصالحين، المتوكلين، المهاجرين إلـى الله، المتبعين لشريعته، الصادقين، الباذلين، العاملين .. يخبر القرآن المجيد أن هؤلاء يحببهم الله، ويعدهم بالفلاح فى الدنيا والمثوبة فى الآخرة .. يبشرهم بأن : « وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً» (الكهف ٤٦) و« إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ » (القمر ٥٤، ٥٥) .. تُزَف إليهم البشارات فتقول فيها تقول : « وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ » (فصلت ٣٠) .. بشارات الكتب المقدسة وبشارات القرآن المجيد لا تقع تحت حصر، وتحمل أمدادًا هائلة لبعث الرجاء والأمل، وتعمد إلى إرداف هذه البشارات بأى « نذير» أو « وعيد » يستلزمه سياق الخطاب، بل وتجعل البشير سابقًا على النذير (بشيرًا ونذيرًا)، والمغفرة والتوبة سابقة على العقاب : «غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ» . (غافر / ٣) .

• من أقوال المحاسبى أستاذ السائرين : « عُزلتى أُنسى » .. وسئل فى ذلك فقال : « لو أن نصف الخلق تقربوا منى، ما وجدت بهم أُنْسًا، ولو أن نصف الخلق الآخر نأى عنى، ما استوحشت لبعدهم » !

• الأوطان ليست محض محيط جغرافى، وإنما هى أيضًا محيط بشرى إنسانى هو الذى يفرز منظومة القيم والعلاقات بين الوطن والمواطن .

• قالوا لكل معلول علة، فكيف لا يكون للخلق خالق ؟!

❁ ❁ ❁

• من لطف الله تعالى، أن الأديان بعامة، تخاطب فى الإنسان دومًا ـ وعلى درجات مختلفة ـ « عالم الآمال » .. فتبث فيه الأمل والرجاء، لأن همها الأساسى تنمية الرغبة عنده فى الحياة، وفى المحافظة على البشر والتفاؤل وحسن الظن وحسن النية، وإعانة البشر فى لهيب وعبوس ورمضاء الظروف والأزمات ـ على الثبات والصبر والعزم فى مواجهة ما يصادفهم فى عالم الواقع الجامد الخشن من حادثات مخيبة لآمالهم !

• لا يقتصر تراجع أو ضمور الإحساس بالانتماء الوطنى على آثاره السلبية المباشرة بشيوع الانكفاء على الذات واللاّ مبالاة، وإنما تتنامى معه مشاعر الإحباط والسخط والنقمة والتعاسة.. وهذا هو وقود الثورات والانتفاضات!!

• ترتبط نهضة الأمم ارتباط لزوم بقوة الإحساس بالانتماء، أى بشحنة الوطنية التى تشكل فى مجموعها قوة التيار الوطنى .. هذا التيار هو محصلة أو حاصل جمع وطنية الأفراد . الفرد هو قبلة الأمة، وهو ـ بالتشارك والمساهمة ـ صانع دوافع حركتها ونهضتها.

• لا تنخدع بالمتشبهين بالنساك، فالناسك الحقيقى لا يعلن عن نفسه، أما المتشبهون فهم متجردون بالخير، لا غناء عندهم، ولا بقاء لعلمهم، ولا اعتماد عليهم !!

❁ ❁ ❁

• من الغريب أن بعض رجال الدعوة يتركون فى خطابهم هذه البشارات والآمال المبثوثة فى الكتب المقدسة والوعود بالحياة الهنيئة الصافية والجنة الموعودة للصالحين المتقين، ويقدمون خطابًا عابسًا متجهمًا يكاد يصادر على الجانب المشرق المبشر الذى اعتنت به الكتب المقدسة، وتغيت به إقبال المخاطبين على الحياة وعلى العطاء الخصب المجزل الآمن المطمئن الواثق

والمفعم بالأمل والرجـاء .. إن ترك هذا الجانب، ومحاصرة الكتب المقدسة بعالم الواقع الخشن الجامد وما يحدث فيه ومنه .. ينطوى على « مطالبة » ظالمة غير مشروعة أن تتخلى الأديان عن غايتها وعن مهمتها الأولى فى صيانة عالم الآمال الذى يستحيل أن يعيش أى آدمى خارجه محرومًا من قوته الدافقة ومعطياته التى تدفع الآدمى دومًا نحو طلب الكمال والحق .. عالم الآمال محال أن ينعزل عنه أى آدمى حتى من اشتطوا وألحدوا، فلا غناء لهؤلاء أيضًا عن عالم الآمال الذى يربطهم برجاء ربما ينتشلهم ـ حتى إن لم يريدوا إرادة واعية ـ من وهدة ما هم فيه من تيه وضياع !!.

- الجانب الرمزى والروحى والمعنوى هو قاعدة الأساس فى الانتماء الوطنى، ولكن يصيبه النحر إن لم يتلاق مع مجموعة من المقومات الإنسانية والمادية التى يثبت بها ويشتد غرس شجرة الانتماء.
- لا يقاس تحضر المجتمعات بما توفره فى دوائر النخبة ومنتجعات ورياض الأغنياء والسراة، وإنما بما توفره فى قاع المدينة وفى القرى والكفور والنجوع والأحياء الفقيرة !
- قال حكيم من الزمن الأول :

ما لا يؤذن لك بقولـــه ..
فلا يؤذن لك أيضًا بسماعه !

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٣٥)

• مكتوب على معظمنا أن يعيش حياته كلها قبل أن يفهم شيئًا يذكر عن نفسه أو عما يحيط به، لأنه مشغول بمطالب العيش، وليس لديه فرصة للتأمل ومداومة الصبر على هذا التأمل .. لا يصل الآدمى إلى غايته من الفهم إلاّ إذا زاوج تأمله بالصبر حتى ينمو فهمه مدة عمره مستعينًا فى الوقت نفسه بما حصله وفهمه الآخرون السابقون والحاليون، الأموات والأحياء .. ولا يغنيه ذلك كله عن التجربة والمراجعة، واستكمال القصور وتصحيح الخطأ وتغيير المفهوم بمفهوم جديد تجلت له آياته أو علاماته أو أماراته .

• فكرة المساواة بين أبناء وبنات الوطن موصولة بالعدالة .. فالمساواة فرع على العدالة، والعدالة صدى للمساواة .. وكلاهما يرتبط ارتباط لزوم بأمن الوطن والمواطن .

• ليس كل حامل علم يفهم ما يحمله، فمنهم من لا يعلم تأويل ما يحمله، وبعضهم مثلهم كمثل الحمار يحمل أسفارًا، ومنهم من لا يعرف كيف ينتفع بعلمه ممن يصدق فيهم :

« كالعيس فى البيداء يقتلها الظمأ : والماء فوق ظهورها محمول » !!

• قالوا إن قوام العمل الرجاء والخشية ..

رجاء قبول العمل وثوابه ..

وخشية الله وعقابـــــه !

❁ ❁ ❁

• ابتسامة الرضا العريضة على وجه الطفل، قديمة قدم الإنسانية كلها .. ومع ذلك فإنها ليست مكررة ولا تتكرر قط، لأنها ابتسامة روح نابعة من قلب أخضر تعبر عن أمل وود لروح معينة، ولا ينفر منها أو يعجز عن الانجذاب إليها ـ إلاّ حجر أو آدمى جفت روحه وتحجر قلبه .. حَجَّره خوفه أو شهوته أو أنانيته الكثيفة التى لا يمكن أن ترى إلاّ نفسها ومن هم فى حكم نفسها !!!

• مهما تقدمت العلوم، وارتقت الحضارات، وامتلك عالم الواقع مظاهر الرقى والتقدم، وطابت معطياته، فإن نشاط الروح هو الذى يعطى الطعم الحقيقى لحركات البشر، وهو الذى يضمن وجود الجدّة والحدّة، وليس مجرد تغيير الشكل، أو تغير الزمان أو المكان .

• الجدّة تصدرها الحياة ذاتها .. لا توجد إلاّ فى الأحياء، ولا توجد قط فى الكون الطبيعى المادى، ولا يستولد الجدة ليفرح ويتعلق ويفخر بها إلاّ الآدمى !

• قال المحاسبى أستاذ السائرين :

• « إذا أنت لم تسمع نداء الله، فكيف تجيب داعى الله ؟!

• ومن استغنى بشىءٍ دون الله، جهل قدر الله » .

• يجب أن يكون للمواطن قيمة وحرمة فى ذاته مستمدة من « المواطنة » ذاتها، لا من هذه أو تلك من عناصر القوة أو الثروة أو الجاه أو النفوذ .

• هيبة القانون يجب أن تطول الحاكم قبل المحكوم، والقوى قبل الضعيف، والثرى قبل الفقير .. وإلاّ كانت هيبة للسلطان والنفوذ !

❁ ❁ ❁

• يبدو أن الآدمى قد اقتنع الآن أنه رغم كل ما حققه وحده، من تقدم فى المعارف والعلوم ـ فإنه لن يستطيع وحده، ومهما امتلك من أدوات

المعرفة، أن يزيح الأستار الكثيفة والأسرار التى تحيط بوجوده أصلاً وغاية، ولا بمستقبله ـ ولا أن يعلم علماً قطعيًا بالكون الطبيعى أو بعالمه هو، أو أن يعلم بحقيقة الروابط بين هذين العالمين : عالم الكون، وعالمه الشخصى .. وأيهما تطور عن الآخر أو طرأ عليه !

والسؤال الذى يجب أن يسأله الإنسان العاقل لنفسه هو :

هل حالتنا المتفاقمة الآن، يمكن أن تصحح نفسها تلقائيًا ؟ وكيف ؟! كيف تعود إلى الفهم ـ البلايين من البشر التى خمدت أرواحها بفقدان الأمل، وألفت عدم القدرة على التأمل لنشدان الفهم والتمسك به وإعطائه حقه من الرؤية والتثبت والمثابرة ؟ .. « الأمل » و « الرجاء » هما محرك وقاطرة البشرية .. بغير الأمل والرجاء يسبح الآدمى ويخبط تائهًا ضائعًا فى هذا الكون المعجز للأفهام !

- ترى من المتشبهين بالعلماء، من هو مشغوف بدنياه، مؤثر لها على ما عداها !!
- يبدو مغريًا لكل الأنظمة السياسية أن تستجيب لرغبات وأشواق الناس، ما لم تكن اختيارات ضريرة غير محسوبة تعقبها ندامة !
- من الإنس من هم أشبه بالشياطين : يصدون عن الآخرة، وعلى الدنيا يتكالبون، وإلى جمعها يُهْرعون، وفى الاستكثار منها يرغبون، وعلى الاغتراف منها يحرضون !!

❀ ❀ ❀

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٣٦)

• تكاد كلمة « الصبر » ـ أن تكون من أكثر الكلمات استخدامًا فى حياة الناس من بين المفردات المعبرة عن القيم والسجايا والشمائل الأخلاقية، ويبدو أنها عبرت من خلال عناية كتب الأديان إلى وجدان الآدميين، وتسللت من وجدانهم إلى الأشعار والأغانى والأناشيد والفولكلور، وإلى لغة التخاطب والأمثال الدارجة، واحتل استعمالها مساحة واسعة فى العبارات المنطوقة والمكتوبة على السواء، وصارت مألوفة لعين القارئ وأذن السامع ألفةً ظلمت « الكلمة » من كثرة الاستعمال، فقلت عناية الناس ـ وهذه هى المفارقة ! ـ بفهمها فهمًا واضحًا يتسق مع المكانة البارزة التى تحتلها فى كتابات ومقولات الناس، تبعًا لما احتلته فى الكتب المقدسة والأحاديث والمأثورات، وفى المنظومة الأخلاقية التى تلاقت عليها الأديان والشرائع !

• قال بعض العارفين : « اتباع الهوى يعمى عن الرشد، ويضل عن الحق، ويطيل المكث فى العمى » !!

• من أقوال المحاسبى أستاذ السائرين : « علاقة الرجل الذى أدرك إرادة الله : أن نيته خير من عمله، وعمله خير من كلامه، وهو دائم التأمل فى الله».

• إذا امتلأ قلب المؤمن بالخشوع لله وبمحبته، التزم بأوامره وامتنع عن ارتكاب المعاصى وعن كل نواهيه.

❁ ❁ ❁

• مادة « الصبر » من أكثر المواد التى يصادفها القارئ للكتب المقدسة.. فى الكتاب المقدس الشامل للعهدين القديم والجديد، أن الذى يصبر ويثبت إلى المنتهى هو الذى يخلص (متى ١٠ : ٢٢، ٢٤ :١٣ ومرقس ١٣:١٣)،

والدعوة إلى الصبر والاصطبار، متكررة فى أسفار العهدين : « فاصطبر للرب السائر » (اشعيا ٨:١٧)، « انتظر الرب واصبر له » (المزامير :٣٧)، فالثمرة تأتى بالصبر:« الذين يسمعون الكلمة ويحفظونها فى قلب جيد مستقيم، وينتجون ثمرًا بالصبر » (لوقا ٨ : ١٥) « بصبركم اقتنوا أنفسكم»..«وليعطكم الله الصبر والتعزية»..« كخدام الله فى صبر كثير »..« يحسب قدرة مجده لكل صبر ».. « تعب محبتكم وصبر رجائكم ».. « فتخر بكم من أجل صبركم».. « إلى محبة الله وصبر المسيح ».. « قد سمعتم بصبر أيوب » .. « امتحان إيمانكم ينشئ صبرًا » ..

- لا ينفض المجتمع يده من توفير الفرص المتكافئة للمواطنين بمحض أمان أو شعارات أو عبارات براقة منحوتة فى الدستور أو القوانين عن المساواة والعدالة الاجتماعية، ولا بدغدغة المشاعر بالخطب والكلمات الوردية، وإنما بالنهوض الجاد الفاعل الذى يوفر فرص عمل حقيقية تحقق النماء للوطن وتوفر حياة كريمة للمواطنين .. لكل المواطنين !

- قال المحاسبى أستاذ السائرين :

« اجعل لنفسك غاية من كل عمل تحب فيه أن تلاقى الله » .

- ليس كل نعيم مؤجلاً للآخرة .. هناك نعيم فى الدنيا يحسه الناعم بطاعة الله عز وجل .. ففى طاعته نعيم حقيقى يجده ويلمس حلاوته من يذوب فى طاعة ربه .

❁ ❁ ❁

- فى القرآن المجيد، الصبر سجية سامقة تنتمى إلى شجرة «عزم الأمور » .. يوصف الصبر وقدرة الصابرين عليه ـ بأنه من « عزم الأمور ».. هذا «العزم » هو مصدر كل خلق جميل حثت عليه شريعة القرآن .. « وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور» (آل عمران ١٨٦)، « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل » (الأحقاف ٣٥) .. «واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم

الأمور » (لقمان ١٧)، .. «ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور» (الشورى ٤٣) .. الصبر فى القرآن المجيد صفة المؤمنين الصالحين (الأحزاب٣٥)، والتواصى به بين المؤمنين واجب : «وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة » (البلد ١٧) .. والاستعانة به مع الصلاة دعوة متكررة، «اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ » (البقرة ١٥٣) الصابرون أحباب إلى الله يحبهم سبحانه ويحبونه، « وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ » (آل عمران ١٤٦)، أنواع الصبر التى دعا إليها القرآن شملت الصبر على العبادة : « فاعبده واصطبر لعبادته » (مريم ٦٥)، والصبر على الصلاة : «وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها » (طه ١٣٢)، والصبر على البذل والمرابطة : « اصبروا وصابروا ورابطوا » (آل عمران ٢٠٠)، وعلى البلاء والمحن (البقرة ١٥٥ ـ ١٧٧)، وعلى النكال والتعذيب (الأنعام ٣٤) .. والصبر مناط الإمامة وطريقها .. «وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا» (السجدة ٢٤) .. «وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ » (النحل ٩٦) .. ولهم الخير والبشارة ومحبة الله وعقبى الدار بما صبروا :

«سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » ـ (الرعد ٢٤)..

لا ينالهم كيد الكائدين: « وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا » (آل عمران ١٢٠) .. لهم الغلبة بصبرهم (الأنفال ٦٥) ..

دعاؤهم إلى الله : «ربنا أفرغ علينا صبرًا » .(البقرة ٢٥٠، الأعراف ١٢٦) ..

- من حاملى العلم ناسبى أنفسهم إلى الدين، ما لا يلتمس بعلمه إلاَّ التعظيم والعلو، وأن ينال بالدين من عرض الدنيا ما لا يستطيع أن يناله بالعمل والاجتهاد !!
- حسن المقام فى الدنيا جزاء يدركه السابقون إلى الخيرات والأعمال الصالحات.

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٣٧)

• العناية الإلهية بسجية الصبر والصابرين، والحث عليها، وبيان بشارتها وخيرها، وجدواها وثوابها، وقيمتها وعقباها، وفائدتها وقوتها وأمانها وحصنها ـ تسربت بالضرورة إلى وجدان الناس، واحتلت صفحة وعيهم، فجرت كلمة الصبر فى عباراتهم الدارجة، وفى لغة تخاطبهم، وفى أمثالهم العامية:« الصبر طيب ».« الصبر مفتاح الفرج ».. « إن الله مع الصابرين».. تسربت الكلمة إلى أسمائهم وألقابهم، إناثًا ورجالاً، وكيف لا وهذه هى منزلة الصبر، والصبور اسم من أسماء الله الحسنى .. درج الناس على أسماء: صبرى، وصابر، وصابرين، وصابرة، وصبيرة، وعبد الصبور .. تنتقل الكلمة من لغة التخاطب والأمثال إلى منظومات الشعراء، وترنيمات الأغانى والأهازيج .. تنساب الأغنيات عن « الصبر والإيمان »: جنة المحروم، مثلما تنساب فى خطاب المحبين والعاشقين، يتفنن الرصافون فى المعانى والصور، فهذه تنادى العطارين أن يدلوها على منبع الصبر، «ياعطارين دلونى الصبر فين أراضيه . ولو طلبتم عيونى، خدوها بس ألاقيه » .. وهذا يتشكى من ملامته على صبر قلبه على استمراره فى حب محبوبه الذى هان الود عليه، وهذه تشكو سراب الصبر : « وصفوا لى الصبر لقيته خيال وكلام فى الحب يدوب ينقال » .. لا صبر على بعاد المحبوب الذى اعتادت العيون رؤياه : « لو كنت خدت على بعادك، كنت أقدر أصبر واستنى » .. ولا هى فى حيرة دليلها قادرة على الصبر على البعاد، تصبر قلبها الحائر باسترجاع المسرات وكلمات المحبات : « أفضل أصبر روحى بكلمة يوم قلتها لى»! .. حتى إذا لم يعد فى قوس الصبر منزع، تنفجر

اللواعج: « للصبر حدود » .. « ما تصبرنيش بوعود، وكلام معسول وعهود .. أنا ياما صبرت زمان ! » ..

• فى الحديث الشريف : « بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء » .

• قيل إن العدل فرض، والفضل نفل، ولذلك قيل إن العفو يشمل من انشغل بالعدل عن الفضل، ولا يدرك من انشغل بالفضل عن القيام بواجب العدل !

❁ ❁ ❁

• الصبر قوة وعزيمة وفرع على « عزم الأمور » كما قال القرآن المجيد، وهو قوة إيجابية مانحة لقدرات تصاحب الصبر وتدفع المتسم المتمسك به المالك لزمامه وناصيته، ألا يفقد خيط الأمل، أو تتعثر عزيمته فتخبو روحه وتنطفئ شعلته .. الأمل كما قلنا قاطرة الإنسان والإنسانية، والصبر هو الجناح الثانى للأمل، والواقى الذى يحصن العزيمة ويقويها على مدافعة اليأس والقنوط، والتمسك بحبل الأمل والرجاء .

• أى قيادة صحيحة مجدية تحتاج لتوافر الاتزان والثبات، فتوافرهما فى القائد أو الرائد هو الذى ينشر عادة الثقة والثبات فى صفحة وعى وحنايا من ينهضون على تنفيذ تعليماته أو خطته متأثرين بالإيحاء أو التقليد اللا إرادي أو بهما معًا !

• الغافل اللاّغى يشقى بلغوه وغفلته !

• قال بعض العارفين فى أفضال الله تعالى على عباده : إنه سبحانه وتعالى قد ابتدأهم بالنعم قبل أن يسألوه، وثنّاها بعد ما ضيعوا شكره عز وجل، وأدامها عليهم بإحسانه إليهم مع دوام إعراضهم عنه!

❁ ❁ ❁

- الصبر ملكة داخلية واستعداد ومران فيهما اعتياد على عدم مفارقة الهدوء، والثبات على مواجهة كل ما نصادفه ونواجهه .. ما نستحسنه وما لا نستحسنه، بذات الاتزان والثبات.. لا يستطيع الآدمى التزام الاتزان والثبات ما لم ينمُ فى وعيه ومشاعره الإحساس بالنفور من الإهاجة والإثارة الداخلية، وأن يستحضر النفور من هذه أو تلك باعتبارها خللاً أو اختلالاً أو عارضًا مرضيًّا يفرغ طاقة الصبر ويجب لذلك أن نتخلص منه بأسرع ما فى وسعنا، إذ ليس من حقنا أن نتصرف فى أى وقت أو لأى سبب تصرفًا غير معقول أو بغير هدوء واتزان وثبات لأن الاتزان والثبات هما البينة على وجود العقل والتعقل .. والحق أن الاتزان لا يتصور توافره إذا لم يتوافر لدينا الهـدوء والثبات .. بغير هـدوء وثبات، محـال أن تملك النفس الإنسانية زمامها وأن تفىء ثابتة رابطة الجأش إلى الاتزان !
- لا تتعلق التقوى بالجوارح فقط، بل تتعلق بالضمائر أيضًا .. وحقيقتها فى الجوارح القيام بالحق وترك المعاصى، وحقيقتها فى الضمير صفاء القصد والنيـة، وصدق العمل بالفرائض والنوافل، والإخلاص فيه.
- التقوى أول منازل العاملين، وأعـلاها .

❋ ❋ ❋

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٣٨)

• قد لا يفارق الآدمى اتزانه وثباته إلى أن يموت، وقد يفارقانه مع المرض أو الإدمان أو التدهور العاطفى أو الوحشة والانفـراد الطويل بالسلطة أو بسبب الشيخوخة . شأن كل موهبة تصادف عوامل التعطيل لتنحر منها جناحى الصبر : الاتزان والثبات .. إذا كان الأمل قاطرة الإنسان والإنسانية، فإن الصبر وقودها، هو الذى يربط على قلب الآدمى وجنانه، يشد من أزره ويقويه، ويتيح الفرصة بالعزم لتجدد ونمو وازدهار سنابل الأمل التى تشد الأحياء دائمًا إلى حيث الحق والكمال والجمال .

• قال الصوفى سهل بن عبد الله :

• « العالم كله باب من التعبد، والتعبد كله باب من الورع، والورع كله باب من الزهد، والزهد باب من التوكل » .

• وقيل : التوكل هو الاعتصام بالله، وكمال التوكل فى الرضا بما قسم الله لك. يقول الصادق المصدوق ﷺ : « ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس» .

• توكل العوام غير توكل الخواص .

• الإخوان زينة فى الرخاء !

• أعقل الناس أعذرهم للناس !

• قال بعض الصوفية، فى الورع، وهو من مقامات القلب، إنه ترك الشبهات، فلا يتورع العبد فى الظاهر والباطن إلاَّ لله، ويتورع به ومنه عما سواه .

❀ ❀ ❀

• الزحام الشديد الذى نراه لاستعمال وترديد كلمة الصبر، بين رصانة ووقار وجدية وغاية الأديان، وبين ترانيم الشعراء، ولغات المحبين والعاشقين، وأمثال الناس ـ لم يواكبه توقف كثير أو قليل لفهم معنى «الصبر» فهمًا حقيقيًا، وإدراك مدلوله، حتى لا يوطأ ويندهس معناه وسط طوفان الكلمات التى شطت فى استخدامات الناس حتى لم يعد يُعرف ما هو المعنى المقصود بالصبر ؟!

• فلاسفة الأخلاق ميزوا ويميزون بين أخلاق الكرام والأحرار، وأخلاق اللئام، ويردون الصبر ـ ضمن باقة الشمائل ـ إلى أخلاق الكرام والأحرار، بينما يميز « فردريك نيتشه » من واقع مذهبه : « إرادة القوة بين أخلاق الأقوياء وأخلاق الضعفاء، ويفسر « هوبس » الفيلسوف الإنجليزى الشهير، الخلق الحميد بأنه قوة أو شاهد على قوة، والصبر بهذا المقياس قوة، لأن الضعيف يجزع ويهن، ولا يقوى ولا يقدر على جلد الصبر والاحتمال »!!

• فما هو الصبر بين كل هذه الاستخدامات والإيحاءات المتباينة فى استعمالات الناس التى كادت تحجب ما أوردته كتب الأديان عن الصبر خلقًا وسياجًا وغاية !

• من أقوال المحاسبى أستاذ السائرين :

« إذا تم عقل المؤمن عن ربه، أفرده عز وجل بالتوحيد له فى كل المعانى، فعلم أن مآله له ـ سبحانه ـ لا لغيره، وأنه عتيق ممن سواه، فتواضع لعظمته، وخضع بجلاله، ولم يزل عن سواه، وعقل عنه أنه كامل الصفات، المتنزه من كل الآفات، المنعم بكل الأيادى والإحسان، فاشتد حبه له، لما يستأهل لعظيم قدره، وكرم فعاله، وحسن أياديه، وعقل عنه أنه لا يملك

نفعه وخيره فى دنياه وآخرته إلاَّ هو، فأفرده سبحانه بالخوف والرجاء، والتزم بالسير على الصراط » .

- قوام المرء عقله، ولا دين لمن لا عقل له !
- من لم ينظر فى دقيقٍ من الورع، لم يصل إلى الجليل من العطاء .

❁ ❁ ❁

- يدرك المتأمل أننا نخسر ولا نكسب قضية الصبر والاتزان والثبات، لا من خبراتنا الفاشلة ولا من اندفاعاتنا الناجحة، فيزداد عندنا وزن الصبر خفة وهبوطًا، ويزداد الاندفاع والارتجال والتسطيح انتشارًا وشيوعًا، فى الخاص والعام من أمورنا، كما يُرَى ذلك فى تصرفاتنا وردود أفعالنا اليومية فى حياتنا الخاصة، وكما يرى فى مشروعاتنا ومؤسساتنا ووسائل إعلامنا وأحزابنا وانتخاباتنا وفى بياناتنا الرسمية بل وفى تشريعاتنا !
- لا يرتبط الاتزان والثبات بأميَّة الآدمى أو تجاوزه حاجز الأميَّة، ولا يزيدان بزيادة تعليمه بالاتزان والثبات، يزدان الآدمى فى محيطه وخارج محيطه، وقد يتميز بهما فى الأعمال والأشغال فيصير أهلاً للقيادة والريادة بل وللسيادة .
- من رضى بالقضاء صبر على البلاء .
- الصبر الجميل هو تلقى المحنة بمشاهدة المنة .
- قيل فى الصبر الجميل، أن يلقى العبد همومه إلى مولاه، ويسلم إليه نفسه من حقيقة المعرفة، ولا يجزع لحاله .

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٣٩)

• نخطئ بيقين حين نظن أن الاتزان والثبات يتحققان أو لا يتحققان حسب الظروف التى نلقاها أو تحيط بنا أو تفاجئنا على غير انتظار أو توقـع.. فإن كانت مثيرة أو غير متوازنة أو مضطربة أو مقلقة، فارقنا الاتزان والثبات وكان من حقنا، أو بررنا لأنفسنا ألا نصبر وأن من الطبيعى أن نضطرب ونقلق . وهنا نحن نصدر لأنفسنا قرارات ـ نتصورهـا نهاية ما نملكه من المعقولية ـ بأن من حقنا، أو معنا عذرنا على الأقل ـ أن نهتاج ونثور ونتزعج وأن نتجاهل موازين العقل والتعقل لأننا ووجهنا بظروف غير ملائمة لا يمكن أن تقابل بالصبر والاتزان والثبات .. وهذا كله وهم وتخيل ـ لأن احتفاظنا أو عدم احتفاظنا بالاتزان والثبات ليس رد فعل على ظرف خارجى، بل هو حالة نفسية داخلية نتخذها لأنفسنا ونوجدها فى وعينا ونستسلم لها نتيجة قرار نتخذه نحن ونتصور مخدوعين ـ أنه هو القرار الوحيد بل المفروض المعقول الذى نصور لأنفسنا أنه ثمرة اقتناع يملأ أعماقنا بأننا فى حالة عجز عن المواجهة، ونمعن فنصور هذا الاقتناع فى صور مختلفة نبرر بها لمواجهات اندفاعية ليس لها دراسة حقيقية، نبديها وننقاد لها وننفذها دون أن نكون واثقين من نجاحها ونفعها، لكنها لا تخفف فى الواقع الفعلى قليلاً أو كثيرًا من شدة إحساسنا القانط الخابى بالعجز والحيرة !

• أجود الناس من أعطى من لا يرجوه !

• يُعرف المرء بقوله، ويُوصف بفعله .

• قال الجُنيد : الرضا هو صحة العلم الواصل إلى القلوب .

❁ ❁ ❁

• كل شيء فعال ـ فى أيامنا هذه ـ لا يميل كثيرًا إلى الصبر والاتزان والثبات، على حين يرحب بالاندفاع والإسراع فى التغيير والتجريب والانتقال والإبدال والاستبدال !

ويوشك الآدمى فى عصرنا أن يفارق ثقته فى عقله أو ما بقى له من ثقة فى عقله، لأنه لم يعد يلتفت إلى البينة الكبرى على وجود العقل وقيمته، هى اتزان الآدمى وثباته .. وهذان : الاتزان والثبات، هما معنى كلمة « الصبر».

• قال بعض الصوفية فى توحيد الخواص :

« إنما يتهيأ التجريد للقلب، بعد أن يتجرد القلب مما لا بُدَّ منه، غير ما ألجأته إليه الضرورات الإنسانية، لئلا يكون شاغلاً للقلب عن قطع التعلقات. ولا يتيسر للقلب قطع التعلقات إلاَّ بمعونة الذكر . يقول تعالى : «وَاذْكُرُواْ اللهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ »، ويقول : « أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ»، ويقول : « وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ » .

• لا يكن حبك كلفًا ولا بغضَك تلفًا !

• لا تقدم إلاّ على ما ترى أنك أهل له .

• ولا تَعِدْ بما لا تقدر عليه !

• ولا تتعرض لما لا تدرك !

❁ ❁ ❁

• لأن المحيط « مجموع »، فإنه لا يلتفت مباشرة إلى إحساسات « الفرد» الواحد، وإنما تلفته «الصدمة » الناجمة عن «كارثة»أو «حاقة » أو « قارعة»، أو الصادرة من كثافة اعتراض المعترضين واحتجاجهم، ولذلك فإن

«المحيط» كثيرًا ما يتحمل ألوانًا من المغالاة فى عدم الصدق التى تشيع وتنتشر دون أن يلفته إليها تأثيرها المدمر على عواطف الإنسان وإنسانيته، وتجاهلها المبالغ فيه لاحتياج « طبيعة » الآدمى للإخلاص والوفاء لكى يكون قادرًا على أنه يُحب ويُحَب ، ويَسْعَد ويُسعِد، ويُسَر ويحزن ويشارك مشاركة عميقة فى مسرات وأحزان الآخرين، وهذا كله يؤدى ـ إذا ران وطال عليه الزمن ـ إلى نسيان « كتلة » الناس فى ذلك المحيط لإنسانيتها، ويمسى ظاهرها الإنسانى ـ ظاهرًا خادعًا، وباطنها باطن وحوش قساة لا يَرحمون ولا يُرحْمون .. قد يبذلون المجاملات والتحيات والانحناءات، دون أن ينبض فيهم عرق نبضًا حقيقيًا بمحبة أو عطف أو سلم، لأنهم باتوا باعتياد فقدان الصدق مع النفس لا يبالون ولا يهتمون ولا يكترثون إلاّ بالقوة والمهارة و « المنفعة » التى تجلبها القوة والمهارة !

• قال بعض الصوفية : الزهد أول مقامات القلب، وهو رأس مال السائرين إلى الله تعالى، ولهم فى كل مقام من مقاماته ربح، ومن علاماته ترك طلب المقصود، والإيثار عند الفوت. وعدم الالتفات إلى مال الدنيا وجاهها وشهواتها وزينتها وزخارفها، رغبة فى الآخرة ونعيمها . يقول تعالى :

« تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا »

• الحق بيّن، وكذا صفاته . إن ذكره العباد فبأنفسهم، وإن شكروا فلأنفسهم، وإن أطاعوه فلنجاة أنفسهم . ليس للحق ـ سبحانه وتعالى ـ منهم شىء، لأنه جل جلاله الغنى القهار .

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٤٠)

• ليس أوهم للآدمى، وخداعًا له من اعتقاده أن أقرب ما فى متناوله أن يكون صادقًا مع نفسه : أليس هذا الصدق ـ بينه وبين نفسه ـ التشخيص الحقيقى المأمون لكل مشكلة أو معضلة أو داء، ولكل مطلب أو أمل أو رجاء، ومنه تنطلق الرؤية لما هو واجب لازم لتحقيق المراد المنشود ؟! فكيف إذن لا يكون الآدمى صادقًا مع نفسه ؟!، وما الذى يخيفه أو يحجمه أو يرده أو يقلقه من هذه « المصارحة » « الداخلية » « الصادقة » مع النفس ما دام لا يطلع على همساتها ولا خلجاتها أحد، ولا يكشف مكنون سرها أو يفك لغتها مخلوق ؟!

• الحصيف من يعاشر الناس عشرة يحنّون إليه إن غاب عنهم !

• لو تفطن النّمامون الخائضون فى أعراض وشرف وسير الناس، لعرفوا أن الغيبة تذهب الهيبة !

• قال الحلاج فى عمل الصالحات :
من نَظَر إلى العمل حُجِب عمن عُمِلَ له، ومن نَظَر إلى من عُمِلَ له العمل، حُجِبَ عن رؤية العمل .

• قال بعض شيوخ الصوفية :
الرضا باب الله الأعظم .. من أكرم بالرضا فقد لقى بالترحيب الأوفى، وأكرم بالتقريب الأعلى ..

❁ ❁ ❁

● جرت الكهانة وأشباهها من الأحزاب وجماعات المصالح، ومن وقت قديم ـ من باب الدفاع والترويج ـ على إسناد كل معجزة أو فضيلة أو مزية إلى العقيدة أو الحزب أو الفرقة التى إليها ينتمون، يروجون بذلك لأنفسهم، ويشدون الناس وراءهم، حتى ملأوا خزانة العقائد والمذاهب بإضافات لا يدركها الحصر، جعلت التفرقة بين الأصيل والمنتحل مهمة بالغة العسر، فتسربت من هذا الباب ملصقات ومنتحلات وصار القائمون على هذا الانتحال موضعًا لإجلال أو تقديس لا يدرك ما طويت عليه أضاليل هؤلاء من بعد عن الصدق والإخلاص !

● قال الصوفى يحيى بن معاذ :

يبلغ العبد مقام الرضا إذا أقام نفسه على أصول أربعة فيما يعامل به ربه.. يقول :

إن أعطيتنى قبلت ..

وإن منعتنى رضيت ..

وإن تركتنى عبدت ..

وإن دعوتنى أجبت ..

● قد يخطئ الذى يغضب وهو غاضب، ولكن من لا يغضب أبدًا يخطئ طول حياته !

● كثيرًا ما ترى شيطانًا يحكم، وشياطين تعظ، وشياطين تصفق وتهلل وتصخب .. اعرف حينئذ أن الخير قد أقفر، وأن السماء قد أظلمت، وأنه قد حل غضب الله !!!!

❁ ❁ ❁

● لا يخلص الآدمى من مواربته مع نفسه، وعدم صدقه معها، أن حديثه إليها حديث صامت لا يسمعه سواه، ذلك لأن مصارحة النفس تنطوى

على إقرار وتسليم بالموجب وبالسالب أيضًا، ولا تستبعد من دائرتها الأخطاء والنواقص والنواقض والخطايا والآثام والجرائم، وكلها مما تحب نفوس العاديين من الناس أن تتجاهل الإقرار به حتى لنفسها، لأنه عسير على الآدمى العادى أن يصدق مع نفسه فيما وقع أو يقع أو ينوى الوقوع فيه من خطايا وآثام، وإنما هو يلوذ تخلصًا من وطأة وضغط الإحساس بالوضاعة والدونية ـ يلوذ بما يسمى فى علم النفس الحيل والآليات الدفاعية، وفى مقدمتها حيلة « التبرير » ـ وهو كذب فى اللا وعى يزين لصاحبه الباطل حقًا، ويبرر له الخطيئة بمبررات لا تنطلى على العقل الواعى، كمبرر اللص الشريف أرسين لوبين الذى يسرق من الأغنياء لبر الفقراء ؟!!!

- ليس الطبيب البيطرى أصلح الفرسان، وليس العالم الاجتماعى أصلح الولاة . هذه نقرة وتلك نقرة، أو هذه صناعة وتلك صناعة !
- لا يدافع عن الضحايا إلاَّ الأحرار، أما الجلادون فيدافع عنهم العبيد!!!

❋ ❋ ❋

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(٢٤١)

• المصادر التى تنحر فى المحيط، وتوالى ترقيع نسيج حياتنا بخيوط من عدم الصدق، مصادر قديمة جديدة، لا تكف قط عن التلون والتشكل والتبدل والتماس الأثواب، حتى فى أحوج الأمور إلى الصدق وأقربها إلى وجوبه .. لا يدرك الناس من فرط اعتياد البعد عن الصدق مع النفس، قدر ما فى ضياع هذه « البوصلة » من مخاطر تنحر فى المحيط مجموعًا وأفرادًا .. يسهم فى هذا الضياع، أو العجز، أن الصدق مع النفس لا يكون إلاّ مطلقًا، لا نسبية فيه ولا مواربة، يختلف فى ذلك عن غيره مما لا يكون من البشر إلاّ نسبيًّا، ذلك أن الصدق مع النفس إما أن يكون أو لا يكون، لأنه أمر « داخلى »، عبارة عن حديث النفس إلى النفس، ومصارحة جوانية تفقد معناها وغايتها إذا داخلتها مراوغة أو خديعة، فإذا برئت من هذا فإن الصدق فيها ـ مع النفس ـ يكون صدقًا مطلقًا، أمّا إذا شابتها النسبية، فقد حديث النفس إلى النفس ما يجب أن يكون عليه من صدق ومصارحة لا تناور ولا تراوغ !!

• الأنانى مسخر لما يفعل، يأتى بما يضره كما يأتى بما يفيده، ولا دخل للحب والبغض فى الحالتين.

• قيل إن حق الشكر لله، الاعتراف بالعجز عن الشكر . وكيف يشكر الإنسان ما لا يقدر على إحصائه. يقول الخالق عز وجل :

« وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا » .

• لا يترك الحر الكريم نفسه لعبةً فى يد غيره !!!

❁ ❁ ❁

• يبدو أن مفتاح الصـدق مع النفس، هو احترام الآدمى لذاته، احترامًا بعيدًا عن التفريط أو الهوان، وعن العبادة أو التضخيم .. فمن تهون عليه نفسه لا يحفل قليلاً أو كثيرًا بالصدق وعدم الصدق، ولا يبالى إلاّ بجدوى هذا أو ذاك من حيث المنفعة الخارجية الملموسة المحسوسة التى تعود عليه فى المحيط، ولا ينجو من هذه الآفة من تضخمت ذاته فى عين نفسه وغلبه التيه بها وبمكانتها المعبودة عن سواء موازينه، فيختل ميزان الصدق لديه وينحرف إلى تمجيد نفسه فى كل مناسبة حتى فى الشدائد والأحزان ..لا يخلو معظم الناس من قليل أو غير قليل من هذا الاختلال، فنرى احتفاءهم بذواتهم شديدًا، وعنايتهم بتقديم أعمالهم وانتصاراتهم وصفاتهم مقرونة بادعاء صفحات المجد وإقحام اسم هذا أو ذاك من المشهورين من الأحياء والأموات بحجـة الاعتـراف بفضله، والمقصد الحقيقى من ذلك إنما يتجه فى الواقع إلى تزكية النفس بإلحاقها بالكبار؟!! إن الآدمى إن أمسك بحبل احترام الذات، أمسك بمفتاح الصدق مع النفس، ذلك المفتاح الذى يفضى إلى مفاتيح لا غناء للآدمى عنها فى رحلة الحياة !

• قال الحـلاج :

من ذكر الحق ـ تعالى ـ فى أزله، اطمأن إليه ـ سبحانه ـ فى أبده .

• لا تسأل الخانع الخالى من المروءة، لماذا خضعت !!!!

❁ ❁ ❁

• مـن المفارقـات أنـه كثيرًا مـا يستعـان ببعض المصدقات الشعبية فى الوعظ وفى الرقى والتعاويذ، فيسهم خطاب الأديان بعامة فى زيادة

وتكريس هذه « المصدقات المغلوطة » بدلاً من التنبيه إلى فسادها، فتستمد من ذلك الاستخدام أو الاستشهاد مزيدًا من التحوصل والقداسة، أو تستخدم فى الهجوم والتحريض على المخالفين وتهديدهم بالويل والثبور وعظائم الأمور فى الدنيا أو فى الآخرة، أو تستعمل بطريقة شبه منظمة فى إثارة حماس العامة للتضحية والقتال، سواء فى حروب الدول، أو فى المعارك التى يشعلها المتزعمون المتمردون على الدولة !

- قد لا ينخدع الشيخ لأنه مقفر من الحياة، ليس عنده ما يستحق مؤنة الخداع !

  وقد ينخدع الشاب، لأن الطبيعة تجد عنده ما تخدعه به !

- من أقوال الحلاج :

  من عبد الله بصدق التوحيد خرج من رسوم التقليد وأبان عن شرف التفريد .

  و قال : العبودية كلها شريعة، والربوبية كلها حقيقة .

- لماذا انتشرت فى مصر هذه الأيام ـ سرادقات الندب والعزاء ؟!!!
- أحيانًا لا يعد الصمت حكمة .. ولا رجولة !!!

❋ ❋ ❋

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(٢٤٢)

• لأن المحيط جماعة يجمعها من زمن نفس المكان أو الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين أو الطائفة أو الطبقة أو الحى أو الصنعة أو المهنة أو الحرفة، وقد تتعدد ارتباطات الفرد فيها بأكثر من رابطة من هذه الروابط، فإن أعراف المحيط وعاداته تقف غالبًا عند من ينتمون إليه، وتتكون بهم ومنهم ولهم «درقة» تقيم لنفسها «سياجًا» تفرق بين المنتمين إليها ومن عداهم، وتبيح لأتباعها ما لا تبيحه للآخرين، خاصة عند قيام أسباب التنافس أو التبارى أو التنازع أو التعادى، ثم يسلسها ذلك إلى استرخاص واستيسار المبالغة فى عدم مراعاة الصدق وإدمان الكذب والخديعة وربما الإيغال فيهما!

• فى مدارج السالكين تشرق عليهم أنوار اليقين:

بدايتها : علم اليقين بكشف الأسرار.

ووسطها : عين القين بشواهد الآثار.

ونهايتها : حق اليقين بتتابع الأنوار.

• أصل المحبة المحمودة التى أمر الله تعالى بها، هى محبته وحده لا شريك له، وعبادته سبحانه دون سواه.

وفى الحديث الشريف: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه من سواهما، وأن يحب المرءَ لا يحبه إلاَّ لله،وأن يكره أن يرجع فى الكفر بعد إذْ أنقذه الله تعالى منه، كما يكره أن يلقى فى النار».

• لا خير فى قوم يُظهرون العلم ويضيعون العمل، ويتحابون بالألسن ويتباغضون بالقلوب، وتنقطع بينهم الأرحام !!!

• إذا كان الأساس للأديان، أولاً وأخيرًا، هو الوحى والإيمان بحصوله وصدقه ومن ثم تصديق ما جاء به، فإن هذا ليس معناه ولا لازمه أن الأديان تستغنى عن العقل أو لا تحفل بالعقل أو لا توصى بإعماله والاحتكام إليه .. ذلك أن الأديان تخاطب من خلال الوحى عقول أتباعها ورشدهم، خاصة فيما يتعلق بالواجبات والممنوعات، أو الأوامر والنواهى، وفيما تفرضه أو تندب إليه أو توصى به من الاستقامة فى السلوك والرشد فى الخيارات، مما مناطه إعلاء شأن الحكمة والعقل، بل وبيان أن مناط المسئولية ـ وكما أفصح القرآن المجيد ـ هو العقل وحرية الاختيار، وصلاحية الآدمى بعقله للتمييز بين الخير والشر، والصواب والخطأ، مما مقتضاه أن مناط محاسبته ومسئوليته عن أفعاله خلال حياته الدنيا، إنما هو توفر عقله ورشده، فهذا العقل ـ برشده وحكمته ـ هو دليل الآدمى وهاديه فى طريقه المطلوب إليه فيه أن لا يخرج عن الصراط المستقيم، وأن يلزم الرشد والاستقامة فى سلوكه، وألا يخرج إجمالاً عن « الخط » الذى تتطابق فيه الديانة والعقل والحكمة تطابقًا كاملاً تامًا .

• قال ابن عطاء الله :

الرضا سكون القلب إلى قديم اختيار الله تعالى للعبد، أنه سبحانه وتعالى قد اختار له الأفضل، فيرضى له وبه، ويترك السخط .

• قال بعض العارفين : اعلم أن اليقين مقامات لا ينقطع السير فيها إلى الأبد .. لأنه ثمرة شجرة المعرفة، وهى غير متناهية، وكذلك ثمرتها..

فكما تتجدد للعارف المعرفة فى مقام السير فى الله.. وتزيد إلى الأبد.. كذلك يتجدد للموقن السائر فى مقام حق اليقين، مزيد فى اليقين إلى الأبد .

- ويقول رب العزة لنبيه المصطفى ﷺ: « وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ اليقِينُ » (الحجر ٩٩)
- لا صلاح لحركة الحيّ، إلاَّ أن تكون غايتها ونهاية مطلبه : الله عز وجل وحده.
- أصل الرضا، القضاء بالمقدور، وانشراح الصدر، وامتلاء القلب بنور اليقين.

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٤٣)

• فى أيامنا هذه، حلت ضخامة النشاط الصناعى والتجارى وتشعبه فى أرجاء الدنيا، محل المذاهب والمعتقدات ـ وبات اعتمادهـا فـى رواج السلـع وزيادة المبيعـات على « الإعلان » الحديث الذى بلغ الغاية فى « الحيل » و«الأساليب » و« التجميل » و« التفنين » . وغزت وسائله السماء والأرض، واقتحمت على آلاف الملايين بيوتهم ومؤسساتهم ومعاهدهم ومدارسهم وجدران الطرق والميادين والنواصى، وملأت الإذاعة والتليفزيون، لا تبالى فى القيام بمساعيها وحيلها لاجتذاب من تريد، بحظ ما تبديه وتعرضه وتحسنه وتروجه من الصدق والأمانة ومخافة الله عز وجل!

• ولم تقف سياسة الناس فى أمور السلم أو الحرب، بعيدة عن أن تصب فى نهر حياة الآدميين عوادم ضارة على الصدق والإخـلاص، فلـم يترك المكر والخديعة والمكيدة والدسيسة إلاّ هامشًا ضيقًا محدودًا للصدق والأمانة، حتى بات « الصدق مع النفس » مطلبًا يكاد يكون مهجورًا الآن فى دنيا الناس !

• قال بعض العارفين : إن محبة الظلم والعدوان، سببها فساد العلم، أو فساد القصد، أو فسادهما جميعًا . وقيل إن فساد القصد من فساد العلم، وإن صحة العلم ترد فساد القصد وتلزمه السواء .

• فى المرويات، عن الفضيل بن عياض قال : أوحى الله إلى بعض الأنبياء: « إذا عصانى من يعرفنى سلطت عليه من لا يعرفنى » !

• ينجو من آفات الدنيا من كان من العارفين، ويصل إلى خيرات الآخرة من كان من الزاهدين، ويظفر بالقوة والنعيم من قطع طمعه من الخلق، واستغنى بربه عما سواه .

• الرضا بالله، هو الرضا بقضائه .

❁ ❁ ❁

• أخطر ما يصيب « الصدق » فى المجتمعات، ما يسمى بالمصدقات الشعبية التى تتسلل عبر الأزمان ومن زمن سحيق، إلى نفوس الناس، عبر روافد متعددة، لتتراكم تراكمًا كميًا يتحول مع الأيام إلى ما يشبه الكتلة الصماء خصوصًا إذا ما التصقت بالأديان ودخلت ضمن « حزمة » التقاليد الدينية لهذا الدين أو ذاك بما فى ذلك المذاهب والفرق وما أشبه .. هنالك تتحوصل المصدقات الشعبية وتتترس وتنشب فى نفوس الناس حتى لتكاد تزاحم العقيدة ذاتها، فتأخذ الناس ـ وهى تتشح بالصدق ! ـ بعيدًا عن أى صدق !!! ومع ذلك، وهذه قمة المفارقة ـ تكون الدستور الخفى الذى يتحكم فى تصرفات وفى سلوك الناس !!

• كان الإمام على بن أبى طالب يشتد خوفه من اثنين : طول الأمل، واتباع هوى، وفى ذلك قال : « أما طول الأمل فَيُنْسى الآخرة، وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق .. ألا وإن الدنيا ولت مدبرة، والآخرة مقبلة .. ولكل واحدة بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا . فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل » !

• العاقل إذا عرف من نفسه عيوبًا، لم يكابر، وسعى إلى إصلاحها بتدبيره وعقله، أو برأى خلصائه وعقولهم .. وقديمًا قيل فيمن يغض الطرف عما فيه : « قد يجد الإنسان الرّمَصَ فى عينه فينحيه، ويُبتلى بالبرص فى بدنه فيخفيه » !!

• قال بعض العارفين : إن فى القلب خلة وفاقة لا يسدها شىء ألبتة إلاّ ذكر الله عز وجل .

• اليقين يورث الصبر والتسليم .

❁ ❁ ❁

• إن «المصدقات» - العارية فى الواقع من الصدق، عديدة متنوعة، لم تترك مجالاً من الأمكنة أو المناسبات أو التواريخ أو غيرها إلاّ تسللت إليه .. هى من الكثرة والتنوع بحيث يصعب حصرها، وأصعب من ذلك تنقية الدين أو غيره منها، لأنها تتحوصل مع الزمن وتتحكم فى وعى الناس وتتحول إلى « عقيدة » قد يتباعد أثر بعضها تلقائيًا باتساع الثقافة ونمو الوعى أو تواتر إخفاق « مصدّقة ما » فى إثبات اتساقها مع ما اعتنقه الناس، إلاّ أنه لا جدوى فيما يبدو من مقاومة هذه « المصدقات ؟! » مقاومة مباشرة بالمنع أو النهى أو الحظر أو التحريم، لأن ذلك يشوش ضمائر عامة الناس، وربما يدعوهم - كما حدث مرارًا ! - لشيوع « المصدقة » (الكاذبة) والإصرار على الجرى وراءها واتباعها، ويفتح أبوابًا لا تنغلق لتصدر المتعصبين - نفيًا وإثباتًا - ثم ينتهى الأمر إلى نقيض « التنوير » المنشود، وتتحول « المصدقات الشعبية » إلى مرتبة المقدسات لدى سواد الناس !

• قال بعض العارفين : « إن العبد ليقع فى معاصى الله، فيلقى الله تعالى بغضه فى القلوب من حيث لا يشعر » !!

• مصالح الدنيا معقودة بمراشد الآخرة .

• قال بعض العارفين عن المنافقين : ذهب نور الإيمان - بالنفاق - من قلوبهم، وبقيت فيها مرارة الضلال والشكوك والشبهات .. قلوبهم قد صليت بحرها وأذاها وسمومها فى الدنيا، فأصلاها الله تعالى نارًا موقدة تطلع على الأفئدة يوم القيامة !

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٤٤)

● مع أن انتشار العلم، وشيوع الأخذ بأسبابه، يحاصر محاصرة تلقائية وغير مباشرة « المصدقات الشعبية » (الكاذبة) ـ فإنها تدخل وتستمر فى الدخول ـ برغم اتساع العلم ـ من أبواب أخرى لا تكف العناصر المحبذة لها عن سلوك أى سبيل للتأثير لصالحها على عامة الناس .. فالصناعات والتجارات والحرف، والترويج لها أو الإعلان عنها ـ يستغل ومن قديم الزمن هذه «المصدقات الشعبية » للوصول إلى الهدف المنشود، سواء بخلق مناسبات هذه « المصدقات » وأماكنها دوريًا، أو بتشجيع هذه « المناسبات»، وتغذيتها بالأدوات أو السلع والوسائل والمحال وأماكن المبيت والاحتفال والتسلية والأسواق، والإعلان عنها والدعاية لها، واتخاذها سبيلاً لجذب الناس ورواج أحوال من يتكسبون من حول ذيوع وانتشار « المصدقة » ومناسبتها، وكثيرًا ما نشأت الأحياء والمدن، والمعابد والمزارات، وطرق المواصلات بفضل شيوع بعض المصدقات وتجمعات معتقديها وضخامة ما ينفقونه فيها ومن أجلها بانتظام، لا يبخلون عليها بما ربما بخلوا به على أهل بيوتهم وأمس حاجاتهم !!!

● شوهد أبو الدرداء يبكى يوم فتح قبرص وقد رَقَّ قلبه لأهلها، فسئل ما يبكيك فى يوم أعزنا الله فيه ؟! قال : ويحك، ما أهون الخلق على الله عز وجل إذا ما أضاعوا أمره .. كانت هذه أمة ظاهرة، لهم الملك، تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى !

• قد يسبق المديح إلى من لا يستحقه، ويصير المال إلى من لم يجتهد فيه . وقديمًا قال عبد الرحمن الناصر الذى جاءته الولاية ساعية إليه بالأندلس وهو لا يزال صبيًّا لم يقدم شيئًا :

كم مقيم فازت يداه بِغُنْمٍ : لم تنله بالركْضِ كَفُّ مغير !!

• الذكر ينبه القلوب، ويوقظ الضمائر، ويأخذ الذاكر فى مدارج السالكين .

❁ ❁ ❁

• مع تراجع الثقافة، وانحسار العقل تزحف « المصدقات الشعبية »، على ما فيها من مجافاة الصدق كزحف الرمال المتحركة، فتملأ وعى ووجدان الناس بترهات تشدها إلى أسفل، وتطفئ نور الله فى قلوبها، وتخبو بالعقل، وتقتل طاقات الأمل فى أن يخرج الناس من وهدة ما هم فيه من شتات وضياع وانطفاء، وتجعل صناعة الجهل أسلوبًا وغاية، فتفقد الأمة روحها مع عقلها، وتضيع فى شتات ليل بهيم حالك السواد كئيب القتامة !!

• قال بعض السلف الصالح : المعاصى بريد الكفر، وعن ابن عباس : يا صاحب الذنب لا تأمن سوء عاقبته، ولما يتبع الذنب أعظم من الذنب إذا عملته . قلة حيائك وأنت على الذنب، أعظم من الذنب، وفرحك بالذنب إذا ظفرت به أعظم من الذنب، وحزنك على ذنب إذا فاتك ولم تدركه - أعظم من الذنب !!

• قال بعض العارفين عن القرآن المجيد : سبحان من جعل كلامه لأدواء الصدور شافيًا، وإلى الإيمان وحقائقه مناديًا، وإلى الحياة الأبدية والنعيم المقيم داعيًا، وإلى طريق الرشاد هاديًا . لقد أسمع منادى الإيمان لو صادف آذانًا صاغية داعية، ووافقت مواعظه قلوبًا خالية ملبية .

• قال بعض الصوفية : إذا اتصل الرضا بالرضوان، اتصلت الطمأنينة وعمرت، فطوبى للسالك إلى الله وحسن مآب .

❀ ❀ ❀

• اعتقادنا أننا يمكن أن ندرك المطلق بإعمال الوعى والخبرة الواعية مع الوسائل والأدوات التى أتاحها ويتيحها السعى البشرى، إدراك مهما كان قدر ما فيه من صحة - يبقى دائماً مجرد افتراض !! .. لذلك لم يكن هناك بد أمام الآدمى فى طلبه من قديم معرفة المطلق معرفة يقينية يقطع بها ويطمئن إليها، سوى أن يلوذ - لا بوعيه ! - وإنما بالتلقين من خارج هذا الوعى من خلال أمداد « الوحى » الذى به يوحى إلى « المصطفين » لتحمل رسالة هذا التلقين ونقله وإذاعته بين البشر !

• قالوا فى فضل الذكر : إن الذكر يجمع المتفرق ويفرق المجتمع، ويقرب البعيد ويبعد القريب، فيجمع ما تفرق على العبد من قلبه وإرادته وهمومه وعزومه، والعذاب كل العذاب فى تفرقها وتشتتها عليه وانفراطها له، والحياة والنعيم فى اجتماع قلبه وهمه وعزمه وإرادته - أما ما يفرقه، فهو ما اجتمع على العبد من ذنوبه وخطاياه وأوزاره، فتتساقط عنه وتتلاشى وتضمحل ..

• أما تقريبه البعيد، فلأنه يقرب إليه الآخرة التى يبعدها منه الشيطان والأمل، فلا يزال يلهج بالذكر حتى تصغر فى عينه الدنيا وتعظم فى قلبه لآخرة . وفى هذا هدايته ونجاته .

• من الحياء ألا تطلب رضا من لست منه براضٍ .

• لا تكون الرياسة رياسة، حتى تصفو من شوائب الخيلاء، ومن قبح الزهو والكبرياء !!

❀ ❀ ❀

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٤٥)

• أينما نظر الناظر المتأمل، فى تواريخ وأحوال الناس، الماضية والحاضرة - تطالعه مظاهر لا تحصى لهذه « المصدقات الشعبية » والأوهام التى تتسع من حولها، آخذة الناس بعيدًا بعيدًا عن « الصدق» نفسه، وعن الفهم والعقل، وعن اتخاذ الأسباب، يغذى ذلك جهل وجهالة المتلقين، ومنهم للأسف علماء أفذاذ فى تخصصاتهم، وسذاجة أو سوء نية أو غرض أو نفع الداعين المحبذين لرواج وترويج هذه «المصدقات»، التى بقدر انتشارها وذيوعها وتمكنها فى وعى وطبائع الناس، بقدر ما تبتعد بهم عن الائتلاف والتناغم مع قانون العصر الذى لم يعد فيه مكان للتهاويم والخزعبلات !!!

• النفس تهوى ما يضرها ولا ينفعها، إما لجهلها بمضرّته لها، أو لفساد قصدها، أو لمجموعهما معًا .. وفى ذم من أجاب داعى الجهل والظلم، قال عز وجل :

« فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ » (القصص ٥٠)

وقال: « إِنْ هِيَ إِلا أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى» (النجم ٢٣)

فالجهل والظلم أصل كل شر، والعلم والعدل أصل كل خير .

• قال بعض العارفين : إذا اطلع الله تعالى على قلوب عباده المخصوصين بالعناية، اطلاع الكرم عند توجههم صادقين إلى حضرة قدسه، ملأ قلوبهم المصفاة بشروق الأنوار التى بها كشوف الأسرار . فكل قلب يرى بما يريه الحق تعالى إياه بنور اليقين .

• ما استنارت القلوب، بمثل ذكر الله تعالى : « أَلاَ بِذِكْرِ اللهِّ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ» .

❁ ❁ ❁

• الواقع أن الآدمى قد يتلذذ بنشاطه الفكرى المجرد، كما قد يتلذذ عادة بالأطعمة والأشربة على غير جوع أو عطش، أو بالملابس على غير خوف من برد أو حر، أو بالحديث لغير هدف إلاّ الأنس والإيناس، أو بإشباع غير ذلك من الغرائز فيما يجرى فى الواقع بعيدًا عن إيمان الآدمى وإنما باستعمال ملكاته الفكرية أو المادية فى كل ما يظن أو يعتقد أنه نافع أو جالب للذة أو الإمتاع !

• طوبى لمن فزع إلى الله تعالى من كل رَيْثٍ وعجل، وتوكل عليه سبحانه فى كل سؤل وأمل .

• صواب الجاهل لا يُسْتَحسن كما يُسْتقبح خطأ العاقل !

❁ ❁ ❁

• ينبغى أن نتذكر أننا جميعًا، نحن وآباءنا، قد بدأنا خطانا الأولى فى الدين لا من طريق التفطن والتعقل، ولكن عن طريق التلقين والتقليد . لأننا جميعًا إلاّ القلة القليلة جدًا قد ولدنا فى الدين الذى عليه الأسرة، وعرفناه ونحن أطفال من رؤية الحركات والمناسك وسماع العبارات التى تتكرر بغير انقطاع كشىء مسلم به ضرورى فى محيطنا لا يخالطه أى تردد أو إشكال . هذه المعرفة الأولية للدين معرفة يصحبها منذ بداية حياتنا خوف

كثير أو قليل من الوقوع فى الخطأ أو الذنب والعقوبة المترتبة عليهما عاجلاً أو آجلاً، كما يصحب ذلك أيضًا معرفة ما بحلاوة الطاعة والاستقامة وحلاوة الراحة الداخلية لاستحسان الآخرين ورضائهم عن مسلكنا، يكفينا : فى تلك الخطوات الأولى، لتوثيق إيماننا بالدين، تصديق ما أثر عن الأولين من مشاهداتهم للمعجزات والخوارق والكرامات الماضية، لأن مصدقات الأديان بعامة عبر تاريخها الطويل، تشكل جزءًا لا يتجزأ من الدين فى عيون متبعيه، ويرونه هو هو نفس الدين برغم اتساعه عبر أجيال مع اتساع المكان والزمان ونمو المعتقدات وتكاثر الآيات والبينات فى نظر الملايين من الأحياء والراحلين مما لا يمكن أن يقاومه ويغيره أو يصححه تفكير الأفراد وتأملاتهم أيًا كان نصيب ذلك من المعقولية والعمق .

- محبة الله تعالى، هى جنة الدنيا والنعيم الذى لا يشبهه نعيم، وهى قرة عين المحبين، وحياة العارفين .

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٤٦)

• دائمًا وعى الآدمى هو آية وجوده، يوجد الآدمى بوجود وعيه ويزول بزواله، وكل وعى كان أو يكون أو سيكون، إنما يعى فقط « بعض » ما فى داخله وما يجرى فى هذا « الداخل »، أما الوعى بما فى « خارج الآدمى » وما يجرى ويدور فى هذا الخارج فلا يعى الآدمى منه إلاّ جانبًا فقط .. هذا الجانب قد يتسع أو يضيق تبعًا لخامة الآدمى، بيد أن إحاطته فى جميع الأحوال قاصرة عن أن تحيط بكل ما فى « خارج » الآدمى فى هذا الكون الفسيح المعجز للأفهام .

• من أقوال إمام الصوفية السرّى السقطى : خمس من أخلاق المقربين:

« الرضا عن الله فيما تحب النفس وتكره ؛
والحب له بالتحبب من الله إليه ؛
والحياء من الله ؛
والأنس به،
والوحشة مما سواه » .

• قال بعض العارفين إن الناس أمام الدين أصناف : منهم حفاظ يعتنون بالضبط والحفظ والأداء كما سمعوا، ومنهم من يعتنون بالاستنباط واستخراج الأحكام من النصوص والتفقه فيها، ولكل نصيبه من المثوبة، أما الطائفة الثالثة فأشقى الخلق، وهم الذين لم يقبلوا هدى الله، ولم يرفعوا به رأسًا، فلا حفظ ولا فهْم ولا رواية ولا دراية ولا رعاية .

فالطائفة الأولى : أهل رواية ودراية .

والطائفة الثانية : أهل رواية ورعاية ولهم نصيب من الدراية، بل حظهم من الرواية أوفر .

والطائفة الثالثة : الأشقياء ..لا رواية ولا دراية ولا رعاية، « إِنْ هُمْ إِلا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلا » (الفرقان ٤٤)

• قال بعض العارفين : إن الذكر رأس الأصول . فمن فتح له فيه فقد فتح له باب الدخول إلى رحاب الله عز وجل .

❁ ❁ ❁

• يؤثر فى دائرة معتقداتنا لا محالة مسيرة الحياة البشرية العادية السائدة فعلاً فى عصرنا، قد تتباعد بتأثير هذه المسيرة عقائد معينة كانت فى الماضى أكثر حضورًا أو فاعلية ونفاذًا، وقد توجد بتأثير هذه المسيرة رؤى أكثر سعة أو ضيقًا تبعًا لظروف وتقلبات وطوارئ الحياة وفهم الناس ومساحة استعداداتهم لمقدار ما قد تفرضه مسيرة الحياة، ومقدار ما لا يبيحه « التجديد » أو يبيحه دون خروج على أصول الأديان، ومقدار ونتيجة الحوار الظاهر أو الخفى بين المجددين والسلفيين فيما يبدو أنه قد فرضه ويفرضه فرضًا اتساع مساحة مساهمة « وعى » الآدمى فى فهم الدين، موصولة بقدر أو بآخر بالخطوات الأولى التى خطاها الآدمى فيما استقبله فى سنوات الطفولة من المحيط الذى فيه ولد وعاش .

• قال بعض حكماء الزمن الأول : « ما تعاظم أحد على من دونه، إلاَّ بقدر ما تصاغر لمن فوقه » !!

• هناك من تفسده الثقة فيه، ويضلله تعاليه على قبول النصح !

❁ ❁ ❁

• يبدو أن غرائز الكائن الحى، معرضة بطبيعتها وعشوائيًا، أو حسب الظروف للتقلص والتمدد إلى حدود بعيدة وفى اتجاهات متعددة تعكس تأثير التقلص أو التمدد المباشر وغير المباشر، فى الأغلب الأعم على غيرها، على تصرفات وسلوك الآدمى فى مراحل حياته كلها، ولا يكاد يلتفت الوعى الالتفات الجدى إلى ذلك، إذ لو وعيناه بما فيه العناية والكفاية، لقاومته وقومته وصححته عقولنا، ولجنبنا البشرية أضرارًا لا أول لها ولا آخر ناجمة عن شرود الغرائز فى شبابنا ورجولتنا وكهولتنا وشيخوختنا، برغم ما يسود فى الجماعات الإنسانية بعامة من عقائد وأصول وقوانين وأخلاق وأعراف وعادات تتخطاها كثيرًا، وربما بسهولة، استجابة الطبقات والأفراد للغرائز ناهيك عن الشرود الشاذ فيها ؟!!!

• لن يشكر من فاز بالنجاة، أو يسلم أمره لله من أصابه هلاك ـ لو كانت الأحوال سلامة دائمة، أو هلكة دائمة.عند ذلك لن يكون شكر ولا تسليم!!

• فى الحديث الشريف : « إذا خفيت الخطيئة لم تضر إلاَّ صاحبها، وإذا ظهرت ـ فلم تغير ـ أضرت العامة » !

• لا معونة من العقل ـ لمن لا عقل له !

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٤٧)

● « النسبية » ملازمة لوعينا فى الماضى والحاضر والمستقبل، مهما اتسع أو يتسع مداه طولاً وعرضًا وعمقًا، فرديًا كان وعينا أو جماعيًا، ومهما كان موثقًا بالشواهد التى تبدو لنا موضوعية وموثوقًا بها وثاقة نعتقد فى صحتها أو نعتبرها أكيدة أو مقطوعًا بها .. هذه « النسبية » حتمية أسيرة ومحكومة بقانون وعينا الأساسى الذى لا بد أن ندرك أننا جميعًا مهما تطاولنا أو ارتفعنا ـ ومن آدم إلى يوم القيامة ـ مجرد « جزء » متناهى الصغر من هذا الكون الهائل العظيم، بالغًا ما بلغناه من القيمة أو الضخامة فى عين أنفسنا أو فى عين ذرارينا أو فى عيون الناس !

● من المرويات عن الفاروق عمر بن الخطاب، قال : « توشك القرى أن تخرب وهى عامرة ؟ قيل: وكيف تخرب وهى عامرة ؟ قال : إذا علا فجارُهَا أبرارَهَا وسادها منافقوها » !!

● ذكر الله، شجرة تثمر المعارف والأحوال التى شمر إليها السالكون، وفى الحديث القدسى : « أنا مع عبدى ما ذكرنى وتحركت بى شفتاه » .. والمعيّة الحاصلة للذاكر، معيّة لا يشبهها ولا يدانيها شىء، وهى معيّة سامقة لا تدركها العبارة، وتفيض على الذاكر بفيوض الحق عز وجل، وفيها رياض الجنة .

● وفى الحديث الشريف : « من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين » .

• لا ينجو ناجح علا شأنه أو سطع نجمه، من حاسد وعائب، فعلى ذلك جرت الأقدار من سالف الزمان للآن !

❁ ❁ ❁

• كانت حجج الصدق التى تأيد بها الأنبياء والرسل، برهانًا لازم الاصطفاء وزود به المختارون ليحملوا به برهانهم إلى المخاطبين .

• كانت « المعجزات » والإيمان بحصولها، خطوة لا غنى عنها لاستقبال وتصديق وإيمان المؤمنين بالحقائق المطلقة الملقنة ـ بالوحى ـ إلى الرسل والأنبياء : وهذا « التيسير » للهداية إنما هو تدارك ورحمة ربانية تقيل وتجبر قصور وعى الآدمى العاجز عن الاهتداء بقوانينه المحدودة إلى تلك الحقائق الكلية التى لم يستطع الفلاسفة والحكماء ـ مهما علا كعبهم ـ أن يعالجوها إلاّ على سبيل « الافتراض » ـ من أول الدهر إلى اليوم !

وهذا « الافتراض » الذى يفترضه الفلاسفة والمفكرون دون معجزات تؤيده، لا يمكن أن يكون إيمانًا لدى صاحبه أو يدين به أو يأخذه عنه أتباعه، وإنما هو نشاط فكرى محض طاب لأولئك الفلاسفة إشغال عقولهم وعقول غيرهم به، ولذ لهم ولأتباعهم «التماجد » بذلك الانشغال والإشادة بمنزلته وصدارته لسائر المعارف التى تتطاول بها نفوس البشر !

• قال أحد العارفين : « لا تنظر إلى صغر الخطيئة، ولكن انظر إلى من عصيت !

• قال بعض العارفين : إن فى القلب خلة وفاقة لا يسدها شىء البتة إلاّ ذكر الله عز وجل .

• قال بعض العارفين : باكروا بالصدقة، فإن البلاء لا يتخطى الصدقة .

❁ ❁ ❁

• لا يستطيع منصف أن ينكر ما أفرزته الحضارة الغربية للبشرية، من تقدم هائل متعدد الجوانب والصور والأشكال، فى الفكر والأدب والفنون، وفى العلوم والبحوث والصناعة والإنتاج - على أن الغريب اللافت أن هـذه الحضارة المبهرة قد باءت ولا تزال تبوء بكثير من مظاهر السلبية والخواء والعدمية والعبثية، ووصل بها التردى إلى الخنوع لأخطر أنواع الشذوذ، والاستسلام له، حتى أباحت الشذوذ الجنسى، وقننت زواج المثليين فى سابقة لم تعرفها البشرية حتى فى أحلك عصور الانحطاط، ثم بلغ جموح الشذوذ فيها أن اجترأت على إدانة السواء لدى غيرها، وإلى شجب المحرمين للشذوذ الجنسى بالتخلف، ومطالبتهم مطالبة لحوحة بإباحة هذا الشذوذ، لأن التصدى له بالمنع أو التحريم أو التجريم مصادرة للحرية الإنسانية فى عهد لا يليق فيه بأحد أن يصادر على الحرية ؟!!!

• فى المرويات أن بختنصر قال لدانيال : ما الذى سلطنى على قومك ؟ قال: « عظم خطيئتك وظلم قومى أنفسهم » !!

• شر الفقر ألاَّ يكون لصاحبه عياذ من التقوى، ولا عماد من الصبر، ولا دعامة من الأنفة، ولا اصطبار على المرارة !

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(٢٤٨)

• قد عرف الآدميون من قديم، فضل وقيمة الانتفاع بالعقل فى رحلة الحياة، وعرفوا بالعقل قيمة وجدوى الاستقامة، مثلما خافوا به من أخطار ومغبات الخروج عليها فى عالم معظمه « غيب » بالنسبة لهم، وبهذا العقل اهتدوا إلى مسئولية الإنسان عن أفعاله، وضرورة هذه المسئولية والإحساس القوى الفطن بها وبلزومها لضبط وقيادة خطوات البشرية، وتحسس طريقها بشعور جاد من الالتفات والتيقظ للأخطار والمخاوف والعقبات، والتعلق الواعى بحبل الأمل والرجاء فى قابل أفضل وأجمل وأرشد .

• قد يكون الحديث تلقيحًا للعقول، وترويحًا للقلوب، وتسريحًا للهموم، وتنقيحًا للأدب .

• البدن إذا كَلَّ طلب الراحة. كذلك النفس، إذا ملّت طلبت الترويح.

❀ ❀ ❀

• من يراقب شرود الغريزة، يلفاه مصحوبًا دائمًا باعتياد وإلحاح وإدمان .. هذا الشرود موجود منه فى كل سن وطبقة وجماعة، وكثرته غير العادية أمارة انحلال « وتدهور » وقرب هلاك الشاردين وغير الشاردين فى الجماعة، لأنه إمعان فى إعدام الروابط الضرورية لاستمرار وجودها ذاته، فضلاً عن نموها وتطورها، كأن ذلك ناموس كونى من نواميس فناء الجماعات البشرية غير اللائقة للبقاء .. فى العلاقات الجنسية المثلية بين الذكور أو بين الإناث، يتوقف حتمًا عمل ناموس التكاثر، فتكون نهايتها

الفنـاء للطرفين أى انقطاعهمـا بلا عقـب، فـإن صـار الـشذوذ غالبًـا فى الجماعة زالت تلك الجماعة بأسرها من الوجود بهذا السبب وحـده، فـضلاً عما يلازمه ـ قبل الفناء المحتوم! ـ من نواقص أخرى تابعـة لهـذا الـشذوذ، كالجرأة الوقحة على الغير، وقلة ضبط النفس، والاستهانة بـذلك الـضبط، وفقدان الحيـاء بالمـرة ـ بإعلام أو إظهار ذلك الشرود إلى حد الزهو به عـلى الملأ الآخرين ناهيك بما انحدر إليه الحال من إباحة وتقنين زواج المثليين !!

- الطمع لا تعوزه العلل لينال ما يريد ويبتغى !
- لذة المعصية، تضيع مع وحشة القلب !!

❁ ❁ ❁

- الإكثار ناموس أزلى للحياة فى الآدميين وغير الآدميين، خاضـع بالضـرورة لنوع أو آخـر مـن الانضباط الطبيعى أو الإرادى، ومقاومته بذلك الشرود الذى ذكرناه اعتراض على الحياة ذاتها فى واحد من أعمق نواميسها الكونية، وهذا الشذوذ لا يجوز الخلط بينه وبين العقم، لأن العقم ـ أصليًا أو طارئًا ـ لا دخل فيه للإرادة أو الرغبة أو الهوى، وإنما هو يعرض للحـى دون دخل لنشاط غرائزه وميوله ـ ويلم به بسبب خلقى أو حادث طارئ عوق عمل أجهزة التكاثر لدى الحى !
- الخوف مراتب ومقامات ..

فمقام العوام مخافة العذاب ..

ومقام الخواص خشية الله .. كخشية العلماء الذين فيهم قال القرآن المجيد :

« إِنَّمَا يَخْشَى اللهَّ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء »

أما الهيبة، فهى مقام أخص الخواص .. وهم أهل المعرفة من الأنبياء والأولياء .. فمن ازداد معرفة ازداد هيبة، وكان صفى الرحمن ﷺ يقول :

« أنا أعلمكم بالله وأخشاكم منه » .

والخائف الحقيقى، لا يخاف إلاَّ الله .

• إذا وُلِّيَ الظالم، سعى بالظلم والفساد فى الأرض، حتى يضيع الخير، ويهلك النسل والحرث والزرع والضرع !

• من أحب العمل بصدق، لا يكترث للثمرة والجزاء !

❋ ❋ ❋

• النسبية والزمنية التى تحيطنا دائماً بلا انفكاك، لا يجوز على الجملة أن تسقط من شأن البشر، ولا ينبغى أن تذهب بمكانتهم، ولا أن تنقص من قيمة معارفهم وعلومهم وآدابهم وفنونهم وعقائدهم الأخلاقية والدينية، ويكفى لاعتزازهم بمكانة جنسهم نجاح من نجح منهم - وهم كثرة - فى التقدم والتطور سباحة مع المثابرة والكدح فى بحار تلك النسبية والزمنية .

• الصدق سجية مانحة، تنعكس على سائر الأعمال .

• المعاصى تقطع طريق الطاعات !

• من أقوال ذى النون: من خان الله فى السر، هتك الله سره فى العلانية!

• لا ينال الحكمة، من لا عقل له !

❋ ❋ ❋

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٤٩)

• احتياج الحى إلى ما يقيم أوده عن طريق محيطه أو المحيطين به، واحتياجه إلى طرد بقايا ما بداخله، غريزة لم يبرأ من حكمها إنسان ما، لكنها عرضة للمبالغة أو القصور عما هو ملائم لحياة الحى .. فيأخذ هذا الشرود صاحبه إلى ما فيه أذاه الذى يمرضه أو يقتله ! .. هذا الشرود لم يسلم منه غالبية الناس فى جميع الأعمار، جاهلهم وعارفهم ومنذ الأزل، يرتبط هذا الشرود عند الآدميين ـ من طريق الاعتياد ـ بمنحنيات الغريزة الجنسية إيجابًا وسلبًا، ويستخدم غالبًا فى محاولة إيقاظ هذه الغريزة خاصة عند الكهول والشيوخ . ومعظم هذا الإيقاظ وهم يسرع بهم إلى الاعتلال أو الهلاك .. ولهفة الكهول والشيوخ إلى ذلك « الإيقاظ » من طريق الأكل والبلع والحقن مشهودة فى كل مجتمع وزمن، تساندها المصدقات والاعتقادات وحرص المروجين لذلك « الإيقاظ » على الربح أو تلقى المدائح أو التشكرات عن المساعدة المبذولة أو المتبرع بها !

• قال بعض العارفين : الخوف والرجاء زمامان على النفوس، وقالوا : الرجاء أحد جناحى قلب المؤمن، والخوف ثانيهما . وفى الحديث القدسى : «عبدى ما عبدتنى ورجوتنى، ولم تشرك بى شيئًا ـ غفرت لك على ما كان منك، ولو استقبلتنى بملء الأرض خطايا وذنوبًا، استقبلتك بملئها مغفرة. وأغفر لك ولا أبالى » .

• قال شاعر من الزمن الأول :

رأيت الذنوب تميت القلوب   وقد يورث الذل إدمانها !
وترك الذنوب حياة القلوب   وخير لنفسك عصيانها
وهل أفسد الدين إلاَّ الملوك   وأحبار سوء ورهبانها ؟!

• ترى أيها أسوأ، من يدعى أنه الحاكم بأمر الله، أم من يطوع الدين لخدمة أغراضه الشخصية ؟!!!

• يصبر على البلوى، من يتطلع لإدراك حلاوة النجوى !

❀ ❀ ❀

• غرائزنا بأنواعها التى لا تكاد تحصى، وبألوان شرودها التى لا تعد، جزء من مصيرنا كمخلوقات واعية وعيًا محدودًا بقدر حياتنا المتاحة لنا من خالقنا فى زماننا ومكاننا فى هذه الدنيا التى نعيشها !

• لكن عالم البشر منذ خلق إلى ما شاء الله، عالم إمكان واحتمال وتوقع وأحلام وآمال وخيبة وتصحيح وتعثر وصواب وخطأ وتطور وردة وتقدم وتأخر، هذا كله بأوضاعه وأنواعه ـ غير نهائى وغير دائم .. يوجد ثم لا يوجد، ويظهر ثم يختفى، ويؤكد ثم يُلغى، ويذكر ثم ينسى تمامًا كأنه ما كان!! لأنه من الأصل لا يقين فيه وليس فيه شيء يقينى أبدى بإطلاق على وجه الدوام !!

• الإخلاص على مراتب، ومقامات :

إخلاص العوام، وهو خلوص الأحوال من شوائب الرياء،

وإخلاص الخواص، وهو خلوص النية من شوائب النظر إلى الـدارين وفى الحديث : « إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئٍ ما نوى » .

وإخلاص الأخص، وهو خلوص الجوهر الإنسانى عن شوب الوجود وشينه .

- قال ذو النون المصرى : « من علامات الإخلاص، استواء المدح والذم من العامة، ونسيان رؤية الأعمال فى الأعمال واقتضاء ثواب العمل فى الآخرة».
- المعاصى تولد المعاصى، حتى تصير صفة لصيقة بالعاصى ! فالمعصية إلف ينسلخ القلب من الإحساس بقبحها، فتصير له عادة، لا تفارقه، ولا يفارقها!!
- نور العقل يطفئ ظلام المعاصى ويقصيها .
- من يغوص فى ذاته ويتأمل فيما أودع فيها ـ يتصل بروح الوجود !

❁ ❁ ❁

- غريزة حب المال، غريزة متأصلة فى النفس الإنسانية .. لم يخل أى آدمى فى أى زمان ـ إلا نادرًا جدًا ـ من قدر من الحرص على المال أو ما يقوم بالمال أو يمكن أن يقوم مقامه، وربما كان هذا أيضًا غريزيًا فى جنسنا قابلاً من هذه الجهة للتقوية ومنها إلى المغالاة التى يصعب الوقوف بها عند حد معقول ـ فيصبح المال بأنواعه وأشكاله وصوره، ورغبة تنميته بكل حيلة ووسيلة ـ سعارًا يشغل صاحبه فيصير همه الرئيسى الذى يصحو وينام عليه غارقًا فيه، وهذا شرود خطير الآثار والعواقب، لأنه يدفع بالشارد إلى الاندفاع فى المشاركات والمغامرات والمضاربات والجموحات، فيفقده العناية اللائقة والواجبة بترقية عقله ونفسه وذوقه وأهله ومن تتوثق صلتهم به، كما يعرضه للنكبات وأنواع الحسرات والدمار !!
- فارق بين الصادق، والصدوق، والصديق :

الصادق من صدق فى أقواله .

والصدوق من صدق فى أعماله .

والصديق من صدق فى كل أحواله .

- من أقوال عبد الله بن عباس : « إن للحسنة ضياءً فى الوجه، ونورًا فى القلب، وسعةً فى الرزق، وصحةً فى البدن، ومحبةً فى قلوب الخلق » .
- ظلام المعصية فى القلب، أشد حلكة من الظلمة الحسية للبصر !
- لن يخلص إلى المعانى، إلاَّ من يطرق الباب بصدق !
- السعى والمجاهدة، ليسا بالكثير على طالب الحكمة !

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٥٠)

• ألفاظ اليقين والجزم والتأكيد والإطلاق، لا يستعملها البشر إلا توسعًا فى نطاق تلك النسبية الزمنية، إذ هم يعبرون بها عن مقدار التصديق الداخلى الذى يشعر به الإنسان فى ضميره وأعماقه، وهى لا تخرج عن كونها أحكامًا بشرية بنت لزمانها ومكانها . فليس معنا نحن البشر مطلق نخاطب به المطلق: الحق تبارك وتعالى، وكل ما معنا هو ما منحه سبحانه لكل فرد من وعى وفهم وعقل وعاطفة وذاكرة وحواس وأعصاب وخلايا !

• مصالحة النفس تنهاها عن الشرود !

• قوة المؤمن فى قلبه .. كلما قوى قلبه صح بدنه .

• لا يبحث الرحالة غير المقيم عن علاقات دائمة، ولا يبالى باكر بما قرّ عليه فى يومه وأمسه !

• تتحول الحياة إلى تعاسة دائمة حينما لا تفطن إلى المودع فيها !

❀ ❀ ❀

• معرفة البشر بأنفسهم وبالعالم الذى يعيشون فيه، ليست إلا تمثلاً بشريًا لواقع الآدمى فى هذه الدنيا كما يبدو مصادقًا لاقتناعه الداخلى، مع افتراض استمرار تغير هذا الواقع زمانًا ومكانًا، وهو تمثل يشمل دائمًا كل ما مع الآدمى من العموميات والمسميات والمفاهيم والتجارب والفروض والنظريات التى لا بد أن تتغير سريعًا أو وئيدًا مع تغير الأجيال والعصور .. فيه حذف وزيادة، وتعديل وتبديل، ومحسوس وغير محسوس، ومن المستحيل منعه لأنه وليد رغبات وميول جماعات بشرية قد يحركها أو يتسبب فيها جهود

أفراد سرعان ما تتوارى جهودهم حين تستقر إلى غايتها وتعلن الجماعة عن رغباتها وميولها !

• فارق بين الرجاء والتمنى : التمنى يورث الكسل، ولا يسلك طريق الجهد والجد، والرجاء سعى محمود، يورث الهمة، ويقود إلى مدارج السالكين. وكان الإمام على بن أبى طالب يقول : « ليس الإيمان بالتمنى، ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل » .

• المعرفة هى منشأ الصدق، فمن عَرِفَ صدق .

• من عطل التقوى صادفه العسر فى أمره !

• من انحصر فى ذاته ضل، ومن لم ينظر إلاَّ ليومه أفلس !

❀ ❀ ❀

• يبدو أن حياتنا الواعية كلها قائمة على المقابلات بين الصغر والكبر والضعف والقوة واليقظة والنوم والجوع والشبع والنشاط والكسل والرضا والسخط والقناعة والطمع والجرأة والخوف والعلم والجهل والفطنة والغباء والأمل واليأس والفرح والحزن والمتعة والملال !

والآدمى لا يفطن إلى تلك المقابلات والانتقالات من حالة إلى عكسها، إلا إذا كانت على درجة من القوة تسترعى انتباه وعيه إليها، أما غير ذلك فلا يشعر به الآدمى ولا يلتفت إليها..وتلك ظواهر طبيعية تجرى وتتوالى فى إطار عمل الأجهزة داخل الآدمى، وسلطانه الواعى عليها محدود فى نطاق درجات متفاوتة من إمكانية إخضاعها لإرادته وضبطها وتوجيهها .

• قال بعض العارفين: علامة الصَّدِّيقِ أن يكون بصواب القول ناطقًا.

فإذا نطق فكلامه بالحق موزون .

وقلبه بالطهر والصفاء معمور .

• المعاصى تميت القلب، وتزيل النعم، وتعمى البصيرة !

• أقوى الناس، أقواهم على نفسه، وأقدرهم على الإمساك بزمامها !

- من خان قلبه، خانته جوارحه !!
- لا تفقد الصبر والثبات، فإن الحياة فى صيرورة دائمة !

❁ ❁ ❁

- على مدى النسبية الزمنية ومنذ وجودها إلى اليوم، يلغط الآدميون بعضهم مع بعض باستمرار بلا توقف عام، وهم لا يكفون عن الجدل والتصحيح والتعديل والخلاف والتكذيب والتذكير والنسيان والتناسى، ولا عن التغيير والتبديل والحذف والإضافة، لكنهم على الجملة قادرون على أن يتقدم بعضهم وأن يركض البعض ويزداد علمًا وفهمًا، وفى القرآن الكريم : «وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً » . « وقل ربى زدنى علمًا ».. وفى هذا وأمثاله من الكتاب المجيد توكيد لتلك النسبية التى يسبح فى تيارها الإنسان منذ أن وجد، فالخالق جلّ وعلا لم يكمل للآدمى العلم كله بل لم يمنحه غالبيته .. لأن علم الآدمى لا يكون إلا نسبيًا أعطى إياه على قلة تتناسب مع وجوده الفانى الوقتى المرتبط بالزمان والمكان، ومن ثم لا علاقة بين علم الإنسان بذاته وبالكون الهائل، وبين ديانة الإنسان ـ إلاّ بما يتيح للإنسان معرفة خالقه « نوع معرفة » لا كل المعرفة ـ تناسب مواظبته على مراقبته بالوعى والفهم والطاعة والاستقامة الداخلية والخارجية .
- حقيقة العمر، غير أوقات الحياة !!
- قليل يغنيك خير من كثير يلهيك !
- لو تفطن المتعجلون لعرفوا أن كل آتٍ قريب !
- الحياة لا تعرف الدوام، وهى لكل حى نحو المحاق تسير !
- لا تخجل من دموعك، فالرجال يبكون أحيانًا !

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٥١)

• المؤمنون يشتركون فى الملّة جميعًا بالإيمان بها، ولكن لا يشتركون سواسية فى استبطانها واستيعابها لاختلاف أفهامهم وأذواقهم، ويستحيل على هؤلاء وأولئك الاشتراك فى غير العلم النسبى غير القابل للتعديل والتصحيح عبر الزمان والمكان .. « آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إليهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإليكَ الْمَصِيرُ * لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعليهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا » (البقرة ٢٨٥، ٨٦)

• اعبد ربك كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه سبحانه وتعالى يراك .

• يصدأ القلب من المعاصى ؛ فلا تزال به حتى تصير طبعًا فيه يختم عليه، ويفنى بصيرته !

• لا يسعى الرحالة وراء علاقة دائمة !

• من آمن بالله أغناه، ومن آمن بعقله كفاه .

• من يرافق الحق، لا يبالى بمفارقة الخلق !

❁ ❁ ❁

• كان الآدميون وما زالوا عرضة للغلط والخطأ والخطيئة والذنب والإثم والشر، وقابل ذلك ويقابله اعتقاد فى اقتران التوبة الخالصة المخلصة، بالعفو والاتزان والرحمة .. « قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى

أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » (الزمر ٥٣) .. وهذه المقابلة تبدو ضرورية لا غنى عنها لاستمرار حياتنا الواعية فى عملها على هذه الأرض التى لا مناص فيها عن الخطأ ولا عن أبواب رحمة التوبة والغفران !

- من يتولى الله تعالى بالعبادة والطاعة، تولاّه سبحانه بالهداية .. وفى القرآن المجيد : « إِنَّ وَلِيِّـيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ » (الأعراف ١٩٦)
- الكبر معرض يستوى فيه النبيه ذكرًا، والخامل قدرًا، ليس أمامه حاجب يمنعه، ولا دونه حاجز يحظره .
- لا يعرف الفقر ولا يخافه، من يؤمن بالعمل !
- الحب لا يبالى بالزمن ما دامت شمعته مشتعلة !

❀ ❀ ❀

- نحـن لا نعى ما غاص فى اللا وعى إلا فى الأحلام، ولا تشغـل أحلامنا قط مخلفات الوراثات بما يمكن أن نعيه منها، مع أنه من المسلم به أن بعض هذه الوراثات ينتقل إلى الأحياء فـى الأبدان والآفات والعاهات والأمراض والأصوات والأعمار !
- ذلك لأننا لا نعى إلا ما يحتويه وعى كل منا خلال حياته ولا نعى ما وعاه وعى أسلافنا... ووعينا مقصور على ذات كل منا، وهو يصاحبها خطوة خطوة من بدايتها إلى نهايتها، ولا يفارقها إلا فى أوقات الإغماء والتخدير .

ليس الجاهل والعالم فى الخطأ والجنوح سواء ..
الجاهل قد يكون معذورًا ..
أما العالم ـ فبما يعلمه ملوم !

قيل إن للزهد ثلاث مراتب :

زهد المبتدئ : وهو ترك الفضول من الحلال .

وزهد المتوسط : وهو ترك ما لا يعنيه .

وزهد المنتهى : هو ترك ما يشغل العبد عن الله تعالى .

- من يتجاهل أمراض نفسه وقلبه، لا يخطر بباله مداواتها وعلاج عللها!!
- يا لعذاب من يكابد الحسرات، يعانى أكاذيب الأمل !

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(٢٥٢)

• أفراد البشر أقارب وغير أقارب، أصحاب وغير أصحاب، هم دائمًا أغيار فى الحقيقة والواقع، لكنهم لنسبية وكثافة العلاقات والروابط الاجتماعية التى يتحركون من خلالها لا يستطيعون العيش دون الوعى بالقرابة والصحبة فى مواجهة البعد والغربة، وهم يسندون كلاً من هذين الوضعين إلى أسباب اعتنقوها وألفوها وصارت أعرافًا وعقائد لديهم يصعب الآن تحويلهم عنها بعامة .. علمنا قليل قليل، وجهالتنا أكبر، بما ورثه كل منا من أبويه وأجداده وفروعهم، لا يستطيع وعينا أن يتعلق أو يشعر بعلاقة وراثية تربطه بأى من أولئك الآباء أو الأجداد !!

• الناس أكثر تتبعًا للمحظوظ، وأكثر اجتلاءً لأفعاله، وتتبعًا لعيوبه .. اليسير منها يفوح فيه، وصغير ذنبه يكبر منه، فيسرع إليه الذم !!

• لا يعذب الله أحباءه بذنوبهم، فإنه تبارك وتعالى يوفقهم للتوبة أو لما يكفّرها من الطاعات والحسنات .

• لا تزال المعاصى تحيط بالواقع فيها حتى تنسيه نفسه !

• يقول تبارك وتعالى : « وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» (الحشر ١٩)

• الخوف من الفراق، هو الذى يلهب الحب !

❀ ❀ ❀

• نحن لا نعى مباشرة إلا ما يجرى لكل منا، وهو فقط ما تنقله أعضاؤنا وحواسنا إلى وعينا مما نشعر أنه لازم لا غنى عنه أو ملائم أو مريح أو سار

أو فاتر أو تافه، أو نحس أنه ثقيل أو يضايق أو يقلق أو يخيف أو يؤلم أو يخنق . هذا الوعى يقترن بمحاولة استكشاف أو تخمين أسباب ذلك، ثم محاولة تأييد الملائم والإكثار منه، وإزالة غير الملائم أو تخفيف آثاره وهذا وجه من وجوه النسبية التى تغشى حياة كل حى، والإنسان بالأخص راقيًا أو بدائيًا .

- عيب الغِنَى أنه قد يورث بلادة، وفضيلة الفقر أنه يبعث الحيلة !
- بين النفس الأمارة والنفس المطمئنة، حرب لا تتوقف، على العاقل أن يوازن إزاءها بين لذة تغريه، وبين مرارة محاربة يعقبها انتصار على النفس .. وللنفس .
- تشن النفس الأمارة، حربها على النفس المطمئنة، بجند الغفلة، وجنود الشهوات تزينها وتحسنها للقلوب والعيون ! والعاقل من حارب الغفلة بالفطنة، ووأد الشهوات بالاعتصام بحبل الله وذكره . ولذكر الله أكبر .
- من أقوال التسترى الإمام الصوفى : « أعمال البر كلها فى موازين الزهاد . وثواب زهدهم زيادة لهم » .

❁ ❁ ❁

- عالم البشر على ما فيه من غلواء وضوضاء وكثرة سخط ولغط، عالم مرن شديد المرونة، تعوّد نواقصه حتى قل التفاته إليها، وربما بدأ فى السنوات الأخيرة يتعود استغلال واستثمار فضائله ومهاراته فى التعرف العميق على ما تنطوى عليه البيئة الخارجية من مخبآت وقوى وطاقات هائلة يمكن بقدر من المثابرة مع الاجتهاد والصبر، أن نقضى نهائيًا على وجود الفاقة والفقر بين البشر، فيبدأون تاريخًا جديدًا كل الجدة لا تعرف صحائفه معنى الحاجة والمحتاجين !!
- قالوا إن لمقام التقوى ثلاث مراتب :

مرتبة العوام، وهى التحرز عن المخالفات بتعرض الموافقات وتجنب الشبهات، والتطهر من السيئات بماء الحسنات .

ومرتبة الخواص، وهى المجانبة عن الشهوات بملازمة الرياضات وبمراقبة الخطرات، والاحتراز عن الوقفات بترقب المشاهدات .

ومرتبة أخص الخواص، وهى الإعراض عن موافقة الهوى ببذل الروح فى محبة الله، والخروج من حظوظ الدنيا برعاية حقوق المولى، والاتقاء بالله عز وجل عمّا سواه .

- الذنوب والمعاصى سلاح يمد به العاصى أعداءه ويعينهم بها على نفسه!

وقديما قال شاعر حكيم:

ما يبلغ الأعداء من جاهل ** ما يبلغ الجاهل من نفسه

- من أحبه الله، أبلغه مقام المحبة .
- الحياة لا تُعطى إلاَّ لمن يعطيها .

❋ ❋ ❋

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٥٣)

• معنى الحاجة والمحتاجين هو أحلك جوانب الصورة الآدمية للإنسان وأوسعها بؤسًا وأشدها عمقًا منذ أن عرف وعايش البشر بعضهم بعضًا . ومن ذلك المعنى تنبت سائر المآسى فى حياة ذلك الجنس وتطوراته، فعبء الحاجة والمحتاجين لم يتناقص قط فى عصور التاريخ كلها، وهو يفوق بكثير تقدم وتطور الحضارة الحالية بوضعها الراهن نتيجة الزيادة الهائلة فى تعداد سكان الأرض وعجز قدرات الدول والشعوب عن ملاحقة تلك الزيادة والتغلب عليها، وهو عجز لا يزال موضوع تغافل وتناسٍ وإهمال وقلة مبالاة، رغم أنه يحمل أفدح وأفظع المخاطر على استمرار بقاء الجنس فضلاً عن استمرار تقدمه، لأن الحضارة الحالية دائبة على نشر التعلم والتعارف فى العالم كله وإزالة الفجوات والمسافات والصعوبات التى تعوق اتصال الشعوب بعضها ببعض، دون أن تلتفت أو يدخل فى حساباتها أن ذات هذا المسعى الدائب يجمع فى ذات الوقت المحتاجين وحاجتهم فى العالم بأسره، ويوحد فيما بينهم الشعور العارم بالقرابة ووحدة الحال والمآل وما يعانون من ظلم وقسوة وغباء، وأنهم لذلك يمضون فى طريقهم وحدهم دون أن يفارقهم الشعور بالمعاناة والظلم والقسوة، وهو شعور يؤدى إلى تخريب دنيا البشر إن لم يتحد العقلاء المبصرون وينجحوا فى وقف الكارثة وتغيير الأحوال !!

• لماذا يحتجب ويتوارى الفكر، ويرتفع الآن نعيق البوم فى بر مصر ؟!

• لا خير فى حكم يجمع كافة السلطات فى يد واحدة !!

❁ ❁ ❁

• بعد إلغاء الرق فى النصف الثانى من القرن قبل الماضى ـ لم يخطُ العالم المتحضر خطوة فاعلة لإلغاء الأصل الذى ترتب عليه الرق، وهو الضعف والحاجة والقوة والسطوة، فبقى المحتاجون على حاجتهم وزاد عددهم، كما زاد تعرضهم للحاجة والهوان وخضوعهم لضغط القوة والسطوة وعدم المبالاة !

• كذلك لم تنجح الملل والأديان فى الوصول لعلاج شافٍ لدوام وجود الحاجة والمحتاجين فى كافة المجتمعات البشرية طوال العصور والدهور، برغم أن بناة الأديان والملل كانوا من أشد الخلق فهمًا وعطفًا وانحيازًا للمحتاجين فى زمانهم، وغاية ما انتهت إليه الأديان والملل فى هذا الصدد هى إقامة الأديرة والتكايا والخلايا والمستوصفات والملاجئ، فبقى جيش المحتاجين على حاله من الحاجة، وزاد كثرة على كثرة، برغم سعى الأديان والملل لحث القادرين على بذل صدقات لا تجدى ولا تغنى جحافل الاحتياج البائسة فى عالمنا المعاصر !!

• قال بعض العارفين :

من عجائب الآدمى أنه يسعى بجهده فى هوان نفسه، وهو يزعم أنه لها مكرم، ويجتهد فى حرمانها أعلى حظوظها وأشرفها، وهو يزعم أنه يسعى فى حظها . ويبذل جهده فى تحقيرها وتصغيرها، وهو يزعم أنه يعليها ويرفعها.

• لا نستطيع أبدًا إعادة خلق الماضى ؛
• ولكن بإمكاننا التعلم من أخطائه
• ومن استبصاراته ودروسه وعبره !!!

❁ ❁ ❁

• ما يشاهد اليوم هنا وهناك من كثرة المؤسسات والجمعيات الاجتماعية والخيرية وكثرة العقائد والنظم والنظريات والمبادئ فى علاج سلبيات المجتمعات الإنسانية، كل ذلك فيما يبدو قليل الجدوى إزاء الزيادة المطَّردة فى عدد أفراد كل جماعة بالنسبة لما تتيحه الجماعة أو يمكن أن تتيحه فى ظروفها الراهنة، لأن الخلل فى توزيع ثمار الإنتاج مع التسليم بوجود أسباب لهذا الخلل يستحيل وحده أن يتسبب فى وجود المحتاجين الذين هم غالبية الناس عددًا فى كل مكان، فالبشر بعامة أغنياء وفقراء ينبغى أن يزيدوا إنتاجهم فى كل بلد زيادة هامة محسوسة ليحموا الأغنياء وغير الأغنياء من احتمال الانفجار بفعل جيش المحتاجين الذى يبدو الآن أنه يتحرك نحو هذا الانفجار !!

• إذا كان يسوغ أن يوجد غير الغنى إلى جوار الغنى فى أية جماعة، فإن وجود المحتاج ينطوى على أذى وهمجية وإنكار لمعنى المساواة فى الحياة والاعتراف بحقوقها لكل البشر، ومنها حق كل آدمى فى أن يجد ما يكفيه مما يمكنه الحصول عليه بسعيه المشروع فى عالم لم يعد فيما يبدو يفسح مجالاً إلاّ للأقوياء !!!

• ضائع خامل من يبنى آماله فى الحياة على موت إنسان !!

• ماذا كان يمكن أن يكون مذاق الحياة إذا مضت بلا آمال وأحلام ؟!

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(٢٥٤)

• لا تستطيع البشرية ـ فذلك شرود جسيم ـ أن تتجاهل الاحتياج والمحتاجين، ولا أن تعطى هذه المسألة ظهرها أو تغضى عنها، لأنه عمى ضرير لا يقبل عليه العقلاء .. أمام تفاقم الاحتياج، وإدراك الحكومات أنها بمثابة غول يأتى على الأخضر واليابس، ويهدد بخروج قطاعات كبيرة من المجتمعات عن التناغم العام، وبما قد يصاحبه من احتمالات الجنوح بأشكاله وصوره ومحاذيره، وأمام الاعتبارات الإنسانية و لاجتماعية، تلجأ الحكومات إلى محاولة رأب ولو بعض الصدع، ولذلك اعتادت الحكومات فى البلاد المتمدينة أن تقدم معونة للعمال العاطلين فى أزمات البطالة حتى تجنبهم شرور الاحتياج لانقطاع أرزاقهم ـ هذا التدبير تدبير وقتى لا يحول دون تكرار تلك الأزمات، لأن معظمها يبدو خارجيًا طارئا إذا لم نحسب حساب المغامرة وسوء التقدير من جانب أرباب الأعمال الذين اعتادوا العمل فى ميادين تسودها الاحتمالات المفاجئة والتغيرات غير المنتظرة !

• الرجاء أحد جناحى قلب المؤمن، والخوف ثانيهما . بهما يطير عوام المؤمنين إلى الجنات، وخواصهم إلى القربات، وأخص خواصهم إلى مقامات فى الموصلات .

• وقالوا فى الرجاء : انعكاس ضياء أنوار الجمال على مرآة القلب .

• وقالوا فى الخوف : انعكاس ضياء أنوار الجلال على مرآة القلب .

• النصح أولى ما تعامل به رفيقان، وتسامر به صديقان .

• طوبى لمن كان معجونًا بأنوار المشاهدة، ونفسه معجونه بأرواح العبودية والمجاهدة.

❁ ❁ ❁

• بديهى أن كل دين ومعرفة وعلم وفلسفة وأدب وفن وصناعة وتجارة ومهنة وحرفة، مقصوده الأساسى هو الجماعة العديدة أى المجموع العام، وليس هذا الفرد أو ذاك أو هذه المجموعة من الأفراد أو تلك ـ فالجماعة مقصود كل شيء بشرى ذى قيمة أو وزن أو خطر فى حياة الآدميين، وتجاهل هذا المقصود الرئيسى ليس إلا شرودًا وإساءة استعمال للقوة والذكاء والدهاء الذى يستند إلى شيء من ذلك لإعلاء قيمة ذاته وإسقاط منزلة الجماعة !!

• هذه البديهية عرضة باستمرار فى حياة البشر للإغماض والإغفال والاستهانة، بل والمهانة أحيانًا، وقد أدى هذا وما زال يؤدى إلى ما لا عدد له من الصعوبات والمشاكل والمآزق والقلاقل والنكبات والويلات والتدمير والإفناء، ويعين على تكرار ذلك اعتياد البشرية على النسيان والاستخفاف والاستهانة والانشغال بالتافه والوقتى والعارض والشخصى، وغياب الانتباه إلى الأشياء الأساسية التى هى عماد ورأس مال البشرية !

• إذ يستحيل مثلاً الفهم الكافى لمعنى الدين ـ وهو فى الدرجة الأولى معنى اجتماعى ـ إلا بالإقرار الصادق الصادر من القلب بمكانة ولزوم الجماعة المعتنقة له، ومحافظة كل فرد داخلها بحسب طاقته واستنارته على بقائها وبقاء قوتها ..

• من أنكر منابع الحكمة وطرق التعليل، سَدَّ على نفسه باب الإيمان والهداية، وفتح على نفسه باب المكابرة وجحد الحقائق والضروريات !

• مقام من أحبك لنفسه، ليس كمقام من أحبك لنفسك .

❁ ❁ ❁

• الصدق هو تسليم عقل الآدمى بغير تحفظ بصحة حدث أو بصحة واقعة أو فكرة .. تسليمًا خالصًا لا يشوبه تحفظ أو قلة مبالاة أو رعونة أو خديعة أو غرض خاص أو عام . هذا الصدق هو دائمًا ابتداء وانتهاء خاصية بشرية .. يحفل بها الآدميون حين يحترمون عقولهم، أو حين يوقرون عقائدهم .. وهم

على نقيض ذلك عندما يتظاهرون بالصدق، أو حين يحرصون على خداع الناس عن طريق السمعة والصيت بأى وسيلة أو شكل .. فيما تعارف الناس على وصفه بالنفاق أو الرياء أو التستر أو المداراة!!

- المؤمن الحق، يوقن أن تقدير رب العزّة أحكم التقادير، وأن ما يختاره له أفضل مما يختاره هو لنفسه ـ وصدق ﷻ إذ يقول :

« وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ » (المائدة ٥٠)

« فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ » (المرسلات ٢٣)

« إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ » (هود ٥٦)

- قال شاعر من العارفين بالله :

فإذا نظرت بعين عقلك لم تجد
شيئًا سواه على الذوات مصورًا
وإذا طلبت حقيقة من غيره
فبذيل جهلك لا تزال مُعَثَّرًا

- لا حد لطمع الإنسان !
- يقول الصوفية : « لا وصول إلى حقيقة، إلاَّ بعد تحصيل الطريقة » . وفى ذلك يقول أبو سليمان الدارانى : « إنما حرموا الوصول ـ وهى الحقيقة، لتضييعهم الأصول ـ وهى الطريقة » .

❀ ❀ ❀

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٥٥)

• الحقيقة هى ما تسلم به الجماعة فى عمومها .. وقد توصف بأنها حقيقة عامة . ولا يخل بهذا الوصف للحقيقة لدى الآدميين - أن يوجد بينهم من لا يسلمون بها أو يخالفونها أو يعتقدون غيرها .. ما دام هؤلاء المخالفون أقلية لا تلتفت الجماعة إلى وجودهم، أو تحاول - إن التفتت إليهم - إرجاعهم عما هم فيه بالإقناع أو بالضغط أو بالقوة، أو تنتهى إلى تركهم وما يعتقدون ومعايشتهم على أنهم أقلية تاريخية متروكة لما اعتادت عليه فيما بينها .. شريطة ألا تعكر صفو الأغلبية بالدعوة لمعتقدها، ومن هنا أمكن التعايش معًا بين أهل الأديان والملل المختلفة فى نفس الأمة أو فى نفس الدولة .

• من كان خوفه من النار، ورجاؤه إلى الجنة - فليباشر أعمال الشريعة بالتقوى .

• ومن كان خوفه من عدم قبول الطاعات، ورجاؤه إلى الموصلات - فليعمل عملاً صالحًا للحقوق، صافيًا عن الحظوظ، ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا، بالالتفات إلى الدارين .

• لا تقم على ما لا تحب !

• إذا لم يكن ما أردت، فاصبر على ما صادفت، فإن غدًا لناظره قريب، والأيام حُوَّل قُلَّب !

❀ ❀ ❀

- قال أحد الصوفية فى حال أهل زمانه : قد توعرت السبل، وقل السالكون لها، وافترشوا الرخص، واستسهلوا الزلل، واعتلوا بزلل الماضين ولم يقتدوا بأعمال الصالحين .
- لا يستطيع الآدمى منفردًا بعيدًا عن الجماعة قاليًا لها متبرئـًا منهـا، أن يتصل اتصالاً حقيقيًا بالخالق جل وعلا، لأن الجماعات كيانات بشرية أبقى من الآحاد والأفراد من صنع الخالق وتدبيره، وقد اقتضى بقاءها على النحو المناسب لها فى البقاء برغم فناء الأفراد أو الآحاد وزوال مزاياهم ومواقفهم هم وأجيالهم ..
- مسئولية الفرد أمام خالقه مسئولية شخصية، مصيره معلق بعمله، أما الدين فإنه دين جماعة بشرية أولاً وأخيرًا، وحساب الأفراد والآحاد فى الآخرة هو حسابهم عن أعمالهم داخل جماعاتهم تحت راية نبى كل جماعة هداها وأسسها ذلك النبى، فالذى يهرب من جماعته إيمانًا منه بعقيدة عنده ليعيش الباقى من حياته فى بادية أو قمة جبل حتى يموت، يموت ومعه عقيدته من كل وجه، لأن الدين لا يتصرف فيه الأفراد والآحاد !!
- قال بعض الصوفية :

  الرجال ثلاثة :

  رجل عمل حسنة، فهو يرجو قبولاً .

  ورجل ارتكب سيئة ثم تاب، فهو يرجو المغفرة .

  ورجل كاذب يتمادى فى الذنوب، فهذا لا رجاء له فى مغفرة !
- من عقوبات المعاصى، الختم على القلوب والأسماع، والغشاوة على الأبصار ..
- لا خير فى حكم تجتمع فيه كل السلطات فى يد واحدة !
- لا دين لمن لا عقل له !

❁ ❁ ❁

• تكفير الأفراد بعضهم لبعض تبعًا للموقف من هذا الحكم أو ذاك من أحكام الدين، جدل ولغط ولغو لا يخرج به أحد من دينه الذى هو دائمًا دين الله ودين الجماعة بأسرها، ولا يمكن أن يؤثر بشىء على قيام العلاقات والقرابات والتآخى مما رتبه الدين وقرر ضرورة قيامه بين أهل الملة، لأن صيانة أحكام الدين والمحافظة على احترامها وامتثالها، إنما هى فى عهدة مجمع رؤسائه فى كل الأديان ذات الأنظمة، وليست فى أيدى وتصورات الأفراد والآحاد، ولذلك فإن انتحال هؤلاء لهذه السلطة، هو بذاته مجرد تمرد معلن لا يمكن أن يصيب أو ينال الدين، لأن الأديان أبقى وأقوى على الدوام من الأفراد !

• قال بعض الصوفية : اعلم أن تصحيح المقامات كلها بمحل الإخلاص على الحقيقة. فمن لم يصحبه الإخلاص فى كل مقام ـ لا يسلم له الخلاص منه.

• قال بعض العارفين : نصب الله تعالى لعباده صراطًا مستقيمًا دعاهم جميعًا اليه حجة وعدلاً .

• وهدى من شاء منهم إلى سلوكه نعمةً منه وفضلاً .

• فإذا كان يوم لقائه، نصب لخلقه صراطًا مستقيمًا يوصلهم إلى جنته .

• ناشد أحد العارفين نفسه، فقال لها : ناشدتك الله، يا نفسى، هل قمت لى قط فى دين الله، حامية عنه بمعروف تعيَّن عليك، أو نهى من منكر، فى موقف دونه السيوف الحداد، وعدم النصر يغلب فيه على ظنك أن تُعْتلى فيه؟ قالت : لا والله، ولكن قاربت هذا المقام، ولكن بسياسة وطنت بها نفوس الأعداء، بحيث إن غلب على ظنى الأمن والعافية فى وحى ـ أقبلت، وإلاَّ رجعت !! فقال لها : أين أنت مما فعله السابقون الأولون ؟!

❀ ❀ ❀

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٥٦)

• لم تنف الكتب السماوية نسبية الصدق والحقيقة والمعرفة والعلوم والفنون البشرية، ولم تقصر فى تذكير البشر بالغيب الذى يكتنفهم .. ونجد فى القرآن المجيد قوله سبحانه وتعالى :

«وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً »، ونجد فيه مدحًا « للذين يؤمنون بالغيب» وتذكيرًا « بعلام الغيوب »:« يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ».

وهذه النسبية بدهية مفروضة فرضًا قاطعًا لا يمكن أن يمارى فيه عاقل يعلم أنه لا يعرف إلا الأقربين والمخالطين، وأنه يجهل ولا يدرى أمر الملايين بل البلايين من البشر الموجودين الآن، أو الغابرين الذين لا يعرف عنهم إلاّ أقل القليل، أو الآتين الذين يأتون من بعده وقد يتاح أو لا يتاح له رؤية عدد منهم فى أى وقت أو موضع أو مناسبة .. كما يعلم أنه لا يعرف من يعرفهم إلا نقاطًا ونتفًا يساندها حكم العادة أو حسن الفطن أو سوء الرأى أو قلة المبالاة أو ظلال الهيئة والأهمية .

• قال بعض العارفين، إن الله تعالى يعامل عباده برحمته، ويعاقب أعداء الحق بعزّته .

• عجيب مؤسف أن يعيش الآدمى عمرًا طويلاً ثم لا يترك وراءه من يحزن عليه أو يرثيه !!

• من عظمت الدنيا فى نفوسهم، لا يرون غير مرادها ومطلبها !

❁ ❁ ❁

• كثرة أحداث الشرود وصوره فى هذا الزمن، سببها الرئيسى فيما يبدو للمخضرم الملتفت ـ هو سرعة الانتقال والتحرك والتغير والتغيير مع ضيق صدور الناس الآن، وقلة ما معهم من الصبر مما كان مع آبائهم ومن القدرة على تحمل أعباء الحياة ومشاقها طويلاً، ذلك بسبب إسراع عجلة التقدم الجارف فى العلوم الوضعية والمعارف المبنية عليها والأجهزة ووسائل الإنتاج والأدوات المستحدثة نتيجة لها، وفى طرق وأنواع الإنتاج الجديد، وفى انتشار هذه وتلك فى العالم كله غربًا وشرقًا وشمالاً وجنوبًا، وفى أساليب التوزيع التى لا آخر لها برًا وبحرًا وجوًا، وهى كلها أمور لم يسبق لها مثيل فى الماضى القريب والبعيد .

• لا تتم سلامة القلب حتى يسلم من خمسة أشياء :

من شرك يناقض التوحيد ..
وبدعة تخالف السنة ..
وشهوة تخالف الأمر ..
وغفلة تناقض الذكر ..
وهم يناقض التجريد والإخلاص ..

• كم من أيام تمر ثقيلة مضنية بلا عزاء !

• التوكل على الله ثقة واعتماد وتسليم .. ثقة فى الله عز وجل واعتماد عليه، وتسليم لأمره، يفعل سبحانه ما يشاء ..

❁ ❁ ❁

• إن البشر بواقعهم مجاهيل وهم يتعايشون ويتعارفون ويتحدون، كما هم مجاهيل وهم يتوزعون ويتباعدون .. ناطقون وأغراب وأعاجم وأجانب .. ولكن يوسع بينهم من وقت لآخر فرص الاقتراب فى الفكرة أو المبدأ أو العقيدة أو العاطفة أو الاقتراب فى الحاجات والمطالب

والأغراض والعادات. وهذه وتلك لا تترك للوعى البشرى إلا فرص المعرفة النسبية القابلة مع العناية للنمو والزيادة، والقابلة مع الإهمال وقلة المبالاة للضمور والانعزال ثم الزوال !

- من سبحات الصوفى يحيى بن معاذ :

« إلهى أجلى العطايا فى قلبى رجاؤك . وأعذب الكلام على لسانى ثناؤك . وأحب الساعات إلىّ الساعة التى يكون فيها لقاؤك » .

- هناك من ينقلب بين عشية وضحاها من ورع طيب إلى شيطان مولع بالمعصية !

- سوف نعرف الطريق إذا عرفنا لماذا تتحول أيامنا الآن إلى حسرة طويلة!

- ينزرع الحياء من الله فى قلب المؤمن، لأنه يفكر فى دوام إحسانه عز وجل إليه، ويعلم بأنه بعينه سبحانه فى منقلبه ومثواه، ويذكر وقوفه بين يديه كل لحظة، ويوم يقوم الأشهاد .

❋ ❋ ❋

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٥٧)

• القلاقل والفتن والثورات والحروب انبعاثات تلتهب فجأة وهى غير رشيدة فى الأغلب الأعم، ويصحبها ـ إذا اتسعت وطالت ـ ما لا يمكن حسبانه من الخسائر فى الأرواح والأرزاق والمرافق والأموال والعقول والأخلاق والآمال، فهى أسباب ردة مزعجة تفرض بلاياها على ذلك الجزء من البشرية الذى داهمته وألمت به، ولا يسلم من بعض عقابيلها الأجزاء القريبة أو البعيدة من العالم !!

• ربما حملت هذه الأحداث المؤذية المخربة، معنى كونيًّا يحملنا حملاً على تخفيف الاندفاعات والنظر فيها، وعلى العودة بالخلق إلى التأنى والاعتدال والفطنة والعقل والتبصر لنرى حقيقة إلى أين تندفع بنا خطانا !

• أبلغ من التجارة فى السلع والبضائع والأموال، تجارة المجاهدة بالمال والنفس فى سبيل الله . يقول تبارك وتعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أليم * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ » (الصف ١٠، ١١)

• وكما أن التجارة إما رائجة وإما خاسرة، فإن الذنوب والمعاصى تنسى العبد حظه من التجارة الرائجة وتشغله بالتجارة الخاسرة .. وكفاه بذلك عقوبة !

• من عقوبات المعاصى، أنها تزيل النعم الحاضرة، وتقطع النعم الواصلة.

• ما أسرع أن ينقلب الحب البائس إلى ثورة على الحياة والأحياء !

• المتوكل على الله لا يستوحش المنع، ولا يستعجل الإعطاء، فالله تعالى يعطى ويمنع بقدرته .

❁ ❁ ❁

• ما من آدمى، قل أو كثر نصيبه من الذكاء، إلاّ ويحكمه « منطق ما » فيما يقدم عليه أو يتخذه من قرارات أو مواقف فى شئونه الخاصة، أو فيما يوكل أو يعهد إليه فى الشأن العام، انحصر هذا الشأن فى داخل « الوطن »، أو اقتحم ساحة أو غمار العلاقات الدولية وموازينها بالغة الدقة والتركيب والتعقيد !

• هذا الخاطر يلح على المراقب لشئون الناس، أو سياسات الدول، حينما ينبو أو يشتط موقف أو قرار عن معتاد ما يراه الناس أو غالبية الأفراد والحكومات .. ويكون خاطر التساؤل أكثر إلحاحًا حين ينتسب القرار أو الموقف إلى من يحوز العلم والحضارة وقاعدة المعلومات الواسعة التى توفر رؤية عريضة وفهمًا عميقًا يغدو معهما غريبًا أن تخطئه أو تخرج عنه المواقف والسياسات !!

• الغايات الحميدة، تشهد بها الفطرة السليمة والعقول السوية، ولا يجحدها إلاّ عليل الفطرة وسقيم العقل والوجدان !

• فارق بين المتكلف والصديق :

• المتكلف فى حالة يجرى بين استقامة وذلّة ..

• والصديق هو المستقيم فى جميع أحواله .

• دوام المراقبة لله عز وجل، يسكن خشية الله فى القلب، لعلمك بأنك وإن لم تكن تراه فإنه سبحانه وتعالى يراك .. لا يخفى عليه شىء من حركاتك وسكناتك، ظاهرًا وباطنًا .

❁ ❁ ❁

• قد لا يعرف الآدمى نفسه على حقيقتها إلى أن يموت، وهو إذا طال عمره يتبين أن زوجه وأولاده لم يعرفوه ولم يعرفهم بدوره، وأن اعتياده على الحياة معهم قد حجب فرص أى معرفة كافية لأن الاعتياد عطل الاحتياج لتلك المعرفة، ولأنه هو وهم قد اكتفوا بافتراض أن القربى المادية والاقتراب الحميم يحققان آليًّا وحتمًا المعرفة المطلوبة والمرغوبة، فالآدميون رغم شوقهم إلى المزيد من المعرفة ـ لا يفوزون بها إلا بالنسبة إلى الأشياء المادية غير الحيّة والكائنات الحيّة غير الآدمية .. وهذا هو سر تطورهم وأساس حضاراتهم .. لما فيه من العناصر الثابتة الواضحة لهم، القابلة للتصحيح والزيادة والتطوير والترقى، البعيدة عن الغموض والزئبقية والخفاء والاختفاء، الملازمة لميول وعواطف ووعى وفكر وإرادة الآدمى .. وهى الجانب المائج دائب الحركة والتحول والتذبذب فيه ما دام حيًّا، والذى ينسب إليه تقلبات تاريخه الماضى ومشاكل وأزمات حاضره واحتمالات المستقبل حسنة أو سيئة !

• من أحاديث رسول القرآن ﷺ : « من أخلص لله تعالى أربعين صباحًا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » .

• الإخلاص خلوص النظر من الخلق إلى الحق .

• من أقوال الحلاج : الصديق هو الذى لا يجرى عليه كلفة فى شواهده لمشاهدة الحق، فالحق سبحانه يتولاه فلا يرى شيئًا إلاّ من الحق .

• المتوكل على الله، يؤمن بأنه صائر إلى معلومٍ، فيرضى بالمقسوم، ويرضى بالله تعالى، ولا يتعجله !

❀ ❀ ❀

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(٢٥٨)

• من أهم دعائم القيم العامة، قوة إيمان الناس بها، وإذا تدهور أو انحدر هذا الإيمان العام وتشكك الناس فى صحة القيم وجدواها ـ أوشكت الجماعة على الانهيار الذى لا يمنعه انتشار العلوم والفنون والآداب ومظاهر التحضر فيها.. لأن هذه تزود كل فرد بالشعور بقيمة ذاته وتغريه بالانحصار فيها والالتفات إليها على الدوام وتهون عنده من قيمة اشتراكه ومشاركته فى الجماعة !

• لا يتم الإخلاص إلاّ بالمراقبة . وأفلح من كان رقيبًا على الظاهر والباطن من أمره .

• أبدان الأشرار قبور لقلوبهم !
ويا لبؤس من ماتت قلوبهم ؛
وقبرت فى أبدانهم !!!

• الصبر بالله بقاء ..
فمن يصبر بالله يهون عليه كل شىء ؛
يحتمل الأثقال دون أن يشعر لها ثقلاً ؛
ذلك أنه إذا كان بالله لا بنفسه ؛
كان لقلبه وروحه وجودٌ آخر،
وشعر بالحضرة الإلهية فيـــه ..

• من سبحات العارفين :
إذا فرغت من الأكوان فانصب قلبك لمشاهدة الرحمن ..
وإلى ربك فارغب على الدوام،
وإذا دخلت فى عبادة فلا تحدث نفسك بالخروج منها .

• من تأمل ما رزق الله عباده من الطيبات، وذكر نعمة الله التى أنعم بها عليهم، وعرف أنها لا تعد ولا تحصى ـ يدرك أنه لا يفى بواجب شكر ربه، أن يمضى حياته كلها ذاكرًا نعمه وآلاءه، شاكرًا حامدًا له على ما أفاء به سبحانه ـ على عباده .

❁ ❁ ❁

• الإيمان والظنون والاحتمالات واستخدام وعينا إياها، لا غنى عنه لحياة البشر .. وهى فينا جزء من الفطرة أى من النواميس الكونية .. ويبدو أنها توجد لدينا حتى مع وجود الفطنة والذكاء والخبرة والعقل .. لكى نواجه بها الغيب الكثيف الذى يملأ الكون من حولنا وتحيط بنا أسراره .. وهى تجعل حياة الآدميين شبه مغامرة أو مقامرة، فى نظر من يمعن الالتفات والمراقبة لها من هذه الزاوية وحدها، ولكن مع تقابل الظنون والاحتمالات من خلال الاعتياد والتواتر النسبى، ينشأ قدر كافٍ من الثقة لاستمرار الحياة، وقدر كافٍ بالرضا عنها والتمسك بها لدى الأغلبية الغالبة من الناس فى غالب الأوقات، حتى برغم قسوة الظروف وبؤس الأحوال وقلة الموارد .. وهذا أيضًا يبدو أنه جزء من الفطرة !

• من علامات المراقبة، لزوم المجاهدات، وترك الشهوات، ولزوم الأذكار

• قال شاعر من العارفين :

الله ربِّى لا أريد سواه   هل فى الوجود الحىّ إلاّ الله

ذات الإله بها قوامُ ذواتنا   هل كان يوجد غيره لولاه

• كان على بن سهل المدائنى رحمه الله، يقوم إذا هدأت العيون، فينادى بصوت له محزون : « يا من اشتغلت قلوب خلقه عنه بما يعقبهم عند لقائه ندمًا، ويا من سهت قلوب عباده عن الاشتياق إليه، إذ كانت أياديه إليهم قبل معرفتهم به »، ثم يبكى حتى تبكى لبكائه جيرته، ثم ينادى : « ليت شعرى

سيدى إلى متى تحبسنى ! ابعثنى سيدى إلى حسن وعدك، وأنت العليم أن الشوق قد برح بى، وطال علىَّ الانتظار »

❁ ❁ ❁

- لأن معرفة الصدق والحقيقة وعكسهما بوضوح، من خصائص وعى الآدمى دون بقية الأحياء على الأرض .. وهما نتيجة سعة نطاق حواسه وذاكرته .. فإنهما ـ أى الصدق والحقيقة ـ معنيان بشريان لا يمثلان الكون كله تمثيلاً ملائمًا للآدميين فى صلاتهم وروابطهم بأنفسهم وببعضهم البعض وبالكون الذى لا غنى لهم عنه .. وصحة عمل الحواس البشرية هى باب كل معارف البشر، وهى لا تطبع أساسها فى وعى الآدمى، وإنما تحرك أجهزة فيه بترجمة بعض ذلك الإحساس فقط إلى الوعى والذاكرة ليقوما بدورهما .. ودورهما يتضمن مراجعة دائمة على أساس خبرات وتجارب الفرد ومحيطه ومعلوماته التى سادت فى جماعته أو التقطها هو أو حصل عليها بفضل فطنته وإمعان تفكيره وذكائه ورغبته فى الاطلاع والاستطلاع واستقامة النظر والتعقل .. وهذه كلها قابلة للتطور والتحسين .. وقد تطورت وتحسنت على مر الدهور والعصور، حتى صارت إلى ما هى عليه الآن من علوم وفنون وآداب .
- الذنوب صنفان : ترك مأمور، وفعل محظور .
- من أعظم الذنوب عند الله تعالى، إساءة الظن به !! فهو سبحانه القادر على كل شىء، الغنى بذاته عن كل شىء، العالم المحيط بكل شىء، الرحمن الرحيم الذى وسعت رحمته كل شىء ..
- من وصايا أحد العارفين لأصحابه : أظهروا للناس ما عندكم من الموافقة كما يظهر الناس بالمخالفة، واظهروا بما أعطاكم الله من نعمه الظاهرة والباطنة، فإنه تعالى يقول :
- « وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ » .

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٥٩)

• لعل حاجتنا الشديدة التى لا تنقطع إلى الرؤية والبصر والنور التى يشاركنا فيها البعض من الأحياء، وحاجتنا إلى انتشار الضوء، وسوقها لنا سوقًا إلى ربط رغبة أجزاء حياتنا بالنهار وبالليل واختصاصه لدى سوادنا بأعمالنا ونشاطنا وحركتنا وأهم من ذلك بيقظتنا .. لعل ذلك كله يكون مثالاً جيدًا على نسبيتنا إزاء الكون .. فالضوء المنتشر نهارًا الذى نحرص عليه وتسعد به أعيننا وتزدهر فيه حياضنا ورياضنا وحقولنا، يحجبنا حجبًا يكاد يكون تامًا عن رؤية شىء من الكون فيما عدا الشمس التى لا نستطيع أن نحدق فيها بل أن ننظر إليها .. لكننا مع الاعتياد المزمن المتطاول لا نرى أن النهار من تلك الزاوية ـ أكثف الحجب وأوسعها امتدادًا وانتشارًا أمام البصائر لا الأبصار .

• من عزفت نفسه عن الدنيا، استوى عنده حَجَرُها وذهبها !

• عذر الخائر، من يتعلل بالطغيان للقعود عن الواجب !

• هناك من يضع يده فى يد الشيطان، لا تفارقه ولا يفارقها !!

• يومًا ستغرب النجوم، وتجف الدموع !

❁ ❁ ❁

• تختلف الدعوات، ويجب أن تختلف، عن اللعب بالسياسة والحزبية .. فالدعوات تخاطب الناس وتحاجيها بأنها تنطلق من مبادئ وقيم، وبأن هذه المبادئ مستمدة من الدين، ولها من ثم قداسة واحترام الدين، وهذه

المحاجاة هى سبب ضيق ورفض السياسيين إدخال الدين فى السياسة، لأن الدين خالد مقدس مصدره إلهى وقواعده شرعية لا يملك الساسة مقارعتها بمنطق وحجة أو مآرب وأغراض السياسة وألاعيب الحزبية . لذلك فليس يجوز للدعوات التى تستمد قاعدتها ومنهاجها من الدين أن تلعب سياسة بألاعيب يأباها الدين ويلفظها الشرع !

- كان الزواج عند القدماء مجرد « عقد منفعة » لا يفرض إخلاصًا، ولا يخلق بالتالى فى أعماق الزوجين صراعًا داخليًا .. فلما وجدت الالتزامات والأغلال، تضاعفت حدة العاطفة عند كل من الرجل والمرأة، ثم ازدهرت قصص الحب والمحبين، ومعها الإخفاقات والخيانات !!

- قال الشبلى ينشد فى ذكر الله ..

ذكرتك، لا أنى نسيتك لمحـــــة ... وأيسر ما فى الذكر ذكـر لسانى
وكدت بلا وجد أموت من الهوى ... وهام علىَّ القلب بالخفقــــــان
فلما رآنى الوجد أنك حاضـــرى ... شهدتك موجودًا بكل مكـــان
فخاطبت موجودًا بغير تكلـــم ... ولاحظت معلومًا بغير عيــــان

- جاء رجلٌ على ناقـة إلى رسـول الله ﷺ، فـسأله : « يـا رسـول، أأدعهـا وأتوكل ؟ » ؛ فقال له ﷺ : « اعقلها وتوكل » .

- سفينة العالم تبحر فى بحر الزمن !

❁ ❁ ❁

- اختيارات الدعوات يجب أن تتسق مع مبادئها، فهى لا تقدم ولا ينبغى أن تقدم إلاّ ما يعبر عن مجمل عقائدها ومبادئها، فلا يليق بها مثلاً أن تصدر راقصة للقيام بوظيفة الثقافة، أو تساند محتالاً لأمانة المال، أو توظف ماجنًا لتولى التربية والتعليم، أو متلافًا لإدارة المرافق العامة، وهذه الشروط وإن

كانت لازمة فى اختيارات أى حركة سياسية أو حزبية، فإنها أوجب وألزم للدعوات، لا يمكن أن يجرى الترخص فيها ناهيك بالمخالفة الصارخة.

- قال بعض العارفين :
- السريرة إذا كانت أقبح من العلانية، فذلك الجور .
- فإذا استوت السريرة والعلانية، فذلك العدل .
- وإذا فضلت السريرة على العلانية، فذلك الفضل .
- من أجمل الصبر، الصبر على قبول الحق ممن جاءك به من الناس. ودعاك إليه بالنصيحة.
- أحمق من يبحث عن السلامة فى سباحته وحيدًا !!
- ليس للقلب إلاّ وجهة واحدة، متى توجه إليها حجب عن غيرها.

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(٢٦٠)

• الإسلام رباط فى الله وولاء لله عز وجل، وليس رباط عنق يربطه المرء متى شاء ويتحرر منه حين يشاء، والإسلام ليس انتماء إلى حزب تنضوى تحته اليوم لتخلعه عنك غدًا، أو ناديًا تنضم إليه لتتركه إلى غيره، وليس برنامجًا سياسيًا أو اجتماعيًا يلغيه الإنسان أو يرفضه متى أراد بلا معقبات .. فإمكان الإلغاء والرفض والخلع والانسلاخ والانضواء والترك مفروض أو مفترض أو متصور فى الانتماء إلى الأحزاب أو الأندية أو البرامج، ولكن الإسلام أخوة فى الله أبدية، وخضوع وولاء لله، وبيعة له سبحانه وتعالى .. بيعة أبدية فى الدنيا والآخرة ..

• ناشد العارف بالله نفسه، قال لها : ناشدتك الله، يا نفسى، هل أقدمت قط، فى مخاطباتك، هذا الإقدام على أمر مجهول ؟ ثم لو أقدمت عليه، هل كنت تفين به هذا الوفاء ولا تجنحين إلى تأويل فيه، بحصولك فى مقام أنت فيه بحكم التخيير، فيرجح الوفاء بدعواك ؟ قالت : لم يكن منى كل ذلك . فقال لها : هذا عثمان بن عفان رضى الله عنه : كان يطعم الناس طعام الإمارة، ويدخل بيته فيأكل الخبز والزيت !

• موجود الصبر، مؤداه أنه إذا وقع بالنفس ما تكره تجرّعت ذلك، وأنفت الجزع، وتركت البث والشكوى، وكتمت ما نزل بها .

• وقد روى فى الحديث : « من بث فقد شكا »

• قالوا فى مدارج السالكين : « للفقر نور ما دمت تستره، فإذا أظهرته ذهب نوره ! »

• كفى بالعاقل إثمًا، أن يعرف فى نفسه عيبًا لا يصلحه !

❀ ❀ ❀

• الإسلام نوع حياة لها وجهها الفردى والعائلى والجماعى .. الاستمرار فيها عنصر أساسى .. فحرية البقاء فى الإسلام أو تركه كأنه فندق أو خان تدخله متى شئت وتخرج منه حينما تشاء لتعود كيف تشاء .. هذه الحرية فى الدخول والخروج، والمناورة والمداورة، سخافة لا توجد إلا إذا كف المسلم وتوقف عن اتخاذ الإسلام دينًا ملزمًا لأهله، لذلك فإن الارتداد عنه إذا وقع ـ والعياذ بالله ـ ليس ممارسة لحرية، وإنما سقوط وخيانة !

• ناشد العارف بالله نفسه، فقال لها : ناشدتك الله، يا نفسى، هل فعلت هذا مع أصحابك، آثرتهم باللطيف، واستأثرت بالخشن . قالت : لا والله، بل كنت معهم على أحد وجهين : إن لم يكن لى طعام غير ما جعلته بين أيديهم شاركتهم فيه، وإن كان عندى أرق منه أكلته وحدى، فقال لها : هذا على بن أبى طالب رضى الله عنه، باب مدينة العلم النبوى، وصاحب الأسرار وإمامها .. قد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، يبكى فى محرابه بكاء الحزين فكأنى أسمعه الآن وهو يقول : يا ربنا، ثم يقول للدنيا : « أَبِىَ تغررتِ »؟ أإلىَّ تشوفت ؟ هيهات ! هيهات ! غرى غيرى، فعمرك قصير، ومجلسك حقير، وخطرك كثير . آه ! آه ! من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق !

• أول الصدق، الصدق فى الإنابة إلى الله تعالى .

• لا يصل العبد مراتب المتقين، حتى يدع ما لا بأس به، مخافة ما به بأس.

• أول درجات الزهد، الزهد فى اتباع هوى النفس، فإذا هانت على المرء نفسه، لم يبالِ على أى حال أمسى وأصبح !

❀ ❀ ❀

• الإسلام لا يحترم الرعونة ولا الحماقة ولا المداورة ولا المخادعة، ولا يتصور أن يكون المسلم إلاّ عاقلاً .. فلا يتصور حرية الطيش والهوى والخداع.. ونحن نخلط أحيانًا بين الحرية والحماقة فى مباذلنا وملاهينا .. وأحيانًا فى مآربنا وأغراضنا .. ونتصور ـ واهمين ! ـ أن الحرية لباس يمكن أن يحتضن مخالفة الدين ويحمى نزعات ونزوات وأهواء المآرب والمصالح!

• هذه النزعات أو المآرب أو الأغراض أو الحماقات أو الأهواء يخدمها التهور لا العقل والدين، وصاحب النزعات يقدم على ما يريد عالمًا أنها مخالفة للعقل والدين . السبب فى إقدامه على المداورة والخداع أنه يظن واهمًا أنه حر فى التزام الدين واستعمال العقل أو عدم استعماله، ويتذرع لنفسه بأن هناك مواقف لا تصلح فيها الحكمة ولا تنفع فيها المبادئ، وأنه يباح لذلك أن يواجهها بخلع المبادئ ليعود إليها من بعد أو لا يعود !

• قال بعض العارفين، النعمة ابتلاء حتى يقوم العبد بالشكر فيها، ويستعين بها فى طاعة الله تعالى .

• كذلك البلوى والضراء، فهى اختبار وبلاء، حتى يصبر المرء عليها، ويقوم بحق الله تعالى فيها .

• أول التوبة الندم، وعمادها العزيمة على ترك العود إلى شىء مما لا يرضى المولى عز وجل !

• علامة الرضا والتسليم سرور القلب بمرّ القضاء .

• من أحب الله، آثر محبته على هواه .

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٦١)

• كانت هزيمة ١٩٦٧ زلزالاً هائلاً لم يخفف زلزلتها أو يعوق دون مواجهتها أن أطلق عليها أنها نكسة .. فلم يحل اللفظ المخفف دون معرفة حجم الكارثة، ومن ثم لم يحل دون دراسة الأسباب الخفية والظاهرة التى أدت إليها .. ولولا هذه الدراسة، والبرنامج الصادق الدءوب الذى بدأه عبد الناصر لمعالجة الأسباب وبداية البناء، واستكمله السادات بعد وفاة عبد الناصر .. لولا العلاج والبناء من واقع معرفة الأسباب، لما أمكن للوطن أن يجتاز الهزيمة، ولا أن يحقق انتصار رمضان / أكتوبر ١٩٧٣ .

• أشر وأدهى وأخطر من الفشل والإخفاق، أن تنكره وتمارى فيه، وأشر وأدهى وأخطر من إنكاره أن تتصوره أو تصوره للآخرين نصرًا، ليس لأن الهزائم لا تتحول إلى انتصارات مهما أسبغت عليها من مسميات، وإنما لأن الإنكار والمماراة لا تتيح دراسة ومعرفة الأسباب، بل وتحول الفشل إلى إدمان، والإخفاق إلى عادة لا مفر من تكرار الوقوع فيه .

• سئل الصوفى أبو سعيد الخراز عن تلقى المصائب بالرضا والبشر والسرور ـ كيف يكون، فقال لسائله : ـ « إن العبد لما صدق فى محبته، وقعت بينه وبين الله تعالى، المفاوضة والتسليم فزالت عن قلبه التهم، وسكن إلى حسن اختيار من أحبه، ونزل فى حسن تدبيره وذاق طعم الوجود به، فامتلأ قلبه فرحًا ونعيمًا وسرورًا، فغلب ذلك ألم المصائب

والمكروه والبلوى، فصار اسم البلوى عليه معلقًا، فيُستخرج منه إذا نزل به أمور كبيرة، فتارة يتنعم بعلمه به إذا علم أنه يراه فى البلوى، وتارة يعلم أنه ذكره فابتلاه، ولم يغفل عنه، على عظم قدره أن يولى من أمره ما فيه الصلاح، فيراه تارة يشكو إليه شكوى المحب إلى حبيبه، وتارة يئن إليه، وتارة يطمع أن يراه راضيًا عنه ».

- قيل فى وصف فقراء المهاجرين الأولين، هم الذين تُتَّقى بهم المكاره، يموت أحدهم وحاجته فى صدره، لا يتحدث بها، وهو لا يستطيع لها قضاء .

❁ ❁ ❁

- أعلى الإسلام مقام العقل حتى فى أمور العقيدة والتبعة والتكليف، وفى الحديث : « الدين هو العقل، ولا دين لمن لا عقل له »، والإسلام قد جعل التفكير فريضة إسلامية كتب عنها العقاد كتابًا ضافيًا بذات العنوان، وأقر الحق فى المعارضة والانتقاد حتى قال الشيخ محمد الغزالى فى كتابه : « من هنا نعلم » : « إننا إذا رجعنا إلى تعاليم الإسلام وجدناه يخلق أمام كل حكومة ـ معارضة جريئة يقظة، تتعقب كل خطأ بالنقد، فإذا فرط جيل من المسلمين فى هذا الواجب ـ خرج عن تعاليم الإسلام » .
- فى الغنى والفقر، قال الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود . ما أبالى بأيهما ابتليت . إن كان الغنى ففيه للعطف، وإن كان الفقر فإن فيه للصبر ..
- شكر الله تعالى وحمده، على ثلاثة وجوه : شكر القلب، وشكر اللسان، وشكر البدن .
- فأما شكر القلب، فهو أن تعلم أن النعم من الله تعالى وحده ـ لا من سواه.
- وأما شكر اللسان، فالحمد لله والثناء عليه، ونشر آلائه، وذكر إحسانه .

• وأما شكر البدن، فبعدم استعمال جارحة ـ أَصَحَّها الله وأحسن خلقها ـ في معصية الله عز وجل .

• هنا، على هذه الأرض، يصنع الإنسان مصيره .. حتى مآله فى آخرته، فهو حصاد ما قدمه فى دنياه!

• الخبز الذى تكسبه ونفسك راضية، خير من ثروة تشقى بها !

❀ ❀ ❀

• ليس فى الإقرار بنسبية معارفنا وعلومنا وفنوننا، أى امتهان أو انتقاص من قيمتها ونجاحها العجيب الذى يزداد مع الأيام تفوقًا وعلى نفسه إذا ما قورن ببداياته المتواضعة ومسيرته المتعرجة التى مازجها الكثير من الخرافة والسطحية والجمود والجهل والادعاء !

• الذين يختارون المآرب والأغراض لا يعلمون إلى أين يؤديان بهم ولا أين يقفان .. فليس للمآرب والأغراض « حساب » يمكن معرفته مقدما أو ضبطه، ومتى سيطرا فلن يتخليا عن السيطرة تلقائيًا عندما تدعو المصلحة.. ثم إن الناس تعتاد الحمق بالممارسة، ويتعذر عليهم أن يقلعوا عنه رغم فداحة ما يصيبهم من جرائه !!

• من عرف الله تعالى، لا تأخذه فى الحق لومة لائم، ويقل ويصغر فى عينه من ضيع أمر ربه، ولا يبالى مما سواه عز وجل .

• من يهمس بأنغام الحياة، إذا أغلقت أبوابك وألقيت عنك هموم وأحوال البشر ؟!

• دائمًا ما تأتى نغمة الناى حزينة وحدها .. تنتحب من بعيد !

❀ ❀ ❀

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(٢٦٢)

• الناس حين تخلع المبادئ أو ترفع الأغراض وتولى هذا أو ذاك مكانة لا يستحقها، تغير الأسماء المألوفة لهذه النزعات وتضفى عليها أسماء أخرى - مضللة ! - ذات بريق مداراة لسوئها ! .. ويساعدهم ذلك الخداع للنفس أو للغير على الاستمرار فى تلك المداورة التى اعتنقوها، وعلى نسيان كيف دخلوها، وربما شعروا بالزهو والذكاء والحيلة لوجودهم فيها .. وربما اجتذب ذلك إليهم غيرهم من الشواذ الذين يسعون أصلاً وراء فرص للتعبير عن آفاتهم وهم آمنون من الخوف والعار !

• قيل فى وصف بعض الصالحين المنقطعين للعبادة: جعلوا الرّكب لجباههم وسادًا، والتراب لجنوبهم مهادًا، خالط القرآن لحومهم ودماءهم، وضعوه على أفئدتهم فانفرجت، وضموه إلى صدورهم فانشرحت، وجعلوه لظلمتهم سراجًا، ولسبيلهم منهاجًا .. لا يخافون إذا خاف الناس.

• من يراقب ربه ويخشاه، يحذر أن يرى سبحانه وتعالى شيئًا بقلبه مما لا يحبه عز وجل ولا يرضاه !

• يا سيدى المتشائم، هل تساءلت : من ذا الذى ينسج أغانى الحياة إذا جلست على شاطئها تتأمل الموت والعالم الآخر ؟!

• قال بعض العارفين : إذا استتم فى العبد الزهد والتوكل والمحبة واليقين والحياء .. صح له الرضا .

❁ ❁ ❁

• لا يختلف صغار الآدميين عن صغار الثدييات بعامة، فى أن كل ما تأتيه تقليد ومحاكاة مستمدة من المحيط .. وأن كل ما تدخله على المحاكاة من تعديل أو تطوير الصورة بما يتفق مع ميولـها النفسية وقدراتها العقلية والبدنية، يأتيها بدوره من خلال التقليد .. شأنها فى ذلك شـأن صغار الثدييات .. تعيش حياتها الأولى بتقليد الكبار تقليدًا لا إراديًا فى الأعـم الأغلب .. خاصة فى مجال الأنشطة الحيوية كالأكل والحركة والهرب .. ومع نمو الإحساس بالذات المصاحب لنمو القدرات، يبدأ الآدمى فى تقليد الأباعد وفى الزهو بمخالفة الأقربين .. ويبدو هذا واضحًا وأكثر جلاءً فى طور المراهقة حيث يبدأ الاتصال بمحيط أكبر وأوسع من البيت والوالدين والإخوة، ومع التقدم فى السن ينفرج أمامه الباب لينفتح تدريجيًا على مصراعيه للتقليد الإرادى المبنى على الاختيار الشخصى أو على الاختيار الجماعى .. هذا ويصحب عملية التقليد تعديلات جزئية تختلف من شخص لآخر .. تمليها ميول الشخص وخصوصية قدراته العقلية والبدنية .

ومع تجارب الشباب وما يليه من مراحل العمر ـ تعتبر التجارب الشخصية مجالاً أساسيًا من مجالات التقليد الإرادى وغير الإرادى. ولا يوجد آدمى ـ ولم يوجد قط ـ استطاع أن يتتبع كل أو معظم خيوط التقليد الكثيفة المتراكبة المعقدة التى منها يتألف تفكيره وخياله وعاداته وأخلاقه وأذواقه .. فما هى إذن فردية الآدمى ومبنى شخصيته ؟

• إن لله صفوة من خلقه .. علامتهم أنهم يعطون المجهود فى الطاعة ـ ويحبون السقوط فى المنزلة..

• من أراد الآخرة، ترك زينة الدنيا وغرورها .

❁ ❁ ❁

• كل تقليد يحمل طابعًا شخصيًا للمقلِّد لا يشترك فيه غيره .. بهذا المزيج الذى يجمع بين « التقليد » والطابع الشخصى يتشكل أو يكون لكل فرد وجود خاص وروح خاصة لها ـ كما يقولون ـ لونها وطعمها .. تنعكس على سلوكه وأخلاقه وعاداته على نحو ينفرد به طول حياته، وتبقى ذكراه فى ذاكرة من يعرفونه .. أو يعرفون من يعرفونه متميزة عن غيره ممن عرفوهم .. ويظل هذا التميز معروفًا لزمن قد يطول قرونًا حسب حاله وحالهم .

• قال بعض الحكماء : من أُعطى من محبة الله شيئًا، ولم يقابلها بمثلها من الخشية، فهو مخدوع !

• أوصى النبى ﷺ صاحبه عبد الله بن مسعود، فقال له :

« يا ابن أم عبد .. لا يكثر همك، ما يُقَدّر يكن، وما تُرْزق تأكله » .

• لا يطير الطائر مهما طار وحلق وأوغل فى الفضاء، ليصل إلى السماء ـ وإنما ليعود إلى الأرض!

• البهجة ضعيفة كقطرة الندى، بينما تضحك ـ تموت !

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٦٣)

• طبيعى أن تكون الأفكار العامة والمصدقات العامة والأساليب العامة للتفكير واحدة فى المحيط أو فى العصر، ولكن ليس طبيعيًا أن تكون صورها واحدة لدى كل فرد، أو أن يكون تعلق كل فرد بكل منها تعلقًا بذات القدر أو الوزن أو الشكل .. لأن لكل فرد طابعه الشخصى الخاص به المتفق مع ميوله النفسية وقدراته العقلية والبدنية ومع استعداداته المولود بها، وهذا الطابع الشخصى المنفرد هو الذى يحدد خصوصية الأفكار والمصدقات والانطباعات والأساليب التى تختلف فيها فردية الشخص عن سواه .

• يهون وقع الملمات، حين ندرك أن اليوم سيكون فى القابل ماضيًا ! فإن اليوم سيصير البارحة باكرًا !

• ما أطيب وعد الله لعباده : « فاذكرونى أذكركم » ..

• من أقوال الصوفى أبى مَدْين الغوث : « توكل على الله حتى يكون الغالب على ذكرك، فإن الخلق لن يغنوا عنك من الله شيئًا »

• قال بعض العارفين : اقطع مادة الشيطان بالعزيمة على مخالفة هواك، وامنع نفسك من الإفراط والتشوف ومن التعلق بكواذب الآمال .

❀ ❀ ❀

• مكونات الآدمى غير المادية أو غير الجسدية تشبه من هذه الناحية مكوناته الجسدية .. فهذه تماثل مكونات أجسام أفراد النوع الإنسانى، لكنها لا توقع لبسًا بين الأفراد، ولا تحول دون فردية وشخصية وتميز كل

منهم .. لأنه برغم وحدة العناصر المكونة وتماثلها، يحمل كل فرد طابعًا شخصيًا ينعكس على مرآه ومسمعه وسحنته وحركاته وسكناته برغم وحدة العناصر المكونة وتماثلها فى الجسد فى جميع أفراد النوع الإنسانى .

- أحيانًا ما تكون ثورة المحب لفقد محبوبه، منبعها الكبرياء والعزة، لا الحب والغيرة !!
- لا يصل أحد على الطريق، إلاّ بدوام الذكر .
- من فطم نفسه عن الدنيا، كان رضاعه فى الآخرة .
- قال بعض العارفين : تحبب إلى الله بترك ما أباح لك أخذه .

❁ ❁ ❁

- الإبداع البشرى هو الإتيان فيما تعلم الإنسان مباشرته والتفكير فيه ـ بشىء لم يسبقه إليه سابق أو بشىء على درجة عالية من التفوق لا يبلغها الناس حتى الماهرون منهم جدًا . ويستحيل محاكاتها على من يحاول . وهذا الإبداع يقتضى وجود ما يجوز اكتسابه بالتعلم أى بالتقليد والمحاكاة الإرادية وغير الإرادية .. فهو خلق من خلال مراحل التعلم والمحاكاة وليس خلقًا من لا شىء أو من العدم .. ولا نسميه خلقًا إلاّ من باب التجاوز أو التشبيه أو الكناية، لأن الخلق من العدم لا يصدر عن المخلوقات، وإنما يصدر من الخالق وحده تبارك وتعالى .
- كل تلاقٍ مآلـــه إلى افتراق !
- قالوا فى مدارج السالكين : « الخالى من الأنس والشوق فاقد المحبة » .
- من أقوال الحلاج: الصديق من يكون مع الله تعالى فى حكم ما أوجب..
- ولا يكون على سرّه أثر من الأكوان ويكون وحدانـى الذات، لا يذكر برؤية الكون غير الحق ..

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(٢٦٤)

• كل القمم البشرية من أول الدهر ـ قلدت وماتت وهى تقلد .. لأنها عاشت حياة البشر التى لم تستغن ولن تستغنى قط عن التقليد .. إذ ليس عنه غنى لوجود الجماعات صغيرها وكبيرها ولعمار أرض الله .. بل لا بديل عنه لإقامة الحضارات ولكل صور التطور وتقدم العلوم والفنون وانتشار الإنسانية وإعلاء رايتها فى العالم . كل عظيم من القمم البشرية قديمها وحديثها مقلد وكان مقلدًا وسيظل من يجود بهم الزمان مقلدين ما داموا آدميين .. لا يخرج أحد فى الماضى أو الحاضر أو المستقبل عن دائرة التقليد لأنه آدمى اعتنق ويعتنق وسيعتنق أفكارًا وآراء وتصورات ومعارف .. موجودة قبله أو وجدت مع وجوده .. فى محيطه أو فى عصره .. ورحّبت بها استعداداته الفطرية واتفقت مع قدراته العقلية والبدنية، وأسس عليها أخلاقه ومشاربه وأذواقه، وتدخلت من ثم فى اتجاهاته واهتماماته وأعماله .

• قد جهل، من ظن أنه عرف !

• فى حقيقة التوكل، قال ابن عطاء الله : « ألا يظهر فيك انزعاج إلى الأسباب مع شدة فاقتك إليها، ولا تزول عن حقيقة السكون إلى الحق . مع وقوفك عليها » .

• من صلاح النفس، العلم بمفاسدها !

❁ ❁ ❁

- سرورنا بالانتفاع بالوقت وتحسرنا على الوقت الضائع الخامل، هو يقظة معناها أننا أعطينا للوقت قيمة فى حياتنا، وجعلناه جزءًا من رصيد القيم التى بها نصدر أحكامنا على الحياة .. تلك الأحكام التى تجعلها فى عيوننا جديرة أو لائقة أو ناجحة أو سعيدة، أو تجعلها عكس ذلك، أو تجعلها لا هذا ولا ذاك .. تافهة خالية من المعنى والأهمية !
- الحب هو روح كل موجود !
- من صدق التوبة، ترك الأخدان ومن أعانوا على الشر أو أغروا به !
- سأل النبى ﷺ صاحبه حارثة : كيف أصبحت ؟

قال : مؤمنًا حقًا يا رسول الله .

قال ﷺ : وما حقيقة إيمانك ؟

قال حارثة : «عزفت نفسى عن الدنيا، فاطمأن لذلك نهارى، وأسهرت ليلى، وكأنى أنظر إلى عرش ربى بارزًا، وكأنى أنظر إلى أهل الجنة يتناعمون، وإلى أهل النار يتعاوون» .

فقال ﷺ : «مؤمن نَوَّر الله قلبه، عرفت فالزم» .

❁ ❁ ❁

- لو تأملنا ما نسميه بالوقت الضائع أو الخامل ـ فى حياة كل آدمى عاش أو يعيش على هذا الكوكب، لوجدنا أن معظم حياته وقت ضائع خامل، وأن أعمارنا إذا استبعدنا الوقت الضائع منها، فإنها لن تتجاوز الأيام أو الأسابيع.. ولأننا لكى نعيش ساعات غير خاملة معقولة جديرة أو لائقة أو ناجحة أو سعيدة نحتاج إلى سنين عديدة من عمر مديد .
- الطبيعة والحب، هما المصدران الخالدان للشعر .

- من أقوال الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود :

للملك لَمّة، وللشيطان لِمّة ..

فلِمّة المَلك إيعاد بالخير ..

ولِمّة الشيطان إيعاد بالشر ..

- من صدق التوبة، خروج المأثم من القلب، والحذر من خفايا التطلع إلى شىء من المعاصى التى تاب التائب منها .
- يألف السالكون - السهر والظمأ، ويأنسون إلى التبلغ والاجتزاء باليسير، يتركون الحرام تعبدًا، والحلال تقربًا .

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٦٥)

• ربما ساعد على تفشى أو اعتياد الحساب الفلكى المحض لتقدير الأعمار، اعتياد قياسه من قديم بحركات وأوضاع الشمس بالنسبة للأرض، ثم بالمزولة، ثم بالساعة التى نقع جميعًا فى أسر حسابها للوقت. يعرف الآدمى أنه يستطيع إيقاف أى شىء إلاّ حساب الوقت الذى ارتبط فى ذهنه من قديم بالفلك وحركة نجومه وكواكبه، فالتصق فى ذهنه قياس العمر بهذا المقياس الفلكى المحض : اليوم والأسبوع والشهر والعام .. ولم يعد مشغولاً فى حسابه بماذا يجرى أو ماذا فعل أو ماذا أنجز فى هذه المواقيت التى تجرى فى مقاديرها لتشكل فى النهاية عمره المادى دون التفات إلى عمره الفعلى تبعًا للوقت الذى صاحبه العمل والإنجاز ! .. يتضاءل مع شيوع الحساب الفلكى للعمر، يتضاءل إحساس الآدمى بقيمة الوقت وعدم إدراك أنه على رأس قائمة القيم، وأنه حين يرخص يضمر العمل ويتراجع الإنتاج .. ويزداد من ثم المبدد أو الهالك منه !

• لا تهتك سترًا نهى الله تعالى عن هتكه !

• يخاف الظلام، من لا يعرف ماذا يخفى وراءه !

❁ ❁ ❁

• منذ الأزل تعود الآدميون على وجود الوقت الضائع فى حياتهم بتلك النسبة الرهيبة .. سبب ذلك أنهم حسبوا حساب أعمارهم فقط ـ على أساس مرور الأيام والليالى الفلكية عليهم .. ذلك المرور الخامل الصامت

المحايد الذى لا يتوقف أبـدًا .. الخـالى مـن أى معنـى أو أهميـة فى ذاتـه . فمعظم عمر الآدمى خامل فارغ خال من الأهمية، وهذه ظاهرة عامة . أمـا لماذا يتمسك الآدمى بالحياة ويحرص على إطالـة عمـره مـا أمكنـه رغـم أن أغلبه عمر فارغ وخالٍ من الأهميـة، فـلأن الـشعور بالحيـاة وباسـتمرارها وضرورة استمرارها ظاهرة ضرورية حيويـة فى المقـام الأول يـشترك فيهـا سائر الأحياء، وليست ظاهرة فكرية اجتماعيـة بـشرية تتوقـف عـلى القـيم والمثل وحسابها والتفرقة بين ما يصفه البشر بالوقت الـضائع ومـا يـصفونه بالوقت المفيد أو المسعد .

- واهمٌ من يتطلع إلى مجد خالد بعد الموت . فهو بالموت قد ودع الحياة !
- لا تجهد نفسك فى طلب المزيد، ما دمت قد حصلت على حاجتك !

❁ ❁ ❁

- من اللافت أن الآدمى فى مراحل تكوينه، أو فى أوقات عبثه، لا يلتفت إلى الوقت ولا يعنيه .. مع أنه يلمس جريانه مـن تحولات الشمس نهارًا، وفى إشراقتها صباحًا وغروبها قبل إطباق الليل، ويدرك ذلك بإجمال من حركات وأوضاع وأحجام القمر والنجوم والكواكب والأفلاك .. ولكنه لا يحسب قط أن المنصرم منه وقت زال وانقضى من عمره ولا محل لاستعادته أو استرداده، ومـع ذلك يظـل مطمئنًا إلى « وفرة » الزمن الباقى عن الاهتمام بقيمة اللحظة أو اللحظات الحاضرة، معتقدًا أن الباقى من العمر يغنيه عن تسرب الوقت الحاضر !
- من أقوال الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود : « إن الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، إن ذكر الله خنس (أى انقبض وانزوى)، وإذا غفل وسوس !»
- لماذا فى الشرق، ارتبط الحب بالشجن ؟!

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٦٦)

• يزداد الاطمئنان إلى « وفرة » الزمن الباقى من عمر الإنسان، فى سنوات الصبا والشباب، ويتضاءل شيئًا فشيئًا مع تقدم العمر بما يلازمه من إحساس بتناقص الرصيد الباقى ليصير عزيزًا غليًا حين يغيض وتقترب لحظة الرحيل !، إلاَّ أن ذلك لا يلفت الآدمى إلاَّ إلى الإحساس الفلكى بحساب الأيام والشهور والأعوام، ولا يسترعى تفطن الغالبية الغالبة إلى حساب العمر النسبى تبعًا للوقت المفيد النافع وخصمًا للوقت المبدد أو الضائع !

• لو أدرك الآدمى أن الوقت الضائع أو الفاقد أو الهالك مخصوم من عمره الفعلى، لأعطى للوقت قيمته الواجبة، وعنى بأن يشغله بما يفيد ويجدى وينفع .. ولعرف أن عمره الحقيقى أو الفعلى يتضاعف بمساحة الوقت المفيد فيه، حتى ليقال فى رثاء العظيم إنه استغرق بحياته حيوات رجال، أى أن عمره يوازى أعمار عديدين، لأن قيمة الوقت المفيد المستقطر منه تزيد على الأعمار الفلكية للكثرة الكثيرة من الرجال !

• الحق مهما لاقى، ومهما حورب، لا يمكن القضاء عليه أو إبعاده !

• من نشأ وعاش فى أحضان الأوهام، لا يتعزى إلاَّ بالأوهام !

❋ ❋ ❋

• حين يمر أحدنا بوقت مفيد أو مسعد ـ يمر بيقظة غير عادية .. فيها تكون حواسه حادة جدًا وتنبهه شديدًا .. ويبدو له خمول الآخرين

ورضاهم بخمولهم ـ شيئًا عجيبًا مستغربًا ينقص مكانتهم عنده واحترامه لما اعتادوه وتعارفوا عليه .. خاصة نظرتهم الفلكية إلى الوقت، وإلى العاجل والآجل من الأمور، وما يمكن الصبر عليه وما لا يمكن، وإلى ما يعتبر خطيرًا أو غير خطير، قريبًا أو غير قريب من النتائج والآثار .

- فى ذلك الوقت المفيد أو المسعد ـ يغمر الآدمى الحماس والأمل، ويمتلئ ثقة فى إمكان إخضاع الظروف لمشيئته وإقناع الآخرين بما يريد .. وتفيض الحيوية ويسرع نبض الحياة، فيدنو البعيد وتصغر الصعاب والعقبات، ويفقد الكون رتابته وخموله الأزليين الأبديين، وتكثر الوعود والتوقعات المتعلقة بالتغيير والخلاص والإسعاد والسعادة ـ ويُرجى أن يتحقق فى يوم ما لم يتحقق فى سنة، وفى سنة ما لم يتحقق فى جيل، وفى جيل ما لم يتحقق فى الدهر الأطول . وذلك لأن الوقت المفيد أو المسعد ـ يبسط رقعة الحاضر ويجعل الآن ممتدًا بحيويته وآنيته واندفاعه ومباشرته وفوريته، وضيقًا بالتأجيل والتعطيل والإرجاء والانتظار .

- قال أحد العارفين :

« فى حالة الشهود، يتحد الوجود فى شهود الشاهد بكل موجود، فيرى كل شىء »

❁ ❁ ❁

- نصيب الآدمى العادى من الوقت المفيد أو المسعد، لحظات متفرقة موزعة على سنوات .. فجل وقته خامل ضائع .. فيه تقع أفراحه وأحزانه ومساعيه فى أيامه ولياليه ـ متسمة دائمًا بسمة ذلك الخمول الروحى عليها، ودائمًا ما تكون سمة ذاك الضياع ممتزجة بشعور غامض مستمر بالعبث وانعدام الحقيقة !

- لا تفضح إنسانًا بهتك سره، وإذا شاورك أحد وعرض عليك أمرًا لتحكم فيه، فقدم إليه الحسن، ولا تصدق أنه سيقبل القبيح إذا أبديته له !
- الإنسان قادر على الكمال الروحى بطبعه، ففى فطرته وقلبه وعقله ـ جوهر الحق اللا محدود .
- من استمرأ وعاش فى بئر الكذب والغش والغدر والخيانة، من المستحيل أن يخرج منه !

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(٢٦٧)

• تراجع الوقت فى جدول القيم، هو الذى يؤدى إلى عدم الالتفات إلى أن العمر الحقيقى أو الفعلى هو «حاصل جمع» الأوقات المفيدة أو النافعة أو المسعدة .. وهذا التراجع له آثار متعدية تمس معنى الجد والجدية، وتسلس بالوعى وباللا وعى إلى تفشى ظواهر التواكل وانبهام المعايير والاعتصام بلطف المقادير، وإلى اختلال بوصلة التقييم التى تكفل تمييز السمين من الغث، وتعنى بالجوهر لا بالمظهر، وبالعمل وناتجه لا بالشخص ودعاواه .. حين تستوى بوصلة التقييم ـ لا يتساوى الخامل بالنشط، ولا القاعد بالعامل، ولا البليد المتراخى بالمجتهد، ولا اللاعب اللاهى بالجاد المجد !.. تراجع قيمة الوقت يؤدى إلى تآكل وضياع الجدية والاجتهاد، ويبيت الانسلات والهروب من التعب والجد ـ مرضًا مزمنًا لا دواء له !!.. ظنى أن أعقد مشكلاتنا على المستوى الفردى والمجتمعى يرجع إلى فقدان بوصلة وقياس قيمة الوقت .. إلى هذا الضياع يعزى معظم ما نعانيه فى العمل والإدارة والإنتاج !

• من لم يحكم بينه وبين الله تعالى بالتقوى والمراقبة لم يصل إلى الكشف والمشاهدة .

ومن أعلى مراتب المراقبة : الحياء ؛ فإن الحياء من الإيمان، والإيمان من نور الجمال .. فمن كان رقيبه نور الجمال كان محفوظًا من سطوات الجلال إلى أن يبلغه إلى أعلى مراتب الوصول والوصال .

• فى القرآن المجيد، يقول الحكيم اللطيف الخبير : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عليكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ » (المائدة ١٠٥)

• إذا علم العبد أن فساد القصد من فساد العلم، وأن صحة العلم ترد فساد القصد، أدرك أنه أحوج ما يكون إلى علم ما يضره ليجتنبه، وعلم ما ينفعه يحرص عليه ويفعله .. فيحب النافع، ويبغض الضار .. فتكون محبته وكراهته موافقتين لمحبة الله تعالى وما يكرهه عز وجل ولا يرتضيه، وهذا من لوازم العبودية والمحبة .

❁ ❁ ❁

• والوقت المفيد أو المسعد لا يتسع ويتوافر ويملأ حياة الإنسان إلا مع الحب الحقيقى .. لأن الحب الحقيقى بالنسبة للجنس كله ـ هو كل وقته وكله حقيقة وكله مفيد ومسعد .. وهذا شىء لا يتهيأ إلاَّ نادرًا لعموم أو غالبية البشر . نجده فى الأنبياء والقديسين والصفوة الخالصة المخلصة من أهل العلم والفن .. أولئك بشر غير مهيئين للعالم العادى خامل الروح خامل الحواس خامل الإدراك والشعور الذى نحيا فيه ونتوارثه ولا نستغنى عنه، وإنما هم صفوة لا يمكن أن تحاكيها القرود وأشباه القرود ..هم نماذج نادرة متميزة فذة ..لا للمحاكاة والتقليد، ولكن للتنبيه والتحريك والإيقاظ والتحذير .. توقظ وتنبه وتحذر من الاسترسال إلى غير حد فى الاعتياد على الرضا بالوقت الضائع خامل الروح والاكتفاء به !!.. وتبصر وتفطن المحيط بقيمة الوقت وجدواه فى حياة الفرد والمجموع وصناعة الحياة !

• من أقلع عن الصلاح والإصلاح، ورضى بالمداهنة والنفاق، وصار للمداهنين إمامًا، لا يقر بخطأ، ولا ينشد صوابًا، ولا يتوب عن ذنب ـ حاله كمن أقام مأتمًا ومناحة على التقصير فى العمر اليسير، والاشتغال

بالترهات، والفرح بالخزعبلات، بل بأضل الأضاليل .. فأنى له أن يلتزم الطريق، ناهيك عن أن يكون فى مدارج السالكين .

- قال بعض العارفين : قاوم الشيطان بالعزيمة على مخالفة هواك، وامنع نفسك من الإفراط والتشوف ومن التعلق بكواذب الآمال .

- أخبر الله تعالى أنه عز وجل على صراط مستقيم فى موضعين من كتابه المبين :

فقال : « إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم » (هود ٥٦) .

وقال : « وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم » (النحل ٧٦) .

- سبحانه وتعالى فهو لا يشاء إلاَّ العدلَ، القاهر بعظيم سلطانه، وهو عز وجل على صراط مستقيم، يقول الحق ولا يقول إلاَّ الحق، ويفعل الصواب ولا يفعل إلاَّ الصواب .. فكلماته صدق وعدل كله صواب وخير، وهو سبحانه يقول الحق وهو يهدى السبيل .

❁ ❁ ❁

- يبدو أن التكرار والتراكم شىء أساسى فى تكوين وتركيب كل كائن حيّ .. وفى تكوين وتركيب كل جهاز أو عضو أو جزء فيه .. ماديًا كان أو غير مادى .. وأنه أيضًا خطوة لازمة تتكرر فى كل نمو وكل تدهور وفى كل تغير ملحوظ وكل تطور .. بل ويبدو أن حياة أى كائن غير ممكنة بغير تكرار المكونات وتراكمها ـ على نحو أو آخر .. يصدق هذا حتى على ذوات الخلية الواحدة من الكائنات .

• ويبدو أن التكرار والتراكم لا يحدثان عشوائيًا قط .. حتى فى الأحوال التى نسميها شذوذًا أو خللاً أو مرضًا، بل يكونان دائمًا على نسق موجه قابل للتكاثر أو التوالد الحىّ .

• وهو جارٍ بلا انقطاع فى مادياتنا الجسدية، وفى نفسياتنا وسلوكنا وعاداتنا وعواطفنا وميولنا وانفعالاتنا وأفكارنا، وفى وعينا ولا وعينا، وفى اليقظة والنوم والصحة والسقم . ولكن الشعور والوعى على لون واحد .. إذا طال أمده يحدث لدينا الملل والضجر الذى يزداد ويتراكم هو الآخر إذا لم يقطعه شىء ينسينا الإحساس بوجوده .. وقد عرف الناس ذلك وقاسوه من أقدم العصور .. وقاوموه باصطناع المواسم والأعياد والأعراس والأسفار والزيارات والألعاب .. قاوموا بها تشابه الأيام ورتابة الأعمال وملازمة الرفقة وإطباق الجد وقلة البهجة والمرح والطرافة .. وهذا بدوره من مواضع فهم الآدمى لتعقيدات حياته وأحوالها الذى يرتسم بلا توقف فى دوام تحرك عاداتنا وسلوكنا إلى الأمام وإلى الخلف ثم إلى الأمام وهكذا .

• العبد إذا حاسب نفسه على ما سلف وأصلح حاله ولازم طريق الحق، حَسُن ما بينه وبين الله عز وجل، وراقبه سبحانه فى عموم أحواله، فكان جل جلاله عليه رقيبًا، ومن قلبه قريبًا .

• سبحان الله، لا حول ولا قوة إلاّ بالله .. القائل فى كتابه المجيد :

« لا إِلَهَ إِلا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيهِ تُرْجَعُونَ »

(القصص ٨٨)

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٦٨)

• ينبغى ألاّ يحجب عن وعينا ـ لزوم وضرورة التكرار والتراكم لحياتنا فى جميع اتجاهاتها ومناحيها وأطوارها .. لكى تبقى وتستمر العمر الذى نعيشه .. محتفظين فيه بشعورنا بوحدة الذات واستدامة الشخصية، مع تسليمنا بضرورة التعرض من وقت لآخر لنوبات الإملال والسأم، واحتياجنا وتطلعنا لفرص البهجة والشعور بخفة الحياة وتفتحها !

• نعم إننا مع تتابع الحياة نفقد الإحساس بكثير من ألوان وأنواع التكرار والتراكم التى تغمر حياتنا وتتخللها كأفراد وكأعضاء فى جماعات.. ذلك لأننا نكون قد ألفناها ألفة تامة عامة تشملنا نحن ومن يحيون معنا فى نفس المحيط والعصر .. بحيث نرى ونعتبر الخروج على هذه الألفة شذوذًا لا ينبغى أن نحاكيه، مثلما يجب أن نقاوم أو نستنكر أى ذنب أو معصية تستحق العقوبة .. وبهذا تحافظ الأسر والجماعات والقبائل والشعوب والأمم على بقائها وتستمر فى نموها وتوالى تطورها .. وتضمن الحضارات البشرية ظهورها وانتشارها عبر تاريخها الذى هو خلاصة لتعاقب مراحل التكرار والتراكم فى أخبارها ومعارفها وتراثها ومعالمها .

• لو كانت الدنيا تُنال على حسب المراتب عند الله من الرفعة، لكانت كلها لرسول الله ﷺ، فلا أرفع منزلةً عند الله منه، ولا أرفع منه درجة فى الجنة .. وهذه حالته فى دنياه .. لم يرض أن يأتى لقرة عينه فاطمة ـ رضى الله عنها ـ بمن يخدمها وهو يرى أثر القربة فى عنقها من حمل الماء، وأثر الرحى من الطحين فى يدها !!!

• خطرات العاقل، تأخذه إلى التفكر فى آيات الله، وفهم مراده عز وجل منها، والتفكر فى آياته المشهودة والاعتبار بها، والتفكر فى آلائه وإحسانه ونعمه وسعة رحمته ومغفرته وحلمه، فيستخرج من القلب معرفة الله ومحبته وخوفه ورجاءه وحمده وشكره على نعمائه .

• العباد مأمورون بحمد ربهم، وهو حمد واجب لما فى أفعاله ـ جل ثناؤه ـ من الغايات والعواقب الحميدة وعلى حصولها .. وحمده عز وجل إقرار بكمال حكمته وتمام نعمته علينا .

❁ ❁ ❁

• إن وجود الإنسان من بدايته، عبارة عن سلاسل متصلة من التكرار والتراكم فى كل فرد وجماعة عبر الزمان والمكان، وهى سلاسل تتشابه فى بعض الوجوه أو معظمها، لكنها دائمًا تحمل بعض عناصر الاختلاف والمغايرة .. وهذه تتزايد عددًا وقوةً إلى أن تنتهى فى نظر البشر وجوه المشابهة فلا يكاد يعرف الآدمى نفسه فى شخص سلفه القديم كاختلاف شأن العصر الحالى عن الإنسان الأول الذى عثر على عظامه فى بعض الحفريات .. وهو ما لا يتفق مع العقيدة الدينية المتعلقة بحياة آدم وحواء واتصالها الوثيق بحياتنا كما فى العقائد التى تجعل بداية وجود الإنسان الأول أقرب إلينا خمسمائة مرة أو أكثر مما هى عليه وفق تقديرات العلم الوضعى الحديث . وهو تقريب شديد جدًا يحجب عنا ملاحظة سعة الفارق الزمنى الهائل الذى يفصل بيننا وبين الإنسان الأول .. وحيلولة هذا الفارق الهائل دون المشابهة المجدية الممكنة بين الإنسان الأول وبيننا .

• من أقوال الصحابى الجليل أبى الدرداء : « إنك لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهًا، وإنك لا تفقه كل الفقه حتى تمقت الناس فى جنب الله، ثم ترجع إلى نفسك فتكون لها أشد مقتًا منك للناس » .. قيل إن من

تأمل فى هذا الكلام وجد فيه بحورًا طامية، وأسرارًا عالية .. عمادها القرآن المجيد الذى لا تنقضى عجائبه .

• قيل فى « الخطرات » إن منها مبدأ الخير والشر .. فمنها تتولد الإرادات والهمم والعزائم . فمن راعى خطراته ملك زمام نفسه وقهر هواه، ومن غلبته خطراته فهواه ونفسه له أغلب .. ومن استهان بالخطرات قادته قهرًا إلى الهلكات !!!

• من دلائل نعم الخالق البارئ على عباده، ما ذكر القرآن المجيد بعضه، فقال عز وجل : « وَاللهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلاَلاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عليكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ » (النحل ٨١) .

❋ ❋ ❋

• إن أسباب وعناصر الاختلاف بين أجناس وأجيال البشر وإن كانت واضحة وتلعب دورها فى الافتراق بينهم والانفصال وأحيانًا فى الابتعاد بل والعداوة، فإنها ليست أكثر ولا أقوى من عناصر وأسباب المشابهة والتماثل التى تؤيدها العلاقات الفعلية إذا تحققت .. وهو ما أدى إلى قدر لا يمكن تجاهله من امتزاج الأجناس والأجيال فى كل زمان ومكان !

• ومن زمن بعيد لم يعد يوجد جنس بشرى نقى كامل النقاء ولا جيل لم يختلط اختلاط توالد مع جيل آخر بصورة مطلقة . وتأثير هذا الاختلاف وهذا التشابه يتحلل ويترك آثاره فى سلاسل التكرار والتراكم المشار إليها فى حياة الإنسان بعامة .. وهى آثار تبدو لنا عشوائية غير منضبطة .. لكنها فيما يبدو ـ تؤدى أغراضًا معينة ليس فى مقدور البشر الآن معرفتها مقدمًا وبالتالى التدخل لمنعها أو لتعجيلها إذا أرادوا .. ولكن ليس من المستحيل على الملتفتين أن يلاحظوها ويسجلوا ما يمكن تسجيله منها ومن آثارها ..

وإذا تيسر لهم تعقبها فقد يقفون على دليل إحصائى ينبه مقدمًا إلى بعضها وبعض آثارها فيزيدون إضافة نافعة إلى ما لدى الآدميين من المعرفة .

- الذكر على أقسام : ذكر بالأقوال، وذكر بالأعمال، وذكر بالأحوال .

فمن ذكر الله تعالى بالأقوال ـ كلفظ الاستغفار عن العصيان ـ ذكره سبحانه وتعالى بالرحمة والغفران .

ومن ذكر الله تعالى بأعمال الأركان وخلوص الإيمان، ذكره سبحانه وتعالى بحياة الجنان، وبالنجاح والفلاح .

ومن ذكر الله تعالى بالأحوال، وهى الشوق والمحبة ـ ذكره سبحانه وتعالى بالقبول والقربة، وفى الحديث القدسى : « من تقرب إلى الله شبرًا تقرب إليه ذراعًا » .

- لا يصل العبد مراتب المتقين، حتى يدع ما لا بأس به، مخافة ما به من بأس.

- المحبة إما نافعة، وإما ضارة .

فالمحبة النافعة على ثلاثة أنواع : محبة الله، ومحبة فى الله، ومحبة ما يعين على طاعة الله تعالى، واجتناب معصيته .

أما المحبة الضارة، فهى على ثلاثة أنواع : المحبة مع الله، ومحبة ما يبغضه الله تعالى، ومحبة ما تقطع محبته عن محبة الله تعالى أو تنقضها .

فمحبة الله عز وجل أصل المحاب المحمودة، وأصل الإيمان والتوحيد، والنوعان الآخران تبع لها .

والمحبة مع الله أصل الشرك والمحاب المذمومة، والنوعان الآخران تبع لها.

❀ ❀ ❀

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٦٩)

• يقابل التكرار والتراكم الضرورى الملازم لحياة كل آدمى يشعر ويعرف أين يقف منه ويتفاداه تجنبًا للإملال والثقل على الغير .. يقابله عدم المبالاة بالتكرار إعجابًا بالذات واستحسانًا لكل ما يصدر عنها ومبالغة صاحبها فى حساب جاذبيته للغير والتفات الغير إليه .. وكثيرًا ما يصاحب ذلك التعاجب فساد الذوق مع قلة الفهم الذى يؤدى إلى نفور الناس واستثقالهم ظل المتعاجب بنفسه والضيق برؤيته أو عشرته !

أما التكرار المرضى الذى لا يستطيع صاحبه أن يتخلص أو يهرب منه ـ فخلل عقلى أو خلل نفسى يتولى أمره أهل الاختصاص من الأطباء !

• من آيات تنزيه القضاء الإلهى عن الشر، إخباره سبحانه وتعالى عن تركه بعض مقدوره لما يستلزمه من المفسدة، وأن المصلحة فى تركه . ولو كان الأمر راجعًا إلى محض المشيئة لم يكن ذلك علة الحكم. كقوله تعالى : «إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ * وَلَوْ عَلِمَ اللّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ » (الأنفال ٢٢، ٢٣) .

• فقد علَّل سبحانه وتعالى عدم إسماعهم السماع الذى ينتفعون به وهو سماع الفهم ـ بأنهم لا خير فيهم يحسن معه أن يُسمعهم، وبأن فيهم مانعًا آخر يمنع من الانتفاع بالمسموع لو سمعوه، وهو الكبر والإعراض . ومن هذا تنزيهه عز وجل عن كثير مما يقدر عليه فلا يفعله لمنافاته لحكمته وحمده،

كقوله تعالى : « مَّا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَآ أَنتُمْ عليهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ »(آل عمران ١٧٩) .

• من مناجاة أبى يزيد البسطامى سلطان العارفين : « رب، بك أدل عليك، ومنك أصل إليك .. ما أطيب واقعات الإلهام منك على خطرات القلوب، وما أحلى المشى إليك بالإيماء إليك فى طرقات الغيوب .. اللهم ما أحسن ما يمكن للخلق كشفه، ولا بالألسنة وصفه من حيث لا تدركه العقول !»

❁ ❁ ❁

• الرتابة داخلة بعمق شديد فى وجود طبيعة الآدمى، لكنها ليست رتابة خط واحد ولا وجهة واحدة ولا صورة بعينها .. وهى تكاد تماثل فى عمقها رتابة الكائنات الحية الأخرى قليلة التطور .

• ونحن نشعر بهذه الرتابة ونفكر فيها أحيانًا، ونتأملها فى بعض الأوقات، ونحاول الحد منها كما نحاول تغييرها وتطويرها، وننجح أو نفشل فى بعض ذلك بعض الوقت ـ مجتهدين طورًا ومتلكئين متراخين أطوارًا، لكننا لم نكف ولن نكف عن هذه المحاولات . ثم إن هذه الرتابة معظمها ردود أفعال من جانبنا وجانب تركيبنا ـ على رتابة تأثيرات البيئة النباتية والحيوانية التى نعيش فيها وكذا على رتابة الكون الهائل غير الحىّ الذى نحن جزء ضئيل منه وفيه رضينا أو أبينا .. هذا الكون الذى لا يحصى عقلنا مضامينه ونظرياته ولا يعرف أبعاده ولا يدرى بيقين متى بدأ ولا أين ينتهى .. فنحن غرقى فى الرتابة أصلاً وفرعًا بداية ونهاية لا نفارقها إلا للحظات وهنيهات وومضات ولمع !!

• طريق العبد فى مدارج السالكين : العقل، والشرع .

• أما العقل فقد وضع الله سبحانه فى العقول والفِطَر - استحسان الصدق والعدل، والإحسان، والبر، والعفة، والشجاعة، ومكارم الأخلاق، وأداء الأمانات، وصلة الأرحام، ونصيحة الخلق، والوفاء بالعهد، وحفظ الجوار، ونصر المظلوم، والإعانة على النوائب، وقِرى الضيف، وحمل الكَلّ . ووضع فى العقول أضداد ذلك كله .

• أما الشرع، فقبلته الكتاب المجيد، والسنة الشريفة، واتباع ما جاء بهما، والابتعاد عن الشبهات والأهواء . يقول عز وجل : « قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى » (طه ١٢٣، ١٢٤)

• مفارقة النفس أول الطريق إلى الله فى مدارج السالكين .

❁ ❁ ❁

• يكفى لتعرف عمق وسعة الرتابة والتكرار والتراكم فى حياتك، أن تراقب ولو فى يوم واحد فقط - حركاتك وسكناتك ورضاك وسخطك وأنسك ومللك وعملك وراحتك وقيامك وقعودك وشبعك وجوعك وكلامك وصمتك ويقظتك ونومك !! .. ستجد حتمًا ودائمًا - أننا لا نعيش إلا عادات وأنماطًا وأساليب مما نسميه بالسلوك.. لا نفارق منها شيئًا إلا إلى مثله فى الرتابة والتكرار والتراكم، وإن كان مغايرًا له فى الشكل أو الهدف أو الاتجاه أو الموضوع ! .. ذلك لأن وجود الكائن الحىّ حيًا - لا يتأتى إلا أن يكون « مجموع وظائف لأجهزة » تحتاج وحدة عمل وانتظام ومن ثم إلى ضمان الرتابة فيه بالتكرار والتراكم .. وهى رتابة تكفل كسر جهد الأداء بآلية الاعتياد .. وما يصفه البشر بأنه موهبة أو تفرد أو ألمعية أو

عبقرية ـ لا يخرج الموصوف به عن كونه حيًّا مركبًا هو الآخر .. مركبًا من أجهزة ذات وظائف يحتاج عملها للرتابة والتكرار والتراكم وآلية الاعتياد ولكن بدرجة أعلى من حسن الأداء لدى أصحاب الموهبة أو التفـرد أو الألمعية أو العبقرية .

- قيل فى القلب السليم إنه البرىء من الأمراض والعلل والآفات، فإذا صقلت مرآة القلب من صدأ تعلقات الكونين وتنورت بنور الذكر، وتواترت عليها شواهد التجليات ـ انعكس تلألؤها على الأخلاق فيحسنها.. فمن تجلى له الرب تبارك وتعالى بجميع صفاته، صار متخلقًا بأخلاق الحق . ومن تجلى له بأخلاقه يفنى كينونته ويبقيه بكينونته تعالى، أو كما قيل فى الحديث : « كان له سمعًا وبصرًا ولسانًا ومؤيدًا».
- لا يُعرف الحق بالرجال، وإنما يعرف الرجال بالحق .. لذلك قيل : « اعرف الحق تعرف أهله ! »
- حَسْب المؤمن عقلاً أن يعلم أنه بالله تعالى غنى عما سواه .

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(٢٧٠)

• مع شدة شعور الوعى بغزارة وعمق الرتابة والتكرار المحيطين به، نجد الآدمى دائمًا شديد الشوق للجدة والجديد .. يسأل عنه كل من يلقاه. وينقل كل ما يظن أنه جديد إلى كل من يقابله إن كان يعتقد أنه لن يحمله مسئولية أو وزرًا . وهذا يخفف آلية الرتابة التى تمسك بخناق الوعى ولا تفارقه .. وإلى هذه الظاهرة يعزى حرص الآدميين على تتبع الأخبار بغير تمييز ونقلها وإذاعتها بغير تمييز أيضًا !! .. وهو ما بنيت عليه حرية الفكر وحرية الإنباء وحرية الصحافة وحرية الإذاعة الصوتية والمرئية، وقيام رأى عام فى الجماعة، واطَّراد أهمية العصر الحالى، ومحاولات التحكم فيه من قبل الدول والطوائف والأحزاب !

• ويبدو أن انتشار المعلومات والمعارف والعلوم والآداب والفنون فى الجماعات البشرية على النحو الذى نشهده الآن ـ مدين لهذه الظاهرة أيضًا.. خاصة بعد استعمال المطبعة والمطبوعات والصحف ووكالات الأنباء ووسائل الإعلام الحديثة التى سادت فى هذا العصر، لأن وسائل نشر الأخبار بين الجمهور تداخلها عمليات اقتصادية ومالية تزداد أهميتها إذا ازداد إنتاجها وارتفعت قيمة ما تنشره، وليزداد بنشره دخلها بزيادة قبضتها على من تخدمهم قوةً ونفوذًا !

• أوضع الناس نفسًا من رضى من الحقائق بالأمانى الكاذبة !

• قيل فى منارات السائرين ومقامات الطائرين، إن الذكر عدة السائرين إلى الله، وعمدة طالبيه. لا يصل أحد إلى الله، إلاّ بذكر الله، فمنه بدأ وإليه يعود.

• إن لم يكفك ربك، لم يكفك غيره فى السموات والأرض.

❁ ❁ ❁

• لا يقصد الكاتب ولا يمكن أن يحلم بأن تحل كلماته محل الأفعال أو الأعمال .. وغير مطلوب ولا هو مقبول أن يعيش الناس علقى فى أحضان الكلمات .. واهم من يتصور أن كلماته يمكن أن تغنى عن الأعمال أو تحل محل الأفعال .. تلال الكلمات لا تبنى مصنعًا ولا تنجز عملاً، ولا تحقق بذاتها شيئًا .. قصاراها أن توجه أو تحرك، فإذا انفصمت ما عادت توجه أو تحرك أو تحدث أثرًا .. تستطيع أن تمسك بشىء من هذه المعانى وأتت تراجع الكلمات الجميلة الموحية لشاعرنا المبدع صلاح عبد الصبور فى رائعته المسرحية الشعرية : مأساة الحلاج .. ترى المجموعة التى أتت لمشهد الحلاج .. تجيب من يسألها :

« نحن القتلة .. أحببناه فقتلناه .. قتلناه بالكلمات .. أحببنا كلماته أكثر مما أحببناه، فتركناه يموت لكى تبقى الكلمات » .. «كنا نلقاه بظهر السوق عطاشى فيروينا من ماء الكلمات .. جوعى فيطاعمنا من إثمار الحكمة» .. وإذا سئلوا : ألم يحزنهم فقده ؟ أجابوا : « أبكانا أنا فارقناه .. وفرحنا حين ذكرنا أنا علقناه فى كلماته .. ورفعناه فوق الشجرة » !

• من أقوال الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه : « طوبى للزاهدين فى الدنيا، الراغبين فى الآخرة، أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطًا، وترابها فراشًا، وماءها طيبًا، والقرآن والدعاء دثارًا وشعارًا » .

• قيل فى العارف بالله إنه شجاع، وكيف لا وهو بمعزل عن تقية الموت؟!
وجواد، وكيف لا وهو بمعزل عن محبة الباطل ؟!
وصفاح، وكيف لا ونفسه أكبر من أن تجرحها زلة بشر ؟!
ونسَّاء للأحقاد، وكيف لا وذكره مشغول بالحق ؟!

• قال بعض العارفين : « عرفت الله بنور صنعه، وعرفت صنعه بنوره ».

❁ ❁ ❁

• من الفصام المرضى أن تحل الكلمات محل الأفعال .. أن يتصور القائل أو يتوهم المتلقى أن الإنجاز يأتى بالكلمات .. حينذاك تتوارى الأفعال وتموت الكلمات أو تمرض بأمراض مستعصية .. فتشيع المصانعة بالكلمات، وتحقق الأحلام بالكلمات، وتنجز الآمال والأمانى بالكلمات، وتحل القضايا والمعضلات بالكلمات، وتقام العمائر والمصانع بالكلمات .. ويتقدم أرباب الكلام، ويتراجع ويخلى لهم صُنَّاع الأعمال .. هذه أم البلايا والنكبات .. أن يتراجع الفعل والعمل وتتقدم الكلمات !!

• إحساس جميل ولا شك أن تمتلك الكلمة، وأن تنعم باستقطار واعتصار معانيها، وأن تخلص لها فتعطيها من عقلك وفكرك وقلبك ونبضك .. ولكنك لن تستطيع قط أن تمسك بطرفها الآخر .. ليس بوسعك أن تحدد مرفأها ولا خطوط ومسار رحلتها .. هل هى حفرت وبقيت وعاشت وأثرت، أم مضت كحرث البحر ثم طارت لتذروها الرياح ؟!

• من أقوال الصوفى أبى مدين الغوث : « لا يكون المريد مريدًا حتى يجد فى القرآن كل ما يريد » .. فإذا كان هذا مقام المريد، فكيف بمقام العارف؟!

• من مناجاة رابعة العدوية :« إلهى، إذا كنت أعبدك رهبة من النار فاحرقنى بنار جهنم، وإذا كنت أعبدك رغبة فى الجنة فاحرمنيها، وأما إذا كنت أعبدك من أجل محبتك، فلا تحرمنى يا إلهى من جمالك الأزلى » .. وكانت تقول : « ما عبدته خوفًا من ناره وحبًّا فى جنته، فأكون كأجير السوء، بل عبدته حبًّا فيه سبحانه، وشوقًا إليه » .

• قيل فى الزهد إنه تسامٍ من السالك أن يكون لغير الله شأن يشغل نفسه به .. فهو تنزه عما يشغل سره عن الحق، وتكبر على كل شىء غير الحق ..

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(٢٧١)

• إن حضارتنا الحالية كانت مغامرة وما زالت، ونجاحها الذى يهزنا أحيانًا هو نجاح وقتى ومخيف ومعرض من أكثر من وجه إلى الانتكاس والارتكاس الذى قد يؤدى إلى انقراض جنسنا من الوجود .. لأن حضارتنا حتى الآن تدير ظهرها للخالق عزّ وجلّ، ولن تستعيد فرص نجاتها ونجاة جنسنا إلاّ بالالتفات إليه سبحانه وتعالى ـ لا على النحو السابق الذى أدى إلى إعراض كثرة العقلاء، بل على النحو الذى يسلم به العاقل ولا ينكره الفاهم ولا يتجاهله الباحث ولا يرفضه العالم ولا يضيق به الغارق فى تأملاته وتجريداته البعيدة غاية البعد عن المصالح والأغراض والأهواء والشهوات !

• إن العبادة المثلى ترنو إلى تنبيه الضمير الإنسانى إلى وجوده الروحى وإلى أن له مطالب غير مطالب الجسد وشهوات الحيوان، وإن العبادة المثلى لترنو أيضًا إلى تنبيه الضمير الإنسانى إلى الوجود الخالد الباقى الذى يتوارى أمامه وجوده الفردى الزائل المحدود ..

• الأرواح أُكُرٌ مقسومة لكن على سبيل مناسبة قواها فى مقر عالمها العلوى، ومجاورتها فى هيئة تركيبها .

• قال أحد حكماء الزمن الأول :

• « لا تعادينّ أحدًا وإنْ ظننت أنه لا يضرك، ولا تزهدنّ فى صداقة أحد وإنْ ظننت أنه لا ينفعك .. فإنك لا تدرى متى تخاف عدوك، وترجو صديقك .. »

• وقال : « لا ترفض اعتذار من يعتذر إليك وإنْ علمت أنه كاذب .. فذلك يحجزه عن الاستمرار فى الإساءة » !

• المنهيات شرور تفضى إلى الشرور، والمأمورات خيرات تفضى إلى الخيرات.

❁ ❁ ❁

• إن صورة الخالق عزّ وجلّ لدى البشر .. أعنى عامتهم وأشباه عامتهم وما لحقها من توابع وطقوس، قد حلت فى نظرهم خلال الدهور والعصور محل وجود الخالق .. بل حلت محل وجود الكون الحقيقى، وأمكن لمجموع الآدميين الالتفات إليها عوضًا عن الالتفات إلى الخالق جلّ شأنه، وتيسر لهم بذلك وبالاعتياد على تكراره فى العبادات والأوصاف والعادات والطقوس - تيسر لهم تجنيب تصورات البشرية جانبًا مما درجوا على إيثاره من المصالح والاتجاهات والأهداف القريبة أو الحبيبة إليهم وإلى دنياهم .. وبذلك اختفى أو كاد تفكيرهم فى وجود الخالق عزّ وجلّ، واختلفت تصرفاتهم وآمالهم وأحلامهم برغم ترديدهم للأسماء والصفات والدعوات والابتهالات والأوراد والزيارات والمواظبة على ارتياد المعابد والأضرحة وأداء الصلوات والفروض بشكلها المألوف المتشابه شبه الآلى الذى لا يكاد يبقى منه أثر بعد الأداء .. اللّهم إلا الارتياح للانتهاء من الأداء والقليل أو الكثير من الزهو بأدائه لدى بعض خفاف العقول !!

• قوام الصبر علم وعمل .. فالعلم يفضى إلى العمل، والعمل يرسخ العلم، وتحرسهما معًا العزيمة الصادقة والهمة العالية والمروءة الإنسانية .

• سئل ديوجانس : « لم لا يشتد فرحك بأخيك فى حياته، كشدة حزنك عليه بعد وفاته ؟!

أجاب:«لأنى كنت أعلم فى حياته أنه يموت، والآن أعلم أنه لا يعيش» !

• أصول السعادة ثلاثة يناقضها أضدادها :

التوحيد بالله، وضده الإشراك به !

والسنة، وضدها البدعـــــــــة !

والطاعة، وضدها المعصيـــــة !

ولهذه الثلاثة ضدٌ واحد، هو خلو القلب من الرغبة فى الله وفيما عنده، ومن الرهبة منه ومما عنده !

❁ ❁ ❁

• الاعتقاد فى جوهره ـ ناموس كونى سائد فى جميع الأحياء .. وقد أَخْفى عمومه فى الآدميين سعة ناموس الاختيار والإرادة لديهم . فمهما اتسع عقل الآدمى واتسع مجال اختياره وحسنه ورشده ـ فإنه لا يخلو من الاعتقادات التى تواجه ببعض ما يعانيه من أسباب القلق والخوف التى تصاحب حياته .. خاصة عند ارتباطها وصلتها الحميمة أو التى تبدو أنها جديرة بالتفاته واهتمامه الشديدين .. لأن أغراض الآدمى مصالح مستقبلة بطبعها، وتغيرها الملحوظ وغير الملحوظ ـ مقود وموجه فى الأغلب الأعم بما يحب ويكره، ويخدمه عقله وما لديه من الإمكانات والتجارب والخبرات ومع القليل أو الكثير من الجرأة والحيلة .. وهذه كلها احتمالات نجاح وإخفاق تحتاج باستمرار إلى متانة التصميم والاعتقاد والإصرار عليها .. ومن هنا كان لا غنى للإنسان عن أن يعتقد أو يتمسك برؤية مقبلة .. قريبة أو بعيدة يرجو أو يتمنى أن تتحقق فى حياته أو فى آخرته ..

وكلٌّ منهما مستقبل .. أى اتجاه وتطلع وغيب بالنسبة للحاضر .. وهذا الخليط من الحاضر والمستقبل ـ مزيج دائم ملازم لحياة كلٍّ منا بلا استثناء .. وهو ظاهرة كونيّة فينا لا مهرب منها ولا مفر !

- من خاف أن يغافله الأجل، فيأخذه على غرة ـ حال خوفه بينه وبين ارتكاب المعاصي والآثام.
- قال حكيم من الزمن الأول : إن عدوًا أخافه ويرضينى، أقرب إلى نفسى من صديق آمَنُهُ ويخدعنى !
- الزهاد غرباء الدنيا، والعرفاء غرباء الآخرة !

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٧٢)

• واقع أديان البشر الكبرى الآن ـ واقع تاريخى تقليدى اجتماعى ليس بينه وبين أصولها الأولية الأولى مطابقة، بل ولا مماثلة أو مشابهة .. المعابد خلاف المعابد والابتهالات خلاف الابتهالات، والمعتقدات فى واقعها مختلفة وإن كانت بعض صيغها متفقة .. واحتاج البشر إلى أن يضيفوا إليها ما اختاروه من جمال الأصوات والتطريب والمبالغات، وفيها ظنوا أنهم يزيدونه بجمال العمارة وبذخها وزخرفها حتى صارت المعابد قصورًا باذخة زينت جدرانها وأسقفها وفرشت أرضها وامتدت أبهاؤها وازدهرت بالرسوم واللوحات والأخشاب والرخام والمرمر والقرميد والمنمنمات والمبرقشات والفسيفساء، وجمل خارجها بما يفوق ما تتجمل به بيوت الكبراء والأثرياء .. وصارت الصلوات لا تؤدى إلاّ فى الأضواء الباهرة والثريات الفاخرة ومع إطلاق البخور والعطور إلى غير ذلك من مظاهر التزين والتفخيم والزخرف والتأثير الجمالى الذى يسحب فى النهاية من انصراف العابد انصرافًا خالصًا مركزًا إلى ربه وعبادته .. فالتحضر والتقدم قد ساقا الأديان الكبرى فى طريقها المطَّرد دون تفطن أجيال المتدينين الذين ولدوا وعاشوا فى ظلها إلى أن الإسراف فى البذخ والزخارف قد شوش على صفاء الرؤية وصدق التوجه ..

• سر التمازج والتباين فى المخلوقات إنما هو فى الاتصال والانفصال، والشكل دائمًا يستدعى شكله، والمثلُ إلى مِثلِهِ ساكن .

• مبنى الدين على قاعدتين : الذكـــر والشكـــر ..
ذكر الله يستلزم معرفته والإيمان به وبصفات كماله ونعوت جلاله ونعمه وآلائه وإحسانه إلى خلقه .
والشكر هو القيام بطاعته والتقرب إليه بالطاعات فى الظاهر والباطن..

❁ ❁ ❁

• وقتية وجودنا كأفراد صحبتها دائمًا وقتية أفسح مدًى .. هى وقتية جماعاتنا التى تمتد بحكم تواصل الأجيال بأكثر مما تمتد حياة الفرد مهما طالت .. ويصاحب هذه الوقتية وتلك للفرد أو للجماعة ـ يصاحبها وجود جنسنا الذى لم يبدأ من بداية الكون، وإنما بدأ بعد بدايته بآماد مجهولة وغير معروفة لنا .. ومع ذلك لا يكف خيالنا ثم عقلنا عن النظر والاستقصاء والبحث فى بداية الكون ونهايته .. وما زلنا نجمع فى علمنا الوضعى المؤشرات ونحسب حساب الطاقات والحفائر والأثريات وأعمار الأتربة والصخور . لمعرفة بداية الكون ولا بأس ـ رغم استحالة ذلك ـ من محاولة معرفة نهايتها .. فنحن ـ بدون أن نشعر ـ مسوقون بقوة أملنا فى المزيد والمزيد من الفهم والمعرفة ..

• بغير الوجود الروحى، والوجود الخالد الباقى، لا يمكن لإنسان أن يترقى من البهيمية إلى الإنسانية، ولا أن يرتفع بعقيدته وسلوكه إلى المراتب الجديرة ببنى الإنسان .. لا يرتفع إلى هذا المرتقى السامق من يحيا حياته ساعة بساعة، ولا من يرجو من الحياة معنى خالدًا باقيًا غير متعة اللحظة!! .. الوجود الروحى هو الذى يرتقى بالآدمى وينمى فيه ما يجعله حريصًا على معنى يحفـزه أو يردعه .. يرغبـه أو يرهبـــه ؟!

• علة سكون النفس إلى محبوبها أنها منه . وفى القرآن المجيد :
« هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إليهَا »
..(الأعراف١٨٩)

• من شُكْر الله تعالى، ألاَّ تستعين بنعمه على معاصيه .

❁ ❁ ❁

• إن التدين كظاهرة اجتماعية جزء من حياة المجتمع الإنسانى .. لم يكف قط عن التغير والتطور فى الماضى ـ مع تطور وتغير مقومات حياة الناس وظروف عيشهم ومقدار ما زاد أو نقص فى اهتماماتهم .. ولن يكف عن التغير والتطور فى المستقبل تبعًا للسرعة الهائلة المتزايدة التى نلاحظها الآن ـ فى كل جانب من جوانب الحياة ـ فى التغيير والتجديد والقفز والانطلاق .. فالطمع فى بقاء القديم على ما هو عليه أو فى إعادة القديم إلى ما كان عليه ـ طمع كاذب بيقين .. أيًا ما كان مقدار تعلقنا بذلك القديم أو كان توهمنا لإمكان إنقاذه من موجات التغيير والتطوير العنيفة المتتالية على الحياة الآدمية بعامة .

• قهر الشيطان والشهوة، له لذة وحلاوة ومسرة وفرحة .. يدركها السالكون التاركون للمعاصي المقبلون على الطاعات .

• من النّقم أن لا يعرف المرء عدوه من صديقه، وقديمًا قال الشاعر :

بلغت من السنين مدًى طويلاً
ولم تعرف عدوك من صديقك !
فسِرْت على الغرور ولستَ تدَرى
شرابٌ أم سرابٌ فى طريقك !

- قالوا فى التصوف: « ليس التصوف رسمًا ولا علمًا، ولكنه خلق .. لأنه لو كان رسمًا لحصل بالمجاهدة، ولو كان علمًا لحصل بالتعليم، ولكنه تخلق بأخلاق الله تعالى، ولن تستطيع أن تقبل على الأخلاق الإلهية بعلم أو رسم».
- لا يضرك خاطر السوء، إلا إذا استدعيته وأفسحت له !
- للمناجاة فرحة تفيض على النفس فى غيبوبة النشوات !

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٧٣)

• لا يخطئ المتأمل بإمعان فى هذا الكون العظيم، لا يخطئ إدراك أنه يوجد فيه وبلا أدنى شك ـ نظام وانتظام واتساق وتناسق يشمل كل ما فيه ومن فيه.. وقد لاحظ عقل الآدمى هذا الواقع من قديم القديم منذ أن تعرَّف الآدمى على المكان والزمان والعدد والمسافة والإشارة واللغة واستعان بذلك فى تصوير حياته لنفسه ولجماعته بدائية أو غير بدائية، وترتيب أيامها ومراحلها وإنشائه لعلاقات مطَّردة موالية أو معادية، والتمسك بمواقف لديه إزاء الطبيعة وظواهرها فى الجماد والنبات والحيوان.. وقد تداخلت هذه المواقف بعمق فى كافة عقائد الآدمى وتصوراته التى توارثتها أجياله وأضافت إليها أو حورتها.. ولاحظ الآدمى هذا الواقع حتى فى فكرته عن الموت التى لم تخلُ عنده قط من قدر من الاستمرارية فى حياته على صورة شديدة الغموض، لكنها مطَّردة كثيرًا أو قليلاً فى نظام باهت.

• قيل إن الكمال فى الوسط لا فى الطرف.. فليس الرقىّ كالهوىِّ، ولا الصعود كالهبوط، ولا ما يُزَان به مثل ما يُشَان به!

• المحبة ضروب وأنواع، أفضلها محبة المتحابين فى الله عز وجل، وأدناها محبة اللذات والشهوات!

• إذا صدأ الرأى صقلته المشورة!

• لا رجاء فيمن أوقف قلبه على رغابه وشهواته ولذاذاته، غير مبالٍ بسخط ربه وغضبه . فمثله يكون الهوى إمامه، والشهوة رائده، والجهل قائده، والغفلة مركبه !

❁ ❁ ❁

• برغم أن أى آدمى لم ير قط مبدع الكون ومنظمه ومنسقه فى أى زمن، إلاّ أننا لا نخطئ رؤية وجوده سبحانه .. نرى آياته ماثلة أمام العين فى ذات نظام الكون وتناسقه الواضح لعقولنا .

إذ بغير العقل لا يُرى هذا الكون كونًا، ويستحيل أن يشهد فيه أحد نظامًا واتساقًا ولا أن يشعر بغياب منظمه أو احتجابه .

فعقل الآدمى هو الطرف الوحيد الأساسى لديه فى علاقته بنظام الكون وتناسقه .. وما دام عقل الآدمى وثيق الصلة بهذا النظام واتساقه، مهتمًا بزيادة وتوكيد هذه الصلة من أية زاوية أو ناحية، فإنه يكون على طريق السلامة الوحيد .

• لا ينقطع أبدًا احتمال تعرض الآدمى، كائنًا من كان، وأيًا كان نصيبه من القوة أو الضعف، أو من الثراء أو الفقر، للخسارة فى النفس أو فى المال، أو لقاصمةٍ تصيبه أو تصيب ماله أو نفس أو مال من يحب ويؤثر ! هذا الاحتمال واقع يطول الناس جميعًا، ليس منه فكاك، يتساوى فيه الناس على اختلافهم مهما اشتد فى التعرض له والإصابة بعوادمه ونوازله وربما شروره وفواجعه، بيد أن الذى لا يستوى ولا يتساوى فيه الناس، هو رد فعلهم ـ اتجاهًا وقدرًا ـ فيما يصادفهم أو يصادف من فى حكم أنفسهم من خسائر أو أضرار أو نوازل أو فواجع أو كوارث !

● الآدميون إذا تشابهوا فى جوانب، يختلفون فى أخرى .. فيهم المجتهد والمتميز والقادر والجرىء والمجازف ـ وأولئك قلة، أما الأكثرية فعاديون مقلدون محددون معرضون للاستهواء والاستغلال والتضليل والضلال !

● لو كان الحب لمجرد الموافقة فى الأخلاق ـ لما أَحَبّ المرء من لا يساعده ولا يوافقه !

● سئل عدى بن حاتم : ما أثقل الأشياء عليك ؟

قال :« اختيار الصديق، ورد السائل، وسؤال اللئيم » !!

❀ ❀ ❀

● الخطيئة الكبرى التى يرتكبها الآدمى فى حق نفسه وحق نوعه وحق الوجود الحى الذى هو ضمن أنواعه وحق الكون ونظام الكون واتساقه.. هذه الخطيئة الكبرى هى عدم الإخلاص وما يجره هذا من الكبر والمداهنة والكذب والحرص على المكانة الشخصية أو السمعة التى لا يسندها إلا الظواهر والمظاهر والتى بغيتها الأولى ـ مصلحة الفرد الموجود المعين وحده.. بغض النظر عن صوالح غيره من الإخوة فى النوع أو فى الحياة أو فى الوجود والكون العظيم الذى تنعكس عظمته على عقل الإنسان المخلص وروحه ـ حين يتمسك بالإخلاص والصدق .. كل التمسك .

● لا معنى لصوم لا يقترن بالكف عن المعاصى والنواهى.. الصيام امتناع وكف وانتهاء عن هذا كله ليستطيع الصائم بهذا الصوم الشامل، أن يتخلص من نداء وشهوات ورغاب الجسد، وأن يفىء إلى عالم الروح، تصفو فيه نفسه من الأدران، ويحلق بقلبه وفؤاده ووجدانه وروحه فى أنوار اليقين قربة إلى الله تعالى .

• من أقوال البسطامى سلطان العارفين : « من سمع الكلام ليتكلم مع الناس، رزقه الله فهمًا يكلم به الناس، ومن سمعه ليعامل الله، رزقه الله فهمًا يناجى به ربه »

• يتلمس المحب الحديث عمن يحب، حالة قال فيها الشاعر أحمد رامى وشدت بها أم كلثوم :

ولما أشوف حد يحبك : يحلا لى أجيب سيرتك ويـــاه !

• قال أحد حكماء الزمن الأول :

« لا حياة لمن لا وفاء له .. »

ولا وفاء لمن لا إخاء له ..

ولا إخاء لمن يريد أن يجمع هوى أخلائه حتى يحبوا ما يحب ويكرهوا ما يكره» !!

❋ ❋ ❋

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(٢٧٤)

• اعتزال الناس وتجنبهم ـ ليس آية إيمان بالخالق عزّ وجلّ ولا تمجيدًا لقدرته فى مخلوقاته .. لأن هذا الاعتزال ينطوى على رفض للكون وصاحبه مهما يتخلله من الابتهالات والعبادات وأداءات الطقوس والشعائر .. لأن هذا الآدمى المعتزل يتعبد ـ فى واقعه ـ خالقًا آخر من صنع خياله هو .. يستعين به على استعلائه على الخلق ونفوره من الأحياء واستنفاره أن يمد يده لإعانة مخلوق، أو احتقاره أن يأخذ بيد حىّ إلى ما يمكن أن يقربه عمّا هو خير أو ما يبعده عمّا هو شر . الدين اقتراب ومزيد من الاقتراب إلى عباد الله ـ وعلى قدر الإخلاص فى هذا الاقتراب ـ يكون اقترابنا من معبودنا عزّ وجل .

• اعتزاز الحى بحياته وحاضره الشخصى، يملؤه عادة ـ دون أن يشعر ـ أهميةً وثقة وغرورًا، وينسى أنه ليس إلا « ذرة » وجدت صدفة فى لحظة مآلها الحتمى إلى زوال فى لحظة .. ينظر إلى الكون والدنيا بمنظاره وحسبانه وحكمه هو من قبل أن يكتمل وعيه بماضيه الطويل وحاضره الملىء بالمتناقضات، وما يأمله أو يرجوه من المستقبل !

• من ودّك لأمرٍ، ولّى ـ وربما جافاك ـ بعد انقضائه !

• طوبى لمن التزم حكمة ومنهاج الحديث الشريف : « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، إلى أن تقوم الساعة » .

• قال أحد الحكماء فى الزمن الأول :

« إن لك من خليطك نصيبًا، وإن لك نصيبًا من ذكْر من آخيت ..

فاختاروا الإخوان والأصحاب والمجالس .

❁ ❁ ❁

• لم نعد الآن نرى بوضوح الفوارق التى احتوى وميز بها آباؤنا وآباؤهم - برغم قلة ما كانوا يعرفون - بين ما هو نافع وما هو ضار للآدمى كآدمى - أى ما يصلح وما لا يصلح لبقاء الإنسان على هذه الأرض آمنًا هو ونسله من العوز والمطاردة والتشرد والاقتتال . إننا نعرف أكثر منهم بكثير فى كل ناحية من نواحى المعرفة، لكنها معرفة مسطحة سطحية لا تتفاوت فى النفاذ إلى أعماق الإنسان ولا فى مقدار هذا النفاذ، وهو ما يجعل اكتسابها سهلاً ونسيانها أكثر سهولة، ويجعل تناولها من جهة الأهمية والالتفات ودرجة الأهمية متقاربًا يتوه بعضه فى بعض كزروع الحقول الفسيحة المتجاورة - يشملها تشابه غامض - مصدره قرب القاع والكثرة والجوار مع الالتصاق ..

• خسارة النفس، ومن فى حكم النفس، ومهما اشتدت، يتحملها العاقل إذا كانت قضاءً وقدرًا، ولم يكن بوسعه تجنبها، أو لم يكن لديه فرصة أو قدرة على تفاديها .. بينما يعز عليه تحملها، مهما بلغ رشد عقله، إذا مست الخسارة أو هددت وجوده وبقاءه - أو جعلت بقاءه غير ممكن وغير محتمل!

• العاشق الولهان المعذب بعشقه، هو السقيم الوحيد الذى لا يريد الشفاء من علته وسقمه !!

• من أحب كانت الرحمة أحب إليه من القسوة، والعفو أحب إليه من الانتقام .. فوجود محبوبه أحب إليه من فوات مكروهه .

• الكمال يأتى من امتلاء القلب بالخواطر والإرادات، والفكر فى تحصيل ما يرضى الرب تبارك وتعالى من النيات والأعمال .

❁ ❁ ❁

• مع اتساع نظرتنا إلى العالم الخارجى اتساعًا لم يسبق له مثيل فى أى زمن سابق - ضاقت نظرتنا إلى داخلنا .. وصاحب ذلك قدر قليل أو كثير من عدم المبالاة بمصائرنا واستصغار لأهميتنا فى الكون الواسع الكبير الذى يزداد سعةً

كلما زدنا معرفةً به يومًا بعد يوم . وصار مركز الثقل فى القيم والأفضليات ـ خارج الآدمى على نحو غالب مكتسح فى كل مجتمع .. خارج نفس الآدمى بعيدًا عن أعماقه .. لتتداوله باستمرار موجات التغيير والتبديل التى تتزايد تعقيدًا وعنفًا فى المجتمعات المتقدمة بغير توقف .. والتى ينتقل تأثيرها بسرعة إلى المجتمعات الأخرى نتيجة اتساع وضخامة وكفاية وسائل الإعلام والانتقال الحديثة .. ويكاد الآدمى الآن أن يكون منقطع الصلة من النواحى الفكرية والخلقية والعملية والمعيشية ـ عن ماضيه الطويل .. هذا الماضى الذى تكوّن ببطء وجرت فيه التغييرات متباعدة مكانًا وزمانًا فلم تفقد فيه حياة الآدمى تلك الأسس المألوفة المستقرة خلال العصور والدهور.

- ليس صبر الكرام كصبر اللئام .. فالصبر إما اختيارًا وإما اضطرارًا..
  والكريم يصبر اختيارًا لعلمه بحسن عاقبة الصبر، ومحبته أن يلتزمه لما يثاب به ويحمد عليه ..
  واللئيم يصبر اضطرارًا، لأنه يحوم حول ساحة الجزع فلا يراها تجدى عليه شيئًا ..
  الكريم يصبر في طاعة الرحمن ..
  واللئيم يصبر في طاعة الشيطان !
- الفرح إذا أفرط قتل ! والضحك إذا كثر واشتد أسال دموع العيون !
- فعل المأمور يقتضى ترك المنهى عنه ..
  وفى القرآن المجيد :
  «إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء والمنكر » .

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(٢٧٥)

- من أميز ما فى الإسلام، أن جميع المبادئ والأحكام التى قررها تصب فى آليات تحقيق الأمن والأمان المجتمعى التى يحرص عليها الإسلام، لأمان الإنسان ـ كل إنسان ـ على روحه ونفسه وعرضه وماله، فهذا الأمان هو مهجة وعمود وغاية كل المبادئ والقواعد والأحكام الإسلامية .. وليس أجزى للإنسان، وأمان مجتمعه، من دين يطوى الناس جميعًا فى أسرة إنسانية واحدة ينعم فيها الكل بالأمان، ولا تفاضل فيها بين أفرادها إلاّ بالتقوى والعمل الصالح .. وصدق تبارك وتعالى إذ قال فى كتابه المبين : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عليمٌ خَبِيرٌ » (الحجرات ١٣)
- الصبر علىَ الشهوة ـ أسهل من الصبر على ما توجبه وتؤدى إليه الشهوة.. فالشهوة :

إما أن توجب ألمًا وعقوبة وحسرة .. وإما أن تقطع لذة أكمل منها ..

وإما أن تضيع وقتًا إضاعته حسرة وندامـــة ..

وإما أن تثلم عرضًا، صيانته أنفع للعبد من ثلمه ..

وإما أن تسلب نعمة، بقاؤها أطيب من قضاء الشهوة !!

- من مواقف النفَّرى :

الحق هو ما لو قلبك عنه أهـل السـموات والأرض ـ ما انقلبت.

والباطل هو ما لو دعاك إليه أهل السموات والأرض ـ ما أجبت.

- عثرة القدم تجبر أو تداوى، ولكن عثرة اللسان لا دواء لها، لذلك كانت عثرته أشر من عثرة الأقدام !

❁ ❁ ❁

• إذا كانت الحياة المنصرفة إلى الفوارغ والتوافه والجهالات خليقة بالهوان والاحتقار لأنها تحيل نعمة كونية إلى سراب وتراب ـ فإن الحياة الجادة التى تطلب ما هو جاد وتزيد منه لخيرها وخير أمثالها، تمضى فى طريق نعمتها إلى الأمام متدفقة من حال إلى حال .. أكثر بركة وأعمق فهمًا وأشد إحساسًا بالتبعة وترحيبًا بكل ما يزيد المعرفة ويكشف عن أسرار الوجود حولنا ويرفع من رأس الإنسان العاقل الفاهم فى حواره مع نفسه أو مع أمثاله أو إزاء خالقه تبارك وتعالى.

• يفوت المتعلق بالدنيا، المتمسك بها، الراغب فيها، المرجح لها، أنه فى إيثاره لها على أحد احتمالين لا ثالث لهما : إما أن يصدق بأن هناك ما هو أشرف وأفضل وأبقى منها، فيكون إيثاره لها فساد عقل وسوء اختيار وضعف عزيمة، وإما ألا يصدق ذلك، ويطرحه وراء ظهره، فيكون بذلك قد خرج من باحة الإيمان !!

• إيثار الدنيا على الآخرة إما فساد عقل، أو فساد إيمان !!!

• الإنسان هو الأصل الذى تتجمع فيه كل القوى والطاقات والإبداعات. وإضاعة وقته هى إضاعة وتبديد لطاقته وقدراته وعطائه، وإهدار غير مرئى للياقته الروحية والنفسية والبدنية، وإعدام لإحساسه بقيمته وبقيمة ما يقدمه أو يمكن أن يقدمه، وإشاعة لكل سلبيات القعود والخبو والتعطل والبلادة. وهو ما ينعكس بالحتم والضرورة على مجمل الأداء العام فى أى مرفق من المرافق .

• قيل فى المصيبة إنها للصابر عليها واحدة، ولكنها للجازع منها اثنتان !

❁ ❁ ❁

• مما لا شك فيه أن إعطاء إنسان أكثر من حقه فى السمعة والتشريف بستر سوء خلقه وسلوكه عن الملأ ـ فيه من قلة الإنصاف ما فيه .. ولكن هل هذا

المأخذ أو هذا الاعتراض أو الانتقاد ـ يساوى أن نبطل اتخاذ الجانب المضيء من ذلك الإنسان قدوة يحاكيها الناس ويقتدون بها ويكملونها ؟ ربما ملنا إلى الشك فى الإجابة، لأن البشر بطبعهم لا يقلدون بعضهم بعضًا تقليدًا كاملاً تامًا شاملاً لكل شيء إراديًا أو غير إرادي، بل فقط فى نواحٍ وجوانب وتصرفات يلتقطونها قصدًا أو عفوًا التقاطًا بغير نظر إلى ما يصحبها مما لا يلتقطونه، ولا معنى معقول لتوجيه أنظار الناس عمدًا وقصدًا إلى الجوانب والتصرفات السيئة المجهولة عن الناس، إلا أن يكون ذلك بغرض إجراء المساءلة القانونية وتوقيع العقاب .. أما أن يكون ذلك فقط بغرض تقليل احترام الناس لذلك الإنسان، فإن هذا لا ينتفع به أحد ولا تثرى به المصالح العامة .. بل يحرم الجمهور من التطلع لقدوة حسنة، وربما يثير الشك لديه فى استحقاق غيره لأن يكون قدوة!

- قد تزول أو تشفى أمراض القلب العضوية، بالدواء والعلاج .. أما الأسقام الروحية فلا شفاء لها إلاَّ بالأدوية الإيمانية .
- من الحكم العطائية : « ليس كل من ثبت تخصيصه ـ كمل تخليصه » .
- يهون على النفس ما توطنت عليه !
- الله تبارك وتعالى هو الظاهر .. وهو سبحانه فى عين كل ناظر .

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٧٦)

- حضارات البشر لا تخسر بل تكسب بكثرة المثل والنماذج الطيبة بين الناس .. صادقة كانت أو غير صادقة .. ولكن هذه الحضارات تخسر بالتأكيد وتتدهور بانحسار وندرة هذه المثل حتى ولو كانت هذه الندرة نتيجة صدق الرغبة فى إرضاء الواقع والابتعاد به عن النفاق .. لأن هذه الرغبة مجردة تمامًا من التسامح والرغبة فى الخير العام، ومجردة من الأمل والرجاء في مستقبل البشر .. غير مصحوبة بأكثر من الانصراف إلى إرضاء أهواء النفس وإشباعها برؤية مثالب من نظنه متعاظمًا مدعيًا التميز بالآداب أو العلوم أو الفنون أو الفضيلة .. والتشفى برؤيته ملوثًا مكذبًا ساقطًا بفعل من عرّاه على حقيقته وأظهر للملأ خداعه ونفاقه .. فهذه التعرية أولاً وأخيرًا عملية هدم صرف .. قلما تمهد لبناء أو تبشر بمأمول جديد مقصود ومطلوب قصدًا وطلبًا حقيقيًا وجديًا !!
- قال عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، في فضل الصحابة : « كانوا أفضل هذه الأمة : أبرها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا » .. وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « نُهينا عن التكلف » !
- من عز عليه إصلاح خواصه، لا يقدر على رد العوام إلى الصلاح !!
- من تذكر ضائقة الفخ، هان عليه شأن الفريسة !

• عن الصفة والذات، سئل أحد العارفين، فقال : « كل ما يحتمل الزيادة والنقصان فهو من صفات الفعل، وكل ما لا يقع عليه الزيادة والنقصان فهو من صفات الذات ».

• من مواقف النفَّرى : « من لم يمش فى المحجة، لم يهتد إلى الله ».

❁ ❁ ❁

• إلى اليوم لا يلتفت كل إنسان فى سلوكه العام - إلى أن الحياة العامة تختلف في أساسياتها عن حياة الأفراد، وأن كثيرًا من الأخطاء التى قد لا يتأذى بها الفرد أذًى بليغًا - يصعب على الجماعة التخلص منها ومن آثارها إذا اكتسبت بعض العمومية والانتشار .. ويصعب بالتالى إصلاح أو إبعاد آثارها عن الأفراد المصابين غير المعنيين الذين قد يصيبهم رذاذها .. إذ الجماعات مجاميع تكونت من مشارب وخصائص وعادات وقيم ومعتقدات مشتركة خلال أحقاب طويلة من المعايشة والتوالد والتقارب والتعاطف فى ظروف عامة متشابهة . وانتشار الإخلال بشىء أو أشياء من مقوماتها المعنوية أو المادية، فيه خطر إما على قدرتها على الاستمرار والتقدم وإما على وجودها نفسه ! وهذا أمر يصعب فى العقل - تركه لمشيئة كل فرد يمارسه كيفما يشاء بمقولة إنه جزء من حريته المكفولة فى كل جماعة متحضرة !!

• ولكن من الذى يمكنه فى الجماعات الكبيرة أن يفرض قيودًا على الأفراد فى إعلان إرادتهم وآرائهم فى حياة المتصدرين لشأنٍ أو أكثر من شئون الحياة العامة ؟ إن إقامة الحماية بقرارات فردية لا يحقق أمان المجتمع فى حفظ الحيوات الخاصة لأفراده .. فعندئذ سوف يُعزى القيد الذى تفرضه إلى الرأى الشخصى لمصدرها أو رأى الهيئة التى يُمارس سلطته فى

ظلها .. ثم إنه رأى لا يمثل إلاَّ وجهة نظر جزئية فى الجماعة وفى حقبة معينة فقط!

• هذا الخطر فى انتهاك حرمة الحيوات الخاصة لا تتأتى مواجهته مواجهة معقولة صحيحة، إلا من قبل الجماعة الكبيرة ذاتها .. بأن يكون لديها دائمًا رأى عام مستنير يقظ ملتفت فى جميع الأوقات والظروف يتهيبه المغامرون..

• يسلم قلب من خلصت عبوديته لله تعالى: إرادةً ومحبةً، وتوكلاً وإنابةً، وإخباتًا وخشيةً ورجاءً .. وخلص عمله لله تعالى .

• انظر لمن تعمل من أجله .. فإنك تأخذ أجرك ممن أصبحت له أجيرًا!

❁ ❁ ❁

• اهتمام العالم المتقدم الآن بشئون البيئة والمحافظة على بيئة النبات والحيوان واستهجان المغالاة التى اعتدنا عليها وألفناها فى الفتك بالنبات والحيوان من أجل ما تصورنا أنه من لوازم القوة والعمار والتحضر .. هذا الاهتمام أمارة إفاقة والتفات إلى ضرورة التعرف والصبر على مسايرة خصائص نواميس الكون مما يجمعنا مع غيرنا ويستحيل علينا الانفراد به والسيطرة عليه .. وهنا يجب أن نفطن إلى دور التفات كل فرد منا لذاته وانحيازه الطاغى لها انحيازًا غطى عواطفنا ومعظم تفكيرنا . وقد تعرض هذا الدور الهائل فى حياة كل منا تعرضًا متزايدًا للتآكل منذ القرن السادس عشر فى أوروبا الغربية، وزاد التصدى له والهجوم عليه فى القرنين الأخيرين نتيجة الاهتمام المتزايد بالمعارف الوضعية التى تجتهد فى إسناد معطياتها لا إلى التصور الذهنى والقضايا الفكرية العامة التى يرحب بها النظر - بل فقط إلى رصد الواقع المشاهد المعاين بالحواس والملحوظ من التجارب المبنية على هذا الواقع والضبط المستقى من التجارب المعبر عنها

تعبيرًا ثابت الأداء والأدوات بالرياضيات القابلة دائمًا للمراجعة والتصحيح .

- الجهل مرض شفاؤه العلم والهدى، والغى مرض شفاؤه الرشد . من هذين الداءين نزه القرآن المجيد النبى المصطفى عليه السلام، فقال عز من قائل : « وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ۞ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى » .
- من أقوال العقاد : ليست مزية الشاعر أن يقول لك عن الشىء ماذا يشبه، وإنما مزيته أن يقول ما هو ويكشف عن لبابه وصلة الحياة به .
- من اتجه إلى الله، اقتبس منه نور الهداية.

۞ ۞ ۞

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(٢٧٧)

• الإسلام يرى أن عزة المؤمن وقوته فى إيمانه وعمله ..فى همته وعزيمته.. فى حركته ومكابدته وسعيه فيما ينفع الحياة وينفعه وينفع الناس به .. كان دعاء رسول القرآن : « اللهم إنى أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل » .. محمد إقبال يجرى فى مذهبه وراء سنن الإسلام وفلسفته الرشيدة التى أراد بها للآدمى أن يفارق الميوعة والطراوة والرخاوة، وأن يكون رسالة الإسلام إلى الدنيا فى إيجابيته وقوته ودأبه وصموده للصعاب والأحداث والمحن، وفى معافاة التواكل والاسترخاء، ومغالبة المثبطات، والتلاحم والالتئام والانتظام فى سلك الحياة الخالدة .. يقول محمد إقبال :ـ

• إذا صانت الذات المتينة نفسها أعيت على الأيام كل ممات !

• المثل الأعلى للإنسان فى نظر إقبال ـ فى إثبات وتوكيد الذات بمحاولة الاقتراب من المثل الأعلى .. يشده الحديث النبوى : « تخلقوا بأخلاق الله »، يريد للآدمى أن يبذل غاية مستطاعه ليتشبه بصفاته سبحانه .

• من كان أجيرًا لله، رفعه سبحانه فوق العلم والمعرفة، وأراه أين يبلغ العمل وأين ترسخ المعرفة .. فى فناء علمه سبحانه لا يراع الواقف فيتلجلج، ولا يفزع فيتحير.

• لا يجمع الله على عبده خوفين، فمن خافه فى الدنيا أمن عذابه فى الآخرة. فطوبى لمن خاف ربه فى دنياه، وفى ذلك قال بعض العارفين : «رب، هذا فرحى بك وأنا أخافك، فكيف فرحى بك إذا أمنتك ! »

- لا إخلاص لقلب من اتبع هواه !
- من ذاق لذة الطاعات، قويت همته في طلبها، والصبر على تحصيلها .

❁ ❁ ❁

- السلطة المطلقة تتيح لمالك زمامها مساحة فسيحة جدًا فى تقديره الشخصى وردود أفعاله وخياراته الشخصية .. وهذه المساحة الفسيحة جدًا تؤدى بالضرورة إلى نتائج شديدة التباين بالغة الاختلاف !

هذا التباين الهائل، تدل عليه حادثات التاريخ، ونازلات الحاضر .. هيروهيتو - إمبراطور اليابان إبان الحرب العالمية الثانية، ظل يتحمل فى جلد وصمود وصبر الخسائر الهائلة العسكرية والبحرية والجوية والاقتصادية والمدنية التى تكبدتها وظلت تتكبدها اليابان طوال سنى الحرب .. ولكنه لم يتحمل، ولم يستطع أن يمتص أو يتحمل، الخسائر التى نزلت بهيروشيما وناجازاكى من جراء قذف الولايات المتحدة الأمريكية لقنبلتيها الذريتين تباعًا على المدينتين فى ٦، ٩ أغسطس ١٩٤٥، ولا استطاع أن يتصور إمكان تكرارها مع عجزه وعجز اليابان عن منعها مباشرة أو حتى التهديد - تهديدًا مخيفًا رادعًا - بإمكان الرد عليها !! .. عندئذ تبخر تحمل الامبراطور، أو كف عن عناده، فأقلع عن الحرب لأنه رأى أن الاستمرار فيها يؤدى إلى الفناء الشامل أو قرب الشامل بلا جدوى!

- قال الحلاج فى دعاء موسى عليه السلام إلى ربه : « رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي» (طه ٢٥ وما بعدها) .. أن الكليم جاء إلى الله بالله، فسأل مليكه شرح صدره ليتسع لمقام المواجهة والمخاطبة، ثم نظر إلى أليق الأحوال به، فإذا هو يتيسر أمره فسأله سبحانه أن يحلل عقدة من لسانه ليكون مالكا لنطقه وبيانه . فلما تمت لموسى هذه الأحوال صلح إلى الله وكان للمجيد -

عز شأنه ـ ممن وفى للمواقيت حقها .. فغابت عنه الأحوال وذهبت عنه ولم ير ما عداها إلاّ ما كان للحق منه ومعه حتى تحقق بقوله : « قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى » (طه ٣٦) .

• من أراده الله تعالى لنصرته، علمه سبحانه من علمه ـ ما لا يحمله أو يحلم به العالمون !

❁ ❁ ❁

• فارق لا يغيب، ولا ينبغى أن يغيب، بين خسارة المال الخاص، والخسارة التى تحدق أو تصيب المال العام .. مرد الفارق إلى « ملكية» المال فى الحالين .. مكسب المال الخاص، أو الغرم فيه، مردود إلى ذات صاحبه لا سواه .. أما المال العام فلا يتحمل مسئوليته إلاّ أغيار ليسوا أصحابًا له، وإنما هم محض ممثلين لأصحابه، أو نائبون عنهم يقومون من قبلهم بحفظه وإدارته.. المسئولية عن المال العام مسئولية نظرية، لأن ما يضيع من هذا المال لا يضيع من مال الحافظ له أو المتصرف فيه .. ولا من رواتبه أو مقرراته .. وإنما يضيع على الجهة العامة المالكة له .. لهذا، فإن المال العام الضائع يموت غالبًا وينطمر ذكره بمرور الزمن، وقصاراه أن يظهر فى بنود الحسابات العامة التى يدخل فيها كعجز فى الحساب الختامى سرعان ما يدخل زوايا النسيان، يحل أو لا يحل محله مال عام بموجب الميزانية السنوية التالية التى تتضخم باستمرار منصرفًا وإيرادًا .. ويقع فى المنصرف الجديد مثل ما وقع فى المنصرف السابق القديم من الخسارة والضياع وأكثر، دون أن تتوقف هذه السلسلة من فقدان الإحساس بعبء الخسارة أو الضياع !

• يا ويل من أغلق بابه أمام كل نُصْح أمين، واتبع كل شيطان مريد، لا يرى غير الدنيا، فهى وحدها التى تسخطه وترضيه، ولا ينظر إلى الله والآخرة إلاّ من مكان بعيد !

• من أقوال العقـــاد :

الكلمة القصيرة يطبعها السامع بالتأمل والروية .

والكلمة الطويلة، يختزنها السامع للوعى والذاكرة .

• ليس الناس سواء فى اعتبارهم بدروس الحياة، ومنهم من لا ينتفـع بـما ينزل به، لذلك قيل : الحصيف من اتعظ بغيره !

❀ ❀ ❀

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(٢٧٨)

• كلنا على اختلافنا واختلاف أعمارنا يعيش على الأمل .. وآمالنا تحمل حتمًا آثار اختلاف المستويات والطبقات، وتتصيد ما نرغب ونفضل ونرجو مما نتشوفه ونتمناه مما ليس فى يدنا فى الحاضر .

• ويبدو من واقعنا الذى قد يستحيل علينا إبداله بواقع آخر مضاد، أننا سلمنا منذ آلاف الأجيال والأحقاب ـ ودون أن نشعر ـ بتلك المستويات والطبقات والاختلافات والفروق فى عمومها، وصغنا عليها وعينا وعقلنا وعواطفنا ومشاربنا وحاجاتنا المادية والمعنوية ومفاهيمنا للتقدم والتطور، وما نحققه أو ما نقصده فى الحاضر والمستقبل من معانى التحضر والرقى .

• نحن نحس حياتنا إحساسًا متصلاً دائمًا لأننا أحياء وكنا أحياء نشعر ونحس إحساس أحياء، وإذا متنا فقدنا فقدانًا شاملاً كاملاً ذلك الإحساس العجيب وجميع الإحساسات الأخرى المبنية عليه .. وهذا الإحساس الرئيسى المتصل الدائم هو الذى يعطينا تعلقنا بالدوام وبالحياة الدائمة التى لا يقطعها إلاّ الموت والفناء !

• قد يكون الوجود جهدًا ضائعًا لمن ينظر إليه فى قصة سيسفوس الذى جعل يرفع الصخرة إلى القمة فتنحدر به إلى السفح، فيعاود الصعود ثم الانحدار بها .. بيد أن الوجود ليس جهدًا ضائعًا لمن يفهم معنى الوجود وحكمة الحياة .

• ليس بين القلب السليم وبين قبول الحق ومحبته وإيثاره، سوى إدراكه، فإن فهمه وأدركه، قبله وانقاد له .

• من عرف مقام ربه، قام فيه .

❁ ❁ ❁

• من يراقب شرود الغريزة، يلفاه مصحوبًا دائمًا باعتياد وإلحاح وإدمان .. هذا الشرود موجود منه فى كل سن وطبقة وجماعة، وكثرته غير العادية أمارة انحلال « وتدهور » وقرب هلاك الشاردين وغير الشاردين فى الجماعة، لأنه إمعان فى إعدام الروابط الضرورية لاستمرار وجودها ذاته، فضلاً عن نموها وتطورها، كأن ذلك ناموس كونى من نواميس فناء الجماعات البشرية غير اللائقة للبقاء .. فى العلاقات الجنسية المثلية بين الذكور أو بين الإناث، يتوقف حتمًا عمل ناموس التكاثر، فتكون نهايتها الفناء للطرفين أى انقطاعهما بلا عقب، فإن صار الشذوذ غالبًا فى الجماعة زالت تلك الجماعة بأسرها من الوجود بهذا السبب وحده، فضلاً عما يلازمه ـ قبل الفناء المحتوم ! ـ من نواقص أخرى تابعة لهذا الشذوذ، كالجرأة الوقحة على الغير، وقلة ضبط النفس، والاستهانة بذلك الضبط، وفقدان الحياء بالمرة ـ بإعلام أو إظهار ذلك الشرود إلى حد الزهو به على الملأ الآخرين ناهيك عما انحدر إليه الحال من إباحة وتقنين زواج المثليين !!

• قال ابن عطاء الله السكندرى من كلام أبى العباس المرسى، إن أحوال العبد أربع لا خامس لها : النعمة، والبلية، والطاعة، والمعصية .

فإن كنت فى النعمة، فمقتضى الحق منك الشكر .

وإن كنت بالبلية، فمقتضى الحق منك الصبر .

وإن كنت بالطاعة، فمقتضى الحق منك شهود مننه عليك .

وإن كنت بالمعصية، فمقتضى الحق منك وجوب الاستغفار .

- من يدعى الاتجاه إلى الله فى إظهار الحق، وامتلأ بذلك قلبه، يحتاج أن يصاحبه دائمًا صدق التوجه الخالص إلى الله .
- لا يخبت القلب السليم إلاّ للحق، به يطمئن، وإليه ينقاد .

❀ ❀ ❀

- من المسلمات أن حياة كافة الأحياء على الأرض ـ مبناها مواصلة الكفاح .. سواء فى صورها المرئية أو غير المرئية .. وهو كفاح دائم فى الأفراد والمجاميع، يستمر من اللحظة التى تدب فيها حياة أى حى فيه إلى لحظة أن تفارقه .. والفارق الزمنى بين هاتين اللحظتين يكون أحيانًا فى غاية القصر وأحيانًا يمتد سنين طويلة جدًا، كما فى بعض أنواع النبات والحيوان .. ولزوم أو ملازمة ذلك الكفاح أصله ـ فيما يبدو ـ أن استمرار الحياة بأى مقدار، يحتاج إلى المدد المستمر من الخارج، ويحتاج إلى التخلص المستمر من مخلفات وفضلات ذلك .. ولذا وجدت فى كيان كل حى أجهزة على قدر من التخصص تكفل ذلك الاستمرار دخولاً وخروجًا . ومع ذلك الكفاح يوجد القلق دائمًا رغبة فى الأمان والثقة والاحتمال، مع الرغبة المترددة بين الأمل واليأس وبين الرجاء والسخط وبين الاكتفاء والطمع .. وذلك على مقدار ما أُعطى كل حىّ من الشعور بأنه حىّ مسوق للمحافظة على حياته خلال أطوارها ومراحلها إلى نهايتها فى ظروفه وبيئته وزمانه ومكانه ..
- إنما يقف أنصار الله، فى ظل عرشه .. لا يراعون ولا يتلجلجون .
- قال البسطامى سلطان العارفين : « توبة المعصية واحدة، وتوبة الطاعة ألف توبة » .

- لا يشفى القلب المريض، بالظلم والباطل، وإنما شفاؤه فى هداية الضمير والتزام الحق.
- قال بعض الصوفية، إن أهل المعرفة بالله قد اجتمعوا فى الأصل على معرفة الواحد، ثم تفاوتوا بعد اجتماعهم على مراد الله فيهم !

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(٢٧٩)

• دوام التكرار والإعادة والتغير السريع والبطىء فى حياة الآدميين المتغيرة ـ أدى ويؤدى وسيؤدى إلى دوام انتشار الانتماءات العامة بينهم المبنية على العاطفة والميول وظروف الزمان والمكان ونفوذ المأثورات والتقاليد والعادات وتأثير الحماس والمغالاة والتعصب. وهذه الانتماءات العامة كما نعرفها الآن هى مجاميع هائلة أو متوسطة أو محدودة العدد يتمسك المنتمون إليها تمسكًا متشددًا أو متعصبًا بمجموعة من المعتنقات ـ كالجنس والجنسية والملة والوطن والوطنية والطائفة والمذهب الدينى أو السياسى والحزب والجمعية العلنية أو السرية والنادى، وهذه المجاميع قد تشمل شعوبًا بأسرها أو طبقات أو أعدادًا كثيرة أو قليلة ينتشر ويتنامى فيها الحماس والتعصب !

• قال ابن عطاء الله السكندرى فى « لطائف المنن » ـ من كلام أبى العباس المرسى فى مدارج السالكين إلى الله، ومدى معرفتهم به سبحانه، وقربهم منه، أنها مراتب : الأول : إسلام، وهو درجة الانقياد والطاعة والقيام بمراسم الشريعة . والثانى : الإيمان، وهو مقام معرفة حقيقة الشرع بمعرفة لوازم العبودية . والثالث : الإحسان، وهو مقام شهود الحق تعالى فى القلب . وإن شئت قلت : الأول عبادة، والثانى : عبودية، والثالث عبودة . وإن شئت قلت : الأول : شريعة، والثانى حقيقة، والثالث : تحقق .

• قال عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، في فضل الصحابة : « كانوا أفضل هذه الأمة : أبرها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا .. وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « نُهينا عن التكلف » !

• إذا القلب لم يفرغ من الخواطر الرديئة، لم تستقر فيه الخواطر الطيبة !

❁ ❁ ❁

• تحمل الأشخاص لخسارتهم أو خسارات من فى حكمهم للمال، لها عند العقلاء « حد » يكف الشخص عن المضى بعده فى مسعاه الخاسر .. هذا «الحد» لا صعوبة فى الاهتداء إليه بفضل الخبرة والامتثال للحس المشترك .. بيد أن ردود أفعال غير العقلاء تختلف بالضرورة عن ردود العقلاء . أظهر مثال لهؤلاء مدمنو المقامرة .. المصاب بداء المقامرة مصاب بداء عضال لا يملك إزاءه « نور» أو « إشارة » الكف والتوقف عند « حد » ما .. تحمل الخسارة عند المقامر لا حدود له .. هو لا يكف بطبعه الضرير عن سعيه الخاسر، مهما أدى به إلى خسارة ماله، أو ضياع انتهائه فى محيطه، أو انقطاع حيله ووسائله فى الحصول على المال من الغير !!!

• إن الأغلبية الغالبة من أناسى الأرض الآن ـ عُشْب .. قد يكون أخضر، لكنه عرضة للجفاف فى أى وقت بانقطاع الماء اللازم .. وعندئذ يكون عرضة للحريق بأقل شعلة وعرضة لأن تمتد ناره لتأكل اليابس والأخضر فى كل مكان !!

• قيل فى المجاهدة والخلوة والذكر، أنه يتبعها ـ غالبًا ـ كشف حجاب الحس، والاطلاع على عوالم من أمر الله، منها الروح، وليس لصاحب الحس إدراك شىء منها .

• قال حكيم من الزمن الأول :

من لم تثنه الرهبة، أطمعته الرغبة !

ومن أغناه ماله، جذبته الرياسة !

ومن فاء إلى ربه، لا يغنيه ولا يطمعه شىء !

• تغلق الملوك أبوابها، وباب الله مفتوح على الدوام لمن دعاه .

❁ ❁ ❁

• بعض الناس حظهم من الإيمان الإقرار بوجود الصانع، وأنه وحده الذى خلق السموات والأرض وما بينهما .. وهذا لم ينكره عباد الأصنام .. وآخرون حظهم قاصر على النطق بالشهادتين سواء وافق تصديق القلب أو خالفه .. وآخرون عندهم الإيمان مجرد تصديق القلب بأن الله سبحانه خالق السموات والأرض وأن محمدًا عبده ورسوله، دون أن يقترن عمله بما يقره لسانه .. وآخرون عندهم الإيمان عبادة الله بحكم أذواقهم ومواجيدهم وما تهواه نفوسهم من غير أن يتقيدوا بما جاء به الرسول ..

• ولكن الإيمان وراء ذلك كله .. هو حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول عليه السلام، والتصديق به عقدًا، والإقرار به نطقًا، والانقياد له محبة وخضوعًا، والعمل به باطنًا وظاهرًا، وكمال هذا الإيمان فى الحب فى الله، والعطاء لله، وأن يكون الله تعالى وحده هو المعبود، والطريق إليه تجريد متابعة رسوله ظاهرًا وباطنًا، وتغميض عين القلب عن الالتفات إلى غير الله رسوله.

• قال شاعر من الزمن الأول :

إنّ الكريم أخو الكريم ... وإنما يصل اللئيم حباله بلئام

ومن الحكم التى جرت مجرى الأمثال : « الطيور على أشكالها تقع » !

• إن لم تشغل نفسك بالحق، شغلتك بالباطل !

• من نظر بالنقصان والتصغير للدنيا وأعراضها ـ عاش معززًا مكرمًا.

• قيل في الأثر المروى : « إذا رأيتم أهل البلاء، فاسألوا الله العافية » .

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(٢٨٠)

• احتياج الحى إلى ما يقيم أوده عن طريق محيطه أو المحيطين به، واحتياجه إلى طرد بقايا ما بداخله، غريزة لم يبرأ من حكمها إنسان ما، لكنها عرضة للمبالغة أو القصور عما هو ملائم لحياة الحى .. فيأخذ هذا الشرود صاحبه إلى ما فيه أذاه الذى يمرضه أو يقتله ! .. هذا الشرود لم يسلم منه غالبية الناس فى جميع الأعمار، جاهلهم وعارفهم ومنذ الأزل، يرتبط هذا الشرود عند الآدميين ـ من طريق الاعتياد ـ بمنحنيات الغريزة الجنسية إيجابًا وسلبًا، ويستخدم غالبًا فى محاولة إيقاظ هذه الغريزة خاصة عند الكهول والشيوخ . ومعظم هذا الإيقاظ وهم يسرع بهم إلى الاعتلال أو الهلاك .. ولهفة الكهول والشيوخ إلى ذلك « الإيقاظ » من طريق الأكل والبلع والحقن مشهودة فى كل مجتمع وزمن، تساندها المصدقات والاعتقادات وحرص المروجين لذلك « الإيقاظ » على الربح أو تلقى المدائح أو التشكرات عن المساعدة المبذولة أو المتبرع بها !

• قال أحد العارفين: « من غَضَّ بصره عن المحارم، وأمسك نفسه عن الشهوات، وعَمَّر باطنه بدوام المراقبة وظاهره باتباع السنة ـ لم تخطئ له فراسة» .

• قال البسطامى سلطان العارفين عن المعرفة بالله : « للخلق أحوال، ولا حال لعارف لأنه محيت رسومه، وفنيت هويته لهوية غيره، وغيبت آثاره لآثار غيره » .

« إذا سكت العارف، فإنه لا يريد أن ينطق إلا عند معروفه ..
وإذا غمض، فإنه لا يريد أن يفتح إلاّ عند لقائه ..
وإذا وضع رأسه على ركبتيه، فإنه لا يريد أن يرفع إلى أن يُنفخ فى الصور، من شدة أنسه بربه».

- العارف بالله، لا يكدره شىء، ويصفو له كل شىء .

❁ ❁ ❁

- كان السائد فى الأعمال الأدبية والفنية والعلمية والدينية إلى القرن الثامن عشر - ثلاث صفات رئيسية يحرص كل صاحب عمل على مراعاتها والتزامها .. بينها تماسك وتساند وتداخل وتعاون، وهي وحدة العمل وعدم ارتباطه بزمان أو مكان معين أو بين جهة إنتاجه والفائدة المرجوة منه ثم خلوه مما يتصل بحياة صاحب الشخصية اتصالاً مقصودًا متعمدًا .. لأن الناس لم يكونوا حريصين على تخليد فرديتهم ومعالم شخصياتهم، بل كان حرصهم على خدمة الآداب والفنون والفضائل والعلوم فى حدود قدراتهم وظروفهم التى يسمح بها عصرهم، والوصول من وراء ذلك إلى بقاء ذكراهم وتمجيدها على أن تظل طيبة عبقة لا تحمل نواقص الشخص وأوزاره الفردية التى صاحبت ولوثت حياته !
- ولا يزال بعض هذا سائدًا بيننا فى سلوكنا العام .. فما زلنا لا نذكر أمواتنا إلا مرتبطين بواجب ذكر محاسنهم، وبأنهم المرحومون وطيبو الذكر، ونسجل هذا على قبورهم وما أقاموه من مآثر كالأعيان والمزارات والمدارس والمستشفيات .
- فما ينبغى أن يبقى بعد الموت - فى يد الأحياء وعلى ألسنتهم، إلاّ طيبات السابقين دون سيئاتهم .. ولكن هذا الالتزام أخذ فى التآكل من القرن الثامن عشر فى بلاد أوروبا الغربية .. إذ بدأ يدخل فى تقدير الناس للأديب

أو الفنان أو رجل العلم أو الدين ـ نواح من حياته الخاصة جعل حظها يزداد مع ازدياد الدور الذى لهذه الحياة فى حياته العامة، مما جعل وزن قيمة حياة الرجل أو المرأة فى نظر الناس ـ يُقاس بقيمة هذه الحياة .. أبيضها وأسودها طيبها وسيئها قويها وضعيفها .. إيمانًا بمقولة إن هذا مما يقتضيه الإنصاف، للحى والميت على حد سواء.

- فقر العبد إلى عبادة ربه سبحانه، لا نظير له فى غناه .
- قال حكيم من الزمن الأول : « لا خير فى صحبة من لا يرى لك مثل ما يرى لنفسه » !

❁ ❁ ❁

- يبدو أن الأقدمين كانوا أعمق بصيرة ـ فى عنايتهم بستر العيوب عن العيون والآذان ومقاومة انتشار وإذاعة أخبار الفضائح والمخازي .. فالمستور أقل عرضة للإذاعة والانتشار، وأقل أذًى للجماعة من جهة اطمئنانها على أخلاقها !
- وإذا أذيع على الملأ أو انتشر المستور القبيح أو المنكر، فإنه يستحيل التحكم فى ضبطه والحيلولة دون نموه وتجاوزه لحجمه الحقيقى بتسليمه إلى من لا يخافون الله فى نقله أو من يطيب لهم التحدث فيه بلا مبالاة مع المغالاة والمجازفة وزيادة واقعه بالإضافات لزيادة شيوعه وإعلان براعة ناقله!!
- لا يعدم الآدمى الشعور بنقائصه ولا بأنها نقائص، لكن يخف حملها عليه باعتياده على وجودها لديه، وأنه يمكن أن يعايشها بغير كبير مشقة !
- قال بعض العارفين إن كل حركة أصلها الحب والإرادة، وإنه لا بد من محبوب مراء لنفسه، لا يطلب أو يحب لغيره . ولا شيء يحب لذاته من كل وجه إلاَّ الله عز وجل وحده .

- المعرفة بالله أقسام ..
- معرفة العوام، وهى معرفة العبودية، والربوبية، والطاعـة، والمعـصية، ومعرفة العدو والنفس. ومعرفة الخواص، وهى معرفة الإجلال والعظمة، ومعرفة الإنسان والمنة، ومعرفة التوفيق . ومعرفة خواص الخـواص، هـى معرفة الأنس والمناجاة، ومعرفة اللطف والتلطف، ثم معرفـة القلـب، ثـم معرفة السـر.
- طوبى لمن كان شعوره بجلال الله يملأ شعاب نفسه .

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(٢٨١)

• اللغة لا يمكن أن تنفصل فى أية لحظة عن حياة كل منا فى أى سن .. وفى اليقظة والنوم، والصحة والمرض، وفى الماضى والمستقبل .. وهى ملازمة لكل ما نعيه أو نحسه حتى الجنس .. وفقد اللغة فقدًا تامًا ومجردًا من أية قدرة على الإشارة بأى معنى من معانيها، هو توقف فى الحياة الإيجابية نفسها .. توقفًا لا يمنعه تردد الأنفاس أو نبضات القلب ! وقد فطن الآدميون من أول الدهر إلى أهمية العام فى لغاتهم على الخاص، وأن هذا العام فى اللغة هو الذى يبقى ويدوم بعد فناء الخاص والفردى والشخصى، وهو الذى مكنهم ويمكنهم من اتساع الفهم والتذكر والمعرفة والعلم والذكاء والتصور، وهو الذى أفسح ويفسح لهم مجالات الافتراض والنظر والتخيل، وفتح ويفتح أمامهم أبواب الفنون والآداب .. ولكنه أيضًا هو الذى ساقهم كثيرًا ـ عامة وخاصة ـ إلى الركون للخيالات والظنون والأساطير والاستمساك بالعادات والأعراف والتقاليد .. وهذا نوع من القوى المضادة يبدو أنه يؤدى مهمة فى عمل مقاومة الاندفاع والتطرف والمبالغة لدى البشر !

• يخطئ من يتصورون أو يصورون أن للخالق سبحانه وتعالى مكانًا أو زمانًا .. لأنه جلّ شأنه قبل وبعد كل زمان ومكان .. وهو عزّ وجلّ فينا وفى كل ما هو حىّ فعال .. واتجاهنا إلى داخلنا وعنايتنا به وحرصنا على نقاء هذا الداخل نظيفًا سليمًا ـ هو اتجاه وعناية وحرص على بقاء ونقاء

إحساسنا بوجود الخالق عزّ وجلّ .. ينبغى علينا أن نلتفت إليه حتى عندما نستغرق وعيًا وذاكرةً وإرادةً وتنفيذًا فى شئوننا أو شئون غيرنا، وما نظن أنه يجرى فينا أو حولنا من ملايين الأحداث التى تفقد فى الأغلب الأعم معظم قوتها بحدوثها، وتبهت ذكراها بمرور زمن يقصر أو يطول ومعها أثرها .. لأنها كلها بنات زمان ومكان .

- قال أحد العارفين : إجازة الحيل تناقض سد الذرائع !
- النفس الأمارة بالسوء والنفس المطمئنة، متقابلتان متعاديتان .. ما خف على إحداهما ضاقت به الأخرى، وما التذت به إحداهما تألمت به الأخرى !
- ليس كل صمت محمودًا، فالساكت على الحق شيطان أخرس !

❁ ❁ ❁

- يبدو أن تقدم عقل الإنسان فى الفهم تصحبه زيادة فى الأهواء، وأن ترقيه فى المعرفة يستولد حماقات جديدة، وأن ولوعه بالانكباب على دراسة ما فيه ومعه وحوله وداخله وخارجه بغاية ما يستطيع من الدقة والإتقان ـ يواكبه ظهور المزيد من الخفة والسطحية وقلة المبالاة، وأن هذه النقائص من توابع التقدم والترقى والاجتهاد .. وينتظر أن تؤدى ـ على نحو ما ـ دورها فى مقاومة ما فى فطرتنا من الميل إلى المبالغة والشطط .. وربما كان ذلك له مدخل من مداخل نواميس الكون فينا !
- بقى وسيبقى لدى البشر ترحيب بالخير والمحبة والعدل .. هذا الترحيب هو أقرب إلى الأمنية منه إلى الرجاء المصحوب بالسعى الجاد لحصوله .. لأنه ترحيب عام مبهم المعالم غامض الصورة لا يستطيع الآدميون حتى الآن أن يضحوا من أجله بشىء مما معهم أو بشىء يشتهون أن يكون معهم .. وربما تأتى ظروف تكون حياة غالبية البشر أكثر انفراجًا واتساعًا، تسمح لكتلة الناس بالانعتاق من الحدود التى تكبلهم أو التى

يخشون أن تكبلهم .. عندئذ سيكون الآدميون قد خرجوا من أسر النتائج المترتبة عندهم على اختلاف طبقاتهم وأفرادهم !!

- في مسند الإمام أحمد، من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « مررت ليلة أسرى بى على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار، فقلت : من هؤلاء ؟ قالوا : خطباء من أمتك من أهل الدنيا، كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم » .
- لا تنقطع فى النفس الحرب بين النفس الأمارة والنفس المطمئنة، ولا تضع هذه الحرب أوزارها إلاّ إذا استوفت النفس أجلها من الدنيا !
- طوبى لمن نفضوا أيديهم من دنيا الملوك وأموالهم، وتوخوا الله فى عملهم، وقنعوا بما تكسبه أيديهم .
- سئل أبو يزيد البسطامى سلطان العارفين عن التوحيد، فقال : هو اليقين. قيل له : فما اليقين ؟ قال : معرفة أن حركات الخلق وسكونهم فعل الله عز وجل لا شريك له فى فعاله، فإذا عرفت ربك واستقر فيك ـ فقد اهتديت إلى اليقين والتوحيد .

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(٢٨٢)

• لأن مقدرة الآدمى على التخيل دائمًا مسترسلة مطيعة .. لا تأبه بالواقع الماثل ولا تقف عند الحدود والغيوب .. هذه المقدرة تشعره منذ صغره بالعام والمطلق والدائم، وتجعل هذه المعانى بين يديه وفى متناوله فى روحاته وغدواته ما دام حيًا .. تصور له معذورًا بأن فى استطاعته من الإمكانات ما لا حد له متى تهيأت له الفرص أو متى عرف كيف يهيئها .. فلم يخلُ قلب الآدمى قط فى الماضى والحاضر من الأطماع .. حميدة كانت فى نظر الغير أو غير حميدة .. وهذا باب آخر فى النظر إلى اختلاف وتشابه البشر أفرادًا ومجاميع .. يجب حسبان حسابه لما ينطوى عليه من الغرائب والمفاجآت فى سلوكهم وتفكيرهم!

• الصغار والنساء لهما قدرة هائلة على نسيان الأخطاء والديون أى الالتزامات والمسئوليات .. والصغار والنساء أكثر استعدادًا للسعادة وحرصًا عليها واقتناصًا لفرصها من الرجال بكثير . ربما لأنّ تذكر المسئوليات همّ يضعف قوة الرغبة فى الحياة، وهى مطلوبة للصبى لينمو وتنمو الحياة فيه ـ وللمرأة لتحمل الحياة الجديدة وتحفظها إلى أن تستطيع المحافظة على نفسها بوسائلها هى . فنداء الطبيعة وراء سهولة نسيان الصغار والنساء للالتزام والمسئولية !

• عاش ويعيش فى صفحة وعينا، من القدم، ما يسود لدينا أفرادًا وجماعات، من التمييز بين القوة والضعف، وبين الأهمية والمكانة والغنى ـ

وبين قلة الشأن أو السوقية أو الفقر أو الانحطاط أو الهوان . منشأ ذلك العائش الراقد فى صفحة وعينا ـ هو ذلك الكفاح الذى تفرضه حياة الأحياء على هذه الأرض، التى يبدو أنها تعطى لكل على قدر قوته أو ضعفه وعلى مساحة ما لديه من ظروف تسانده أو تخذله، ويبدو أنها رغم محدوديتها التى يعلمها الآدميون منذ قرون ـ لا يزال لديها الكثير جدًا من العطاء لعموم البشر وعموم الأحياء على هذه الأرض !

- قال بعض العارفين : القلوب كالقدور تغلى بما فيها، وألسنتها مغارفها ! وقيل فى الحديث الشريف « لا يكب الناس على وجوههم إلاّ حصائد ألسنتهم » !
- قالوا فى معنى الله أكبر، أنه سبحانه وتعالى أكبر من أن يقاس بالناس، أو يدخل تحت القياس، أو تدركه الحواس .
- من عرف الله، يزهد فى كل شىء يشغله عنه .

❁ ❁ ❁

- يبدو أنه لا غنى للشعور بالمساواة فى كل شىء بين الأفراد فى جماعة ما ـ عن وجود هدف قادر غالب متحكم فى نفس وعقل كل فرد .. بحيث ينسي مع الشعور به وتذكره ومحاولة تصوره ـ ينسى الدنيا وفوارقها نسيانًا غالبًا عميقًا تهون وربما تختفى معه القيم والأهداف الدنيوية بقضها وقضيضها .. هذه الأهداف التى تواجه الملتفت إليها فى كل لحظة من صحوه ونومه الذى لا ينظر لغير دنياه ومطالبها ومتاعبها وهى لا تنتهى . فهل يمكن أن يتسع ـ بفضل العلم والترقى والتطور ـ ميدان الحياة والأحياء فى الكون الواسع أمام البشر جميعًا .. بحيث يمكن أن يبلغ أى فرد ما يريده بيسر وبلا عائق ؟! أو هل يمكن أن يصل البشر كل البشر إلى وسائل ميسرة قريبة من إرادتهم وأيديهم، تمكنهم من السيطرة التامة فى كل

وقت على طباعهم ورغابهم وإخضاعها خضوعًا دائمًا تامًا لصوت الأفهام والعقول، فيعرف كل فرد معرفة يقينية إمكاناته واستعداداته، ويرضى بكلياته بالالتزام والوقوف عندها، ويستقبح أن ينظر إلى غيره نظرة الطامع أو الحاسد أو الحاقد أو الأنانى أو الطاعن أو المتحكم المستبد ؟!

- الرغبة فى المزيد من الفهم والرغبة عن الفهم وتفاديه، موجودتان فى جبلتنا كوجود النشاط والخمول والإقدام والإحجام .. يتبادلان مركزى القوة والضعف فى حياة كل منا حسب استعداداته ومبلغ مقاومته وإذعانه للظروف والأحوال، ويشتركان فى تنويع الأفراد والمجاميع والأجيال إلى غير حد تقريبًا .

ويبدو أن أى إنسان مهما بلغ فى أى زمن من سعة الفهم وعمقه، فإن فهمه جزئى ومحدود بحدود خلقته وحدود استعداداته وظروفه غير القابلة للتغيير بإرادته وعزيمته وأشواقــه .

- رفع إلى الإسكندر وهو على تخت مملكته، أمر لص سرق، فأمر بصلبه..

فقال اللص مستعطفًا : أيها الملك سرقت ولم يكن لي شهوة في السرقة، ولم يطلبها قلبي .

فقـال له الإسكـندر : « لا جرم تصلب ولا يطلب قلبك الصلب ولا يريده » !!

- قال بعض الحكماء : إياك وقرين السوء، فإنك بـه تُعــرف !

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(٢٨٣)

• يوقن معظم البشر فى كل زمان ومكان بأنه بلغ أقصى إمكاناته إذا جاوز صباه .. وهو اعتقاد يعينه على تقبل ذاته والرضاء عنها، لكنه يمنعه من المحاولة الجادة لمعرفة ما زوده الخالق عزّ وجل به، ويحول بينه وبين فرص تحسين أحواله وأحوال من فى كنفه .. وهذا سبب لوجود الفروق ولسننها واستدامتها.. لأنه ينتقل بالمحاكاة بين الأجيال، فتزداد تلك الفروق عمقًا وثباتًا مع اطِّراد المحاكاة والتوارث .. فكم نبنى نحن بأيدينا ـ دون أن نفطن ـ سلوك أولادنا ومستقبلهم وموضعهم فى مجتمعهم من خلال قصورنا وإعراضنا عن صدق العزم والرغبة فى إدراك أكثر ما يمكننا فعلاً إدراكه والانتفاع به والاعتماد عليه من الاستعدادات التى فى داخل كل منا..

• نحن قد نساعد وعينا وحواسنا بأدوات وأجهزة تقرب البعيد أو تبعد القريب وتكبر الصغير أو العكس، وتظهر الخفى وتخفى الظاهر، وتحرك الساكن أو تسكّن المتحرك .. ولكن لا يسعنا ـ فيما يبدو ـ الاستغناء عن الحواس فى وعينا أو أحلامنا وفى حياتنا بصفة كلية أو فى معظم أحوالنا وأوقاتنا .. ولا فى وسعنا أن نستغنى عن استخدام الوعى أو التعرض للشعور والإحساس أو التذكر أو تداعى الأفكار والمعانى .. وذلك كله يقوم دون أن نشعر ـ على تحديد الموضوع الذى نعيه أو نشعر به أو نتذكره أو نستدعيه .. وحصره وعزله عن كل ما يصحبه ويرتبط به فى الوجود العقلى والفعلى .

• قال أحد وزراء السوء محرضًا أحد الملوك في الزمن الأول : « يا مولاي إن الرعية قد بطرت الآن من كثرة عدلنا فيهم وقلة تأديبنا لهم، وقد قيل إذا عدل السلطان جارت الرعية » !!

ولكن الملك جعل يتأمل في أحوال الرعية، وما سبقت به شفاعات الوزير، فانكشف عنه الغطاء، فقال قولة صارت مثلاً : « من اغتر بالاسم من ذوي الفساد، بقي بغير زاد . ومن خان في الزاد بقي بلا روح» .

وفي ذلك يقول شاعر من الزمن الأول :

وما أنا بالمغتر باسمك إنما
تسميت كي تحتال في طلب الرزق
ومن يجعل الأسماء فخًا لرزقه
يغدو بلا روح على الجذى مستلق

• إدمان النظر فاضح لتعلق القلب وهواه !

❁ ❁ ❁

• يخرج كبار الأنبياء من الدنيا بلا احتفال كما دخلوها، ويكون خروجهم منها على نحو فاجع لأهلهم أو شبيه بالفاجع .. ويبدو أن هذا فيه تمهيد للخروج فى أذهان أتباعهم من البشر الذين يتزايدون مع مرور السنين، وتمهيد للابتعاد المطَّرد عن الآدمية، لكى تستطيع مهمة النبى ـ بعد الموت ـ أن تواصل التحليق فى السيادة والعصمة غير الإنسانيتين، وهذا اقتراب ومزيد من الاقتراب لدى القلوب ـ من الرب سبحانه وتعالى اقترابًا يشبه الالتصاق، بل يكون نوعًا من الاندماج، ويفسح المجال للعبادات والطقوس والمراسم والمواسم، ويعطى هذه الأمور طابعها المميز لها عن سواها إلى آخر الدهر .

• من منا يحكّم عقله فى أمور حياته اليومية أو المعتادة : إلا نادرًا وعلى نحو سطحى يخلو غالبًا من الأناة والتأمل وتقليب الرأى .. وإن كنا جميعًا نصر فيما بيننا وبين أنفسنا على أننا لا نسلك إلا مسالك العقلاء البعيدين عن حماقات الحمقى وضعاف العقول والنفوس !!

وهكذا يشارك حسن ظننا بأنفسنا وبتصرفاتنا وخيالنا وفى أحيان كثيرة غرورنا .. يشارك دون أن نشعر فى إيجاد أسباب تلك الفروق الاجتماعية التى تقيمنا وتقعدنا كلما أحسسنا بها. وربما كان هذا من أهم أسباب الفروق الاجتماعية المزعجة أو المنفرة .. أقصد نتائج هذه الفروق .. لأن زيادة عدد المكافحين المصرين المجتهدين فى الجماعة، يؤدى إلى تقلص آثار ونتائج تلك الفروق فى المجتمع، بينما تقلصهم وتناقصهم يزيد فيها وفى شدتها واتساعها وفى ابتعادها عن المعقولية والإنسانية !

• من المفارقات اللافتة، والمحزنة، أن تقعد رؤانا وهممنا ـ وبعد ستين عامًا من إقامة جامعة الدول العربية، عن الإمساك بالفرصة التى هيأها أسلافنا منذ عام ١٩٤٥ بإقامة بيت عربى يضم العرب .. فلا نكتفى بتراخى إرادتنا عن تفعيل آليات هذا البيت، وإنما نمسك بأيدينا معاول هدمه ونعمل فيه النسف والتدمير غير ملتفتين إلى أن أسقامنا ترجع إلينا لا إلى بيتنا !!

• كم كان حكيمًا من صك فى الزمن الأول عبارة « العقل زينة » !

• الأشياء إذا أفرطت فى غايات تضادها ـ تشابهت !

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(٢٨٤)

• مع كثرة شواغل الآدمى الخارجية، يزداد خروجًا من بدائيته الأولى التى يحتفظ بمعظم معالمها فى الأعم الأغلب إذا لم يشغله خارجه ويملأ عليه حياته .. لأنه مع كثرة الشواغل التى تأتى الآدمى من خارجه وأثرها المشهود فى إخراجه من بدائيته، نجد أنه إذا لم يشغله خارجه ويملك عليه معظم التفاته ووقته ـ يحتفظ بالكثير من بقايا بدائيته ـ اللهم إلا بالنسبة لأصحاب المواهب الفذة .. فهؤلاء لا تلبث مواهبهم أن تشعرهم بقوتها وتدفعهم دفعًا عميقًا إلى الاحتفاء بها والالتفات إليها وحصر اهتمامهم فيها مع صرف انشغالهم بغيرها مما يجرى خارجهم ومما يجذب البشر العاديين .. وتأثير أولئك الأفذاذ حين ينتشر حال حياتهم بين العامة والخاصة، يكون صاحب الأصوات كثير التحرك قليل العمق .. فإن انتشر بعد رحيلهم ـ فلأنه يكون قد بدأ وصوله إلى أعماق النفوس وأخذ يختلط بها راصدًا ساردًا لأمزجتها وعواطفها وعاداتها وطرائق تفكيرها وأساليب لغتها أو لغاتها .. وبات تأثيره الغالب الواضح خلال ذلك الامتصاص تأثيرًا مشتركًا اجتماعيًا يخالف قليلاً أو كثيرًا ما كان عليه تأثير صاحب تلك الموهبة الفذة حال حياته، وصار باستمرار عرضة لمسايرة نفوس الناس وعقولهم مع تطور أذواقهم وأفكارهم فى تعاقب الأزمنة واختلاف الأمكنة . إذ وصول التأثير إلى الأعماق يقتضى أن يأخذ هذا التأثير مكانه بين المؤثرات الأخرى الكامنة فى أعماق الآدمى .

• فكرة « المكانة » مطلب لدى الناس قديم .. ويكـاد يكـون فى زمننـا مطلب الجميع .. يقتتل عليه الكـل، ويرهقـون أنفـسهم وأهلهـم وذويهـم وأشياعهم من أجله .. ولا تعدو « المساواة » التى يتشدقون بهـا أن تكـون عندهم مجرد كلمة تقال للزخرفة، سرعان مـا ينفلـت ملقيهـا منهـا ومـن تبعاتها، ويسعى للتصدر وطلب الرفعة والمكانة وعلو القدر والمنزلة والفوز بالزعامة والاستئثار بالقيادة .

• أقل الناس عقلاً، من آثر الخيال والوهم على الحقيقة، والمنام والأحلام على اليقظة .

• قال حكيم من الـزمن الأول : بقـدر سرور التواصـل، تكـون حـسرة الهجران والتفاصل !!

• قد تكون مداراة الناس صدقة !

• وقت الإنسان هو عمره، وهو مادة حياته .. يمر مَرّ السحاب، والعاقل من أعطاه حقه، فيعطيه ثماره.

❁ ❁ ❁

• من الغريب جدًا أن الآدمى منذ أن وجد، لا يفطن إلا نادرًا إلى أن معظم ما ينفعه أو يضره ويسيره أو يقوده لا يأتى إلا من داخله هو، ولا يفطن إلى أن داخله عالم معقد فيه القديم والجديد والبدائى والمتطور والبسيط والمركب، ولا إلى أن أحكامه على نفسه وعلى غيره أو على حظه من السعادة أو الشقاء أو من الخير والشر ـ غالبًا ما تصدر عن القشرة السطحية الوقتية المتغيرة لذلك العالم المعقد .. مليئة بالأخطاء والمبالغات والانحرافات والأوهام والأحلام التى مع التكرار والتداول تزداد ابتعادًا عن الواقع وبالضرورة عن الاتزان !.. وأن هذا هو حال الغالبية الغالبة من الآدميين فى كل زمان ومكان .. حكامهم ومحكوميهم .. ورؤساءهم

ومرؤوسيهم .. وأغنياءهم وفقراءهم .. وأقوياءهم وضعفاءهم .. وأن الفروق الاجتماعية التى يضيق أكثرهم بها وبنتائجها المؤسفة هى بصفة عامة لواحق وعواقب وثمرات مُرّة لاشتراك الجميع المتقارب نوعًا ومقدارًا ـ إراديًّا كان أو غير إرادى ـ فى السطحية والأنانية وقلة المبالاة والغرور والكسل والمحاباة والانحياز والتفضيل والمغالاة والعنف والخبث والحقد المولع بالثأر والانتقام والتلذذ بالقسوة والتمثيل .. وتلك عقبات كؤود فى طريق نجاح أية فكرة عامة تبدو حسنة فى عين العقلاء المعتدلين المتزنين ـ لو صادفت جماعة تتبناها بإخلاص وعزيمة وصبر وتعقل واتزان واعتدال .. لكن هذه المصادفة العزيزة لم تتحقق بعد فيما نعلم فى تاريخ الجماعات القوية المتقدمة فى زماننا أو فى أى زمان سابق !

• الحياة يلازمها سعى للآدمى، لا يكف فيه عن محاولة الحصول على المزيد ومزيد المزيد من الرضا عن النفس، وقد يكون من باب تحسين حاله ومستواه وظروفه . والواقع أن هـذا المسعى الدائب « قُطْب » تدور حوله الحياة ومعها تاريخ البشر، وكثيرًا أو أحيانًا ما يصاحب هذا المسعى تضخم للذات يجاوز المعقول أو لا يناسب ملكاتها واستعداداتها، وكثيرًا ما ينحصر به انحصارًا شديدًا فى « أنانيتها » .. وقد يتضخم هذا الشعور ويتفاقم ويتزايد على نحو سرطانى لا يرى فيه الآدمى إلا ذاته !

• الظن أشبه الأشياء بالدنيا .. تحسب له حقيقة ثابتة، بينما هو فى تقلص وانقباض ! لا تلحقه مهما تبعته لتدركه !

• من الحكم العطائية : « ما طلب لك شىء مثل الاضطرار، ولا أسرع بالمواهب إليك مثل الذل والافتقار » !

❀ ❀ ❀

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٨٥)

• إن رسالات الأنبياء دعــوات موجهة ابتداء وانتهاء إلى عموم الناس .. القارئ وغير القارئ، والكاتب وغير الكاتب، لتلبية نداء الاستقامة داخل وخارج الآدمى ـ تحت ظل الرب الذى لا نراه، ولكنه سبحانه يرانا، ولا ندركه بوعينا ولكنه عز وجل يعرفنا تمام المعرفة .. لا تجمعنا بـه مشابهة، وإنما يجمعنا به أنه جل شأنه خَلَقَنَا وأنعم علينا بنعمة الحياة وما اشتملت عليه، وأننا نتجه إليه ـ سبحانه ـ بفضل هذه الحياة، أى بما فى مقدور المخلوق بالنسبة لخالقه، وبما فى استطاعة الفانى الأقل قِبَلَ الأزلى الأبدى . نغمض أعيننا ونفتح قلوبنا وهذا غاية ما نقوى عليه مما لا يشفى غليلنا، لكنه حدّنا الذى يجب أن نلتزمه إذا أردنا أن نبتعد عن الخيالات والأوهام .

• قال حكيم : ذكر الله تعالى الغنى والمال فى القرآن، على أحد وجوه :

الأول : على وجه الذم . كقوله تعالى : « كَلا إِنَّ الإنسَانَ لَيَطْغَى . أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى » (العلق ٦ـ٧)

وقوله : « وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ » (الشورى ٢٧)

وقوله : « زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ » (آل عمران ١٤)

والثانى : على وجه الابتلاء والامتحان. كقوله تعالى:

« إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأولادُكُمْ فِتْنَةٌ » (التغابن ١٥)

وقوله : « أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ . نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لا يَشْعُرُونَ » (المؤمنون ٥٥، ٥٦)

والثالث : على وجه أنه لا تقرب بهما إلى الله . وإنما القربى بالإيمان والعمل الصالح.

كقوله تعالى: « وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُم بِالتى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاء الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ » (سبأ ٣٧)

والرابع : على وجه أن الغنى والمال متعة دنيوية، لا نصيب لها فى الآخرة .

كقوله تعالى : « وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى » (طه ١٣١)

وقوله : « وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَاليوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ » (الأحقاف ٢٠)

والخامس : على وجه ذم المترفين ومحبى الثروة . كقوله تعالى :

« إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ » (الواقعة ٤٥)

وقوله:« وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا . وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا » (الفجر ١٩، ٢٠)

• لا تلبث النفس أن تحفظ أشياء، وتغيب عنها أشياء .. المهم ماذا تحفظ، وماذا يغيب عنها !

• من فطرات العقل، نهى النفس الأمارة بالسوء عن الهوى، وردها إلى السواء .

❁ ❁ ❁

• أصل الفهم معرفة حقيقة ما حدث بعد حدوثه والانتفاع بذلك فى بناء الخبرة، أما فهم ما لم يحدث فلا يكون إلا جزئيًا ومجازًا .. أى مقاربة ما توقعنا حدوثه لما سوف يحدث بالفعل وتوقعنا حدوثه نتيجة الخبرة والفطنة .. وهذه المقاربة تختلف من حيث درجة صحة التوقع وعدم صحته باختلاف مقدار سلامة الخبرة ومبلغ وحسن الفطنة . ولذلك تختلف توقعات الآدميين فى كل

عصر وصقع لما سيحدث، سواء بالنسبة لشئون كل منهم الخاصة أو لمحيطهم وعالمهم .. وذلك بالرغم من وجود قدر عام من التشابه يرجع لتشابه الاستعدادات والعواطف فى النوع كله .. وطبيعى أن يكون معظم فهمنا هو هذا الفهم الجزئى المبنى على التوقع، لأن حياة الآدمى امتداد فى مستقبل أغلبه مجهول بالنسبة للمرء ينتهى حتمًا وتبقى آثاره أو بعضها لأمد يطول أو يقصر بقاءً فى ذاكرة أحياء جدد .. حاصلاً أو محتمل الحصول، سليمًا أو مشوهًا .

- الغنى والفقر خاصية خاصة اختص بها الآدميون أنفسهم .. يحاول كل منهم أن يزيدها وينميها .. بعضهم يفصح عن محاولاته وسعيه، والبعض يهرب بمواراتها .. يجرى هذا على الجميع ـ من ساعة أن يعى كل منهم نفسه إلى ساعة أن يفارق الحياة !

- قالوا فى معانى القرب من الله :

  * به سبحانه يدل العبد عليه، وبه عز وجل يصل العارف إليه .
  * أكثر الناس إشارة إليه أبعدهم عنـــه .
  * أقرب الناس من الله، أكثرهم شفقة على خلقه .

- لا يكون العبد عاملاً على معنى العبودية، حتى تكون إرادته وأمنيته تابعة لمحبة الله .

- العارف ابن وقته، إن أضاعه ضاعت عليه مصالحه، لذلك قيل إن الوقت كالسيف، إن لم تقطعه قطعك .

- من شأن الكريم الرحيم، أن يجيب من استغاث به، وأن يفسح له فى المهلة.

- العارف بالله، لا يشكو وإن قُطع قلبه بالمقراض، ولا ييأس البتة من روح الله، ولا يغفل عن ذكره جل علاه .

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(٢٨٦)

• وراء كل فهم حقيقى وقفة من صاحبه يشعر فيها بالحاجة إلى شيء من التأمل ترد عليه فيها أسئلة صريحة أو ضمنية وإجابات محتملة بعيدة وقريبة .. وقد يحاول تعجل الفهم فيخطئ، وهذا كثير الحدوث .. أو يتعجل اليأس من الفهم فيكف عن المحاولة زمنًا يقصر أو يطول، وهنا يعيش بما معه ولا يريد أن يصدق أن الذى معه قد اهتز، وأن اهتزازه لا يمكن تجاهله أو نسيانه مهما أغضى عنه وظن أنه انمحى وزال .. وهذا حال معظم الناس بالنسبة لمعظم عقائدهم ومصدقاتهم، وإليه يرجع ما يلاحظ من سطحية الإيمان بصفة عامة وعجزه عن السيطرة على سلوك غالبية الناس والتعويض عن ذلك بالمبالغات فى التعظيم والتقديس والإكثار من الصيغ القديمة والمأثورات والتنافس فى تلاوتها وذكرها . والإغفال المتعمد العنيد لكل فارق بين هذا الزمان وأهله وبين الأزمنة التى تعزى إليها تلك الآثار والأقوال المأثورة عنهم .. هذا الإغفال تهرب من الفهم يمثل عادة قوية مستحكمة، سائدة من قرون انتشرت فيها سطحية المعتقدات ومعها ما تجمد وتيبس من عقول أجيال الآدميين وتَحَجَّر من آمالهم الرفيعة نبيلة الأصل، فضلاً عن تراكم الشوق لبساطة وراحة ما كان يعتقده الآباء والأجداد .

• ما أقرب ارتباطنا بأنبيائنا وأقربه وأوثقنا به، وأوهن واعزه علينا وأهونه ! وما أزهدنا فى الانصياع والحرص على ضوابط الملة، وأشد تعصبنا لها وحماقتنا بما نتوهم أنه الدفاع الواجب عنها إزاء الهجوم الذى

نتخيله عليها ! وما أكثف احتشاد الانفعال مع الوهم وسرعة الغضب مع عدم الاتزان وبطء التفكير وارتفاع الأصوات مع ضآلة القصد وهبوط الغرض ـ فيما يتعلق بسلوكنا العقائدى وردود الأفعال المترتبة عليه !

• قال حكيم من الزمن الأول : من هتك حجاب غيره، انكشفت عورات نفسه !

• طوبى لمن كان همه همًّا واحدًا، ولم يشغل قلبه بما رأت عيناه، وسمعت أذناه .. وما الهم الواحد، إلاّ تعظيم الربوبية والاتجاه إلى الله .

• قالوا : الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له !

• إذا صدقت التوبة، استتبعت المجاهدة .

❁ ❁ ❁

• كل مَنْ يعرف من البشر نسبيًا بعض ما شاء الخالق أن يركبه فيه من عديد الأجزاء والغدد والأوعية والسوائل والعلقات وألوف الألوف من الخلايا والخمائر والإنزيمات والمضادات والمنبهات والحاملات، وهو ما يكاد يطابقه فى الثدييات وما يشبهه من حيث الأساسيات فى الطيور والأسماك وسكان الماء والحشرات .. من يعرف ذلك يدرك أن أى آدمى لا يستطيع تأمُل ذاته بشىء من الرمزيَّة والهدوء دون أن يحس بهذا القدر الكبير من الاشتراك بين الإنسان وبين إخوانه من الحيوان، ودون أن يشعر بما لهذه القرابة القريبة من نتائج جدية باقية مسيطرة على عقل الآدمى ونفسه وعواطفه وتصوراته وأحلامه وأوهامه ومخاوفه .. وأن ذلك يستوجب فى فهم حياة الإنسان ـ أخذ هذا الجانب الحيوانى أو الجسدى مأخذ الجد فى الاعتبار .. إذ لا يمكن مصادرته وإلغاؤه أو ازدراؤه واحتقاره وتجاهله . هذا الجزء الحيوانى الجسدى أحسه ويحسه كل آدمى ـ

كل ساعة، ولم يخلُ من الإحساس به والانصياع له وتلبية حاجاته آدمى حىّ فى أى زمان أو مكان .. ولعل هذا هو الفارق الأساسى الذى يجب أن يحسب حسابه فى فهم الكائن الحىّ عندما يفكر ويبحث ويتأمل فى المعتقدات والمصدقات والمبادئ والقواعد والأصول والأحكام .. فهذه ينبغى ألا تصير إلى ما صارت إليه من زمن مديد بين أهل الملل والعقائد أو أهل المبادئ والمثل ـ وسيلة خفية لكنها فعالة لإحداث انفصام فى ذاتية الآدمى الذى ينتمى إليها ـ بحيث يحمل ذاتية جسدية آدمية فى حياته اليومية المألوفة وذاتية أخرى منفصلة تمامًا ليست جسدية ولا آدمية البتة ـ متصورة ومعتقدة اعتقادًا عنيفًا يحجب صاحبها عن فهم واقعه وحقيقة دنياه وعقباه ويدفعه دفعًا لا يتوقف فى اتجاه ملائكى أو إلهى ليس له صلة بالآدمية !!

• أغلب الظن إن لم يكن أغلب اليقين، أن الآدمى لا يحب إن لم يكره من يخالفه .. لأن المخالفة تبدو فى نظره قريبة من الخصومة .. مع أن هذه المخالفة ضرورية جدًا لحياة الآدمى كفرد أو كعضو فى جماعة، بل لعلها أشد لزومًا من الموافقة التى نرتاح إليها وننشدها ونفضل ما يصحبها ويصاحبها من الشعور بالراحة والأمان مع المتفقين أو الموافقين.

• التوابون مقامهم غير التائبين .. التوابون هم الذين يكثرون من التوبة، يتوبون حيث لا ذنب، فيتوبون توبة عبادة، وتوبة عبودية !

• الكلام أسيرك فإذا فاه به لسانك صرت أنت أسيره !

• من أقوال السيد المسيح عليه السلام : « لا تتخذوا الدنيا ربًّا فتتخذكم عبيدًا » !!

❀ ❀ ❀

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٨٧)

• ما نحتاج إليه من المعرفة يختلف بالضرورة نوعًا وقدرًا باختلاف الأزمنة والأمكنة والظروف .. لأن المعرفة لا تُطْلَب لذاتها، وإنما لخدمة الآدميين الذين يتداولونها وتتفق مع أحوالهم وعصرهم وتنمى وتزيد قدراتهم على التعامل مع ما يصادفهم ويعرض لهم فى زمنهم .. فالمعرفة المقبولة فى عصر أو فى حالة لدى سواد الناس، قد تصبح غير مقبولة لأناس آخرين أو فى عصر آخر أو فى ظروف أخرى .. لأن أحوال الناس بعامة تتغير وتتطور من عصر لعصر، مع سير الحياة الذى لا يتوقف، والمعرفة التى لم تعد مقنعة لسواد الناس تفقد قيمتها عندهم وينفضون يدهم منها، ولا يعود لوجودها بينهم قوة وقيمة .. ومع ذلك فمثل هذه المعرفة تزيد ـ مع ما يعترضهم ويصادفهم ـ فى تفاقم الحيرة والقلق لديهم، وتفتح الطريق لانتشار التشيع والخلاف والفرقة، واعتياد ذلك والارتزاق منه واحترافه، وتدفع إلى صرف الجهود والأفراد والأموال فى الصراعات والفتن التى لا تبالى بهلاك الأنفس أو تعطيل المرافق أو خراب العمار فى سبيل الثأر من فريق أو القضاء على فئة أو إذلال طائفة أو كسر شوكة أخرى . إذ فى الفتن تنقلب الرؤى والمعايير والموازين، ويصير القريب جدًا بعيدًا جدًا، والخيال المحال ممكنًا، والممكن المألوف محال المحال، وتنبهم الرؤية ويحل العماء الضرير .. ويهون الموت لكثرة وقوعه بلا داعٍ، ويفقد مع كثرته وتفاهة أسبابه ـ يفقد وقاره ووقعه أو إيقاعه، كما تتدلّى وتتدنّى قيمة الحياة إلى

الحضيض، ويرخص الأحياء حتى لا يساووا شيئًا فى عين المهاجم أو المنتقم أو مطلق المدفع أو ملقى القنبلة أو مدبر الانفجار . لا يرتفع إلا صراخ الألم أو الضياع وصياح المسلحين وصخب زعمائهم وسخطهم واتهاماتهم لخصومهم وتعصبهم وعبارات هذا التعصب المريض الذى لا يكاد يهدأ !!!

- قال سلطان العارفين أبو يزيد البسطامى : « عالجت كل شىء فما عالجت أصعب من معاملة نفسى، وما شىء أهون علىّ منها » .
- الإلهام الصادق، هو هدف العلماء والربانيين .

❁ ❁ ❁

- ربما ساورنا الشك أو زادت شكوكنا أو اعترانا اليأس إذا انحصرنا فى الهدير الأعمى الذى يحيطنا من كل جانب، وهالنا خضم الأنباء الذى بتنا غارقين فيه وكثرة نقل وتداول الأخبار عبر العالم كله فى زماننا، وشغف عامة الناس بتلقفها هنا وهناك صباح مساء .. مقروءة ومسموعة ومرئية .. وغلبة ضخامة المصالح والتيارات والقوى السياسية والمالية التى وراء نشر أخبار معينة وبثها وإذاعتها على أوسع نطاق، لاستخدام أثرها المقصود على الترويج لها واستخدام الميول والأذواق والاشتهاءات والمخاوف لدى الجمهور بما يوافق أغراضها وخططها، وما صاحب ويصاحب ذلك من تحويل فضول الجمهور لكى يملأ بهذه الأغراض فراغه القليل المتبقى له فى مساعيه للرزق، أو ملء الفراغ الكثير الذى تتسع دوائره مع اتساع البطالة والتعطل .. وربما ساهم فى زيادة شكوكنا ويأسنا ما صار يحيط بنا من عشق الإنسان العصرى للسرعة والعجلة فى كل شىء، وتبرمه وضيقه الذى لا يكتم إبداؤه ـ بالتأنى والتمهل والتريث والانتظار وترقب ملاءمة الوقت ومؤاتاة الفرصة وتهيؤ أوان الإنضاج أو تمام النضج !

• النظم فى الشعر أدل على الطبيعة، لأن النظم من حيز التركيب .. والنثر أدل على العقل، لأن النثر من حيز البساطة ..

• وإنما تقبلنا للمنظوم بأكثر من المنثور، لأننا بالطبيعة أكثر منا بالعقل .. والوزن معشوق بالطبيعة والحس، ولذلك يغفر له استكراه اللفظ .. والعقل يطلب المعنى، فلذلك لا خطر للفظ عنده .

• من أقوال أبى حيان التوحيدى، وقد خلا المحيط من خلان الوفاء :

• « لقد أمسيت غريب الحال، غريب اللفظ، غريب النحلة، غريب الخلق، مستأنسًا بالوحشة، قانعًا بالوحدة، معتادًا للصمت، ملازمًا للحيرة، محتملاً للأذى، يائسًا من جميع من أرى، متوقعًا لما لا بد من حلوله، فشمس العمر على شفا، وماء الحياة إلى نضوب، ونجم العيش إلى أفول !! »

• لا تستعن بمن لا يعين، ولا تشكُ إلى غير رحيم !

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(٢٨٨)

• يحجب عنا كآدميين من أهل هذا العصر ـ جانبًا من الشعور العميق بأخطار ما نحن عليه من الاستسلام وقلة المبالاة وقصر النظر والقلق والضيق والرغبة فى سرعة التغيير وتقليد التغيير ـ يحجب عنا الشعور بذلك ـ النتائج التى تترى باستمرار من مثابرة العديد من أصحاب العلوم الوضعية ـ فى اختباراتهم وأبحاثهم ومعاملهم وإصرارهم وعنادهم العجيب فى موالاة تجاربهم وتحسينها وتطويرها .. كأنهم لا يعيشون إلاّ من أجلها .. وهذه الظاهرة الفريدة التى تزيد انتشارًا وسعةً منذ أواخر القرن السابع عشر ـ فيها نوع من النُسُك للمعرفة والعلم الجزئى الوضعى البعيد عن العموميات والأصوليات .. هذا العلم القابل للتحويل إلى منتجات وآلات وأدوات ـ تتم على أيدى المخترعين من المهندسين وأهل الحرف والصناعات .. وهؤلاء عديدون أيضًا فى البلاد المتطورة وبعض البلاد التى فى طريقها إلى التطور .. وقد أدى هذا إلى تدفق آلاف المخترعات والمنتجات فى سيل هائل لا ينقطع ـ مما أدى بالجماهير إلى المبالغة والتطرف فى إحسان الظن بقدراتهم وأحوالهم .. وهذا باب آخر من أبواب الخطر مفتوح على مصراعيه يحتاج إلى من يبادرون إلى تداركه ومعالجته .. ويبدو أن الاقتصاد الدولى والتجارة والصناعة والبنوك الدولية ـ لا تساعد على ذلك العلاج .. لأنها تعول كثيرًا فى الحرص على الرخاء فى العالم، والإبقاء على إشباع وتنشيط أشواق ورغاب وأهواء الجماهير فى مختلف الأقطار ..

وذلك لضخامة الأموال وجسامة المصالح الهائلة الموظفة فـى تلك الأنشطة الدولية أو العالمية !

- شرف البدن فى عشرة أشياء : الحلم، والحياء، والعلم، والورع، والتقى، والخلق الحسن، والاحتمال، والمداراة، وكظم الغيظ، وترك السؤال.
- من أدب خطاب البسطامى سلطان العارفين إلى ربه : « رب أريد ألاَّ أريد غير ما تريد » .

❁ ❁ ❁

- ليس معنى اتجاه مؤمن إلى السماء فى دعائه وابتهاله لخالقه .. ليس معنى هذا الاتجاه فى الدعاء أنه يحدد للخالق عزّ وجلّ مكانًا فوق المكان الذى فيه البشر بعيدًا عن دنياهم ونواقصها وأقذارها وهوانها فى ذاتها ـ كما يظن ويتصور كثير من الناس .. وإنما يمثل هذا الاتجاه كناية عن سماء مقاميّة للخالق عزّ وجلّ .. ليس فيها شىء من عناصر المكان والزمان البشريين اللذين يغمران حواس الآدمى ووعيه وذاكرته وتصوره وخياله فى حالى اليقظة والحلم .. وهذه السماء المقامية تلتمسها حواس الآدمى جريًا على مألوفه وأحكامه كمخلوق موجود بين شقى المكان والزمان دائمًا .. فى سجوده وركوعه وانتصابه وتقلب وجهه فى السماء المادية من حوله .. وقبلة الصلاة عند المسلمين قبلة مكانية يغلب عليها الالتزام بمادية الاتجاه إليها من أى مكان يوجد به المصلى أو المتوجه .. ولكن جوهرها هو قصد الكل والشعور الغامر بقصد الكل لوحدة الاتجاه إليها، وليس لإحكام التصويب الذى ليس له فى ذاته حدوث أو معنى .. لأن جوهرية ذلك القصد تكمن فى احتشادية المسلم فى توجهه إلى خالقه سبحانه وتعالى

بصلاةٍ ما، وليس فى الاسترشاد ببوصلة ولا بإرشاد مرشد إلى شرق وغرب أو شمال وجنوب .

- قال جميل بن مرة فى الزمان الأول، وقد عزت الصداقة :
- « لقد صحبت الناس أربعين سنة فما رأيتهم غفروا لى ذنبًا، ولا ستروا لى عيبًا، ولا حفظوا لى غيبًا، ولا أقالوا لى عثرةً، ولا رحموا لى عبرة، ولا قبلوا منى معذرة، ولا فكونى من أسرة، ولا جبروا منى كسرة، ولا بذلوا لى نصرة، ورأيت الشغل بهم تضييعًا للحياة، وتباعدًا من الله تعالى، وتجرعًا للغيظ مع الساعات، وتسليطًا للهوى فى الهنات بعد الهنات !! » .
- موت البدن فى عشرة أشياء : قلة الأدب، وكثرة الجهل، وشهوة البدن، وطلب الرئاسة، والميل إلى الدنيا، ومحاباة النفس عند الحق، والكبر والبغى!
- من كمال العقول، تقدير المعاش والمعاد، تقديرًا يضيف لكل منهما، ولا يغفل التوازن الواجب بينهما !

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(٢٨٩)

• ليس يسيرًا على البشر بعامة أن يتخلصوا من الانفصامية التى تؤدى بالحتم إلى السطحية وقشرية العقائد والمذاهب والمبادئ وتزايد الميل المبالغ فيه إلى المظاهر والمواكب والمناظر وتزيين الأمكنة والمزارات والأضرحة وتضخيم المعابد وما يجرى فيها من المواسم والأعياد والعظات والخطب والنشرات والمأثورات .. وما إلى ذلك من وسائل الإعلان والدعاية للفت الأنظار واجتذاب الأرجل والإصرار على ذلك وموالاته بحكم التخصص والاعتياد رغم اتضاح قلة جدواه . هذا لأننا لا نجد فى سواه ما هو أجدى منه .. إذ قلّ فيما يبدو اقتدارنا على الوصول إلى ما هو لازم لاستدامة الفهم وتنميته وتقويته، وهو رهبة النفس المستقيمة والإخلاص التام الذى لا يبالى بالمصالح والمنافع الشخصية .. وهذا اللازم نادر فى عصرنا والعصور القريبة من عصرنا ـ وربما يكون الناس قد استغنوا عنه بمن يصفونهم بالأذكياء أو أصحاب الألمعية أو النجابة أو النوابغ أو العباقرة .. وهذه كلها أحكام تصدر من العاديين ويتناقلها وينشرها العاديون بالمحاكاة والعدوى، لأن العاديين لا يستغنون عن وجود المشهورين بينهم ولا عن إحاطتهم بشىء يشبه التقديس والعبادة . وربما لمسنا فى هذا جانبًا من جماهيرية زماننا واعتماده على ما تختاره الجماهير مهما يشوب اختيارها من أوهام وأحلام وانخداع انصياع !

- الصداقة التى تدور بين الرغبة والرهبة، شديدة الاستحالة، وصاحبها من صاحبه فى غرور، والزلة فيها غير مأمونة، وكسرها غير مجبور !
- العاقل لا يشغله صارف عن أربع خصال :

ساعة يرفع فيها حاجته إلى ربه ..

وساعة يحاسب فيها نفسه ..

وساعة يفضى فيها إلى خلانه وثقاته عن عيوبه ..

وساعة يخلو فيها إلى نفسه، يحادثها وتحادثه، ويحرص على التصالح معها..

- كمال السؤال، فى التفرقة بعده بين الحق والباطل !

❁ ❁ ❁

- يبدو أن الميل إلى الاحتشاد والازدحام لدى الآدميين شىء غريزى .. وهو إذا وقع يتعطل فيه لدى المحتشدين المزدحمين ـ يتعطل فيه إلى حد بعيد الالتفات إلى القيم الإنسانية الأساسية، وتنشط فيه دوافع بدائية وحيوانية تتحرك فى اتجاه المنفعة أو المصلحة الفردية الشخصية لما يوافقها ويرضيها دون مبالاة بالاعتبارات السامية الأخلاقية أو الدينية أو الإنسانية التى لها مكانة ما بداخل المحتشد من قبل . والاحتشاد والازدحام فى الجماعات المتحضرة أو التى فى طريقها إلى التحضر ـ ظاهرة تكاد تكون مستمرة فى يقظة أغلب الناس بل وفى النوم لدى العامة .. وذلك من أزمنة طويلة .. واعتادها الآدميون وحسبوا حسابها فى تخطيط المدن وبناء الأماكن والمساكن والمعابد والملاهى والمتاجر والطرقات والميادين والمتنزهات والمصايف والمشاتى، وفى طرق النقل العام من قطارات وسيارات وطائرات، وفى المزارات والحج أو السياحة، والمواسم والأعياد الدينية والشعبية والوطنية .. فليس لنا أن نعجب مع هذا الاعتياد المستمر

على الاحتشاد والازدحام، من انصراف غالبية الناس إلى خارجهم غير المبالى بمقوّمات الداخل، وغير المبالى بضمير يجب الالتفات إلى قيم معانيه لا انتهاكها، وبعقائد دينية مفروض أن يؤمن بها ويلتزم بطاعته.. ولك أن تسأل ما قيمة تزاحم الآلاف فى الصلاة وفى الحج الذى يحتشد فيه الحجاج بالآلاف والملايين ـ إذا خلا هذا من وحدة الشعور التى تجمع بين المصلين والحجاج ؟!

- من أسس نفسه على الأوهام والأكاذيب، لا يكون لبنائه قوام !
- الملوك والحكام والأمراء، يُجِلُّون أنفسهم عن الصداقة، ويتعالون عليها، لذلك لا تصح لهم أحكامها، ولا يوفى لديهم بعهودها، وإنما تجرى أمورهم على القدرة والقهر والهوى والاستعلاء والاستخفاف !

ومن اللافت أن خدم الملوك كالملوك فى أمر الصداقة، لتشبههم بهم وانتسابهم لهم وولوعهم بديدن أسيادهم !!!

- على قلة أهل الدين والورع، فإن صداقاتهم خالصة، لأن قوامها التقوى، وغايتها مُثْلَى !

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٩٠)

• عالمنا الحالى محتبس فى قيود مصالحه المادية .. وهذه فى حاجة ماسة بحكم تركيبها إلى المواظبة على تغذية حماقات وأهواء بلايين من خفاف العقول والحمقى ونواتج الاعتياد الطويل المزمن على الاحتشاد والازدحام.. ونظمنا ومؤسساتنا الاقتصادية التى تبدو للأعين عملاقة جبارة وغاية فى الدقة والانتظام بفضل جيوشها من الفنيين والاقتصاديين والمحاسبين والمراقبين ـ هذه المؤسسات هشة فى واقعها وعرضة لما لا حد له من الاحتمالات .. لأنها أساسًا تعتمد على اطِّراد ثقة الجمهور وتقلباته وتأرجح حظه بين الاستقامة والرواج والأزمات المادية والأخلاقية .. والحضارة التى نعيشها الآن ليست بأى حال أو مقياس متينة الأسس، ولا يحميها من الاحتمالات السيئة أو المدمرة كثرة الناس ولا كثرة الأموال ولا كثرة المعدات والآلات ولا كثرة الوسائل والاختراعات والمعلومات والمهارات.. لأن هذه جميعًا عناصر خارجية تتوقف على إحسان أو إساءة الاستعمال .. ممكنة الخير أو الشر والنفع أو الأذى .. على نحو مقدار ما لدى الجماعة من غلبة اليقظة والثقة والصلابة والحرص على التمسك والتماسك، أو من انتشار الفتور والتخاذل والتهافت والتفاهات والأنانية وتبادل الكراهية وتصادم الأطماع الشخصية إلى حدوث الهلاك والإهلاك وضمور السعى والتماسك !

• إذا لجأت إلى الله، وإذا أردت أن تضرع إليه، فلا تسأله عن ثقة ببياض وجهك عنده، أو حسن فعالك معه، أو سوالف إحسانك على بابه ..

ولكن اسأله عن ثقة بكرمه الفياض، وطمعًا فى رحمته الواسعة، وعن توحيد لا يشوبه إشراك، ومعرفة تامة بربوبيته التى لا يخالطها إنكار..

• واجب على العاقل أن يتخذ مرآتين :

فى إحداهما ينظر فى مساوئ نفسه، فيتواضع ويصلح ما استطاع منها !

وينظر فى الأخرى محاسن الناس، فيعطيهم حقها، ويتخذ ما استطاع منها !

• من ورع الحصيف ألا يقول ما لا يعلم..

❁ ❁ ❁

• هل عواطفنا ومشاعرنا وأفكارنا وأفعالنا وتروكنا وجميع ما نسنده لأنفسنا هو حقيقة فى بدايته ونهايته وتوسطه من ثمار ذواتنا نحن ؟ أم هو مع ذواتنا ـ منحة صِرْف مُعطاة لنا مع الحياة وضمتها من ساعة وجودنا فى هذه الدنيا ؟! إذ لم نكن قبل ذلك موجودين على أى وجه لا ماديًا ولا معنويًا .. لا حقيقة ولا مشروعًا ولا أملاً، وإذا كان ذلك منحة من جهة أخرى سوانا ـ فلماذا نتجاهلها أغلب الوقت ؟ .. هل نحن بالفطرة والغريزة نخفى أو نتجاهل هذه الحقيقة لتكون أقدامنا فى الحياة أكثر ثباتًا وليكون تمسكنا بها أشد توثقًا وذلك بفضل الشعور بالذات المتأصل لدى كل منا .. هذا الشعور الطاغى الذى يلابس ويلازم كل ما نأتيه أو نتركه.. عن قصد أو غير قصد .. بوعى أو بلا وعى ؟ إن هذا إن صح ـ يجعل إحساسنا بهذه الحقيقة ضعيفًا مهزوزًا يبدو لخيالنا مصطنعًا متكلفًا.. معرضًا للنسيان أو للشك والاسترابة وعدم الإيمان، ويجعل تصورنا لعملية ومهمة الخلق ـ تصورًا مشوشًا فيه إبهام شديد، لا يجذب التفاتنا واهتمامنا، ويجعل أغلبنا فى حاجة دائمة إلى ما يذكرنا بهذه الحقيقة ..

وهـى حاجـة يزاحمهـا بـل يـسد طريقهـا ـ انـصرافنا إلى العنايـة بالـذات ومشاغلها ومطالبها ومخاوفها وآمالها وأمانيها !!

- لا يستقيم التوكل على الله، إلاَّ إذا لم ير العبد ناصرًا له غير الله، ولا رازقًا له غيره، ولا شاهدًا لعمله سواه ..
- هناك أمور لا تصلح إلاّ بأشياء :

لا ينفع العقـــل بغير ورع ..

ولا الحفـظ بغير عقـــــل..

ولا البطـش بغير قــوة قلب ..

ولا الجمـال بغير حــــلاوة ..

ولا الحسب والنسب بغير أدب ..

ولا السرور بغير تطامن واعتدال ..

ولا الغـــنى بغير جـــود ..

ولا المـــروءة بغير تواضـــع ..

ولا الاجتهـاد بغير توفيـــق ..

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(٢٩١)

• رسالات الأنبياء ليست من صنعهم، لأنهم أنبياء مبعوثون بمهمة، وليسوا مؤلفين ولا فلاسفة ولا حكماء ولا شعراء .. بمعنى أن رسالاتهم ليست من نتاج وحصيلة ذواتهم وعقولهم ومواهبهم كبقية البشر فيما يحسنون، وإنما هى أحوال مفاجئة تفاجئهم وليس فى إمكانهم ردها أو إهمالها أو تجاهلها .. مصدرها جهة عليا خيّرة جدًا ليس فى إمكانهم رؤيتها، وإنما يملؤهم الإيمان بها والاعتماد عليها .. يعنيها هداية البشر على هذه الأرض ـ أولاً وفى الدرجة الأولى .. ولذا كانت رسالات الأنبياء وصايا وأصولاً وقواعد وإرشادات وتوجيهات للآدميين ليطبقوها ويتبعوها، كل منهم فى الأجل المتاح له فى هذه الدنيا.. مصحوبة بغرض الإقناع والاقتناع بأخبار وأحداث ووقائع تناقلتها الجماعات البشرية عبر الأجيال، وبوعود سارة أبدية لمن يهتدى، ووعيد بأذى مخيف دائم لمن لا يهتدى . ومصداقية رسالة النبى ـ أى نبى ـ تتركز أولاً فى عمق إيمانه هو بها، وإصراره على إبلاغها، ثم على مبلغ نجاحه فى دخول الآدميين فيها وإيمانهم بها وبه .. على قدر طاقتهم بصفة عامة وطاقة كل منهم بصفة خاصة .. وهذا معمعان يزدحم بآلاف العوامل والاعتبارات التى تحرك البشر وتسوقهم، ومن أهمها ولادة الإنسان فى محيط يدين بعقيدة معينة، وإحاطته بالجو الإيحائى التلقينى المختلط بالأساطير الذى يسود الطفولة والصغر ـ على أيدى النساء والأتباع الذى يترخص فيه الرجال .

• لا تعارض بين التوكل على الله، وبين السعى باتخاذ الأسباب .. التوكل محله القلب، والحركة بالسعى فى الظاهر لاتخاذ الأسباب لا تناقض ما استقر فى القلب من توكل وإيمان .

• من أدلة ضياع العقل، أن يتبطر على نعمة يستعظمها، أو يستصغر من واقع الدنيا شيئًا فيتهاون فيه، أو يحتقر من الإثم شيئًا فيجترئ عليه !

• ثلاثة لا يُعرفون إلاّ فى مواطن :

لا يعرف الحليم إلاّ عند الغضب .

ولا الشجاع إلاّ فى الحرب إذا لقى الأقران ..

ولا أخوك إلاّ عند حاجتك إليه ..

❁ ❁ ❁

• لا يعرف الأحياء من غير الآدميين الجمع الفردى للأقوات والمنافع .. فليس فى أفرادها فرد غنى أو آخر فقير بالنظر إلى ما يجمعه ويحوزه، أو لا يجمعه ولا يحوزه من هذه الأقوات والمنافع، أو ما يماثل ذلك بحيث يتيسر تحويله إلى أقوات ومنافع . ولذا لم يوجد قط بين أفراد الكائنات الأخرى بيع أو شراء، ولا إقراض واقتراض، ولا ملكية فردية ولا نظام اقتصادى اشتراكى أو حر متروك لحركة السوق وحريتها .. وقد نجت تلك الأجناس والأنواع من هذه الزاوية من تسعة أعشار هموم الآدميين الذين يموتون جوعًا متى توقفت البيوعات والأسواق وأفلست التجارات والمصارف وأغلقت المنشآت والمصانع وانهارت العملات وفقدت قيمتها ومعناها بالانهيار العام فى الاقتصاد !

• للتوكل مقامات روحية ..

أولها التوكـــل على الله ..

وثانيها التسليم بما يقدره الله ..

وثالثها تفويض الأمور إلى الله ..

- كثر المدعون، وقَلّ الصادقون ..

الذين يدعون المحبة لله وفى الله ـ كثيرون .

ولكن الصادقين منهم ـ قليلون .

- الحصيف يوقر من هو أكبر منه، ويلين لمن هو دونه أو أصغر منه، ويحسن مؤاتاة أكفائه !

- فى قوله تعالى : « إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ » (ص ٤٤) ـ قيل إن الصابر يسهل عليه البلاء، والعبد الموصوف بالصبر فى آية القرآن كان قانعًا بالصبر فى وجدانه عن رؤية الأغيار .

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(٢٩٢)

• لا بد للآدمى ـ فيما يبدو ـ من ممارسة أطماعه وآماله على نحو أو آخر .. أو على الأقل أن يشعر أن فى إمكانه أن يمارسها لو أراد .. بشرط أن يتحمل مخاطرها وأحيانًا أهوالها .. وأنه فى عدم ممارستها إنما يستسلم فقط لحكمه الشخصى ولظروفه الخاصة ولما يظن أنه العقل والفطنة والسلامة .. ولتفضيله البعد عن الفشل والخيبة والهزيمة والحقد والحسد والصراع مع الآخرين، وخسارة ما هو معه والافتقار والحاجة والضياع . والغريب فى أمره أنه إذا حالت قوة أجنبية عنه دون هذه الممارسة، يتيقظ حرصه عليها، وتشتد رغبته فيها، ويختفى عن نظره ما يحيط بها من احتمالات ومخاوف ـ فلا يعود يرى إلاّ أنه محروم من هذه النفحة التى لا يطيق العيش بدونها !! وكأنه يرى بعين فطرته وليس بعين وعيه، خطورة كبت أطماع وآمال الأفراد وإشعارهم بكبتها ـ على نموهم العقلى والنفسى، وما فى هذا الكبت من إعاقة لتطورهم ولفرص استخدامهم للاستعدادات الهائلة التى زودهم بها خالقهم عزّ وجل.

• قال حكيم من الزمن الأول :

إنما جعلت الدنيا مرآة للآخرة ..

فمن نظر فيها للآخرة نجـــا ..

• أصل العقل التثبت، وثمرته السلامة .

وأصل الورع القناعة، وثمرته الظفر .

وأصل التوفيق العمل، وثمرته النجاح .

• للشيطان أرض ومثوى ومجالات..لا أرض للشيطان إلاَّ فى جهل فاش، وعلم متروك .. ولا مجال له إلاّ بين أهل الحقد والقساوة .. ومثواه فى أهل الحمق والغضب .. وعيشه فى تنافر القلوب، ورجاؤه فى الإصرار على الذنوب !

• أشد الجهاد جهاد الهوى .. من منع نفسه هواها فقد استراح من الدنيا وبلائها، وكان محفوظًا ومعافى من أذاها .

❁ ❁ ❁

• إبان موجات الأزمات، تعلو أصوات من ينادون بالعودة إلى بساطة القدماء واستقامتهم .. كأن أولئك لم يعرفوا إلا البساطة والاستقامة . وكأن بساطتهم واستقامتهم قد اغتيلتا اغتيالاً وحرمت منهما البشرية، وكأن زوالهما المزعوم لم يكن ضمن حركة الحياة فى الكون .. هذه الحركة الدائبة الدائمة التى لا تتوقف قط لأجل البسطاء المستقيمين أو لأجل غيرهم .. ولا ترجع إلى الخلف أو الوراء إلاّ لردة فيها نوع محافظة على صور من الحياة لا يصونها إلاّ هذه الردة . تلك الأصوات التى تعلو بالرجوع إلى ما كان عليه القدماء من بساطة واستقامة مزعومتين أقرب ما تكون إلى الأمغاص التى تعبر كغيرها عن الأوجاع من الضيق والخوف وما يصحبهما من ألم وحيرة وفقدان ثقة بالنفس وبقدرتها على علاج متاعبها، أو الثبات فى مواجهة أزماتها ونكباتها ـ ولا تجد أمامها إلاّ الاختصار والاختزال والانكماش والحمية والصيام باعتقاد أنها بذلك النقص تسترد الصحة والعافية، مع أنه لا يزيدها إلاّ ضعفًا ومزيدًا من الإشراف على الهلاك .. ومزيدًا من الابتعاد عن الشفاء بإقصائها عن زمانها وقطع صلاتها بعصرها، فتؤخر الإنقاذ وتجعله غالى الثمن فادح التضحية والخسارة من جهة الأرواح والأموال !

- قال بعض الصوفية :

من اختار الآخرة على الدنيا :

يغلب صمتُهُ كلامه ..

وفقـرُهُ غنـــــاه ..

وهمُّــــه ســـروره ..

وســـره قربـــــه ..

فتصير نفسه مقيدة بقيد الخدمة، وقلبه أسيرًا لخوف الفرقة ؛ وسره مستأنسًا بأنس الصحبـــة .

- لا تصح صداقة الكُتَّاب وأهل العلم، إلاّ إذا خلت من التحاسد والتنافس والتمارى والتماحك .. وذلك للأسف قليل !!
- أحسن الخلق الإنابة إلى الله تعالى، فقد تجيء الإنابة من قبل كامل المعرفة.

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٩٣)

• ما تزال الجماعات البشرية - أكثر ميلاً وإنصاتًا لأدعياء الطب ووصفاتهم، وأكثر شكًا وأقل ثقةً بالأطباء والصيادلة المعترف بعلمهم وفنهم وتخصصهم وعلاجاتهم .. لأن الجماعات البشرية ما تزال بعامة - متعلقة بما هو غيبى اعتقادى سريع التأثير قريب النتائج .. يسمح لكل آدمى بأن يتدخل بما لديه من خبرة يزعمها - فى النصيحة والعلاج اللازم لأية علّة .. وكلنا يشاهد شيئًا يشبه هذا - فى محاولات علاج علل الجماعات التى توصف أحيانًا بأنها مشاكل اقتصادية وسياسية واجتماعية، وتوصف أحيانًا بأنها أزمات وفتن .. وفيها وعليها تتزاحم الأفراد والآراء والتعليقات ممن يعرفون حقًا وممن يدعون من الأدعياء والمغرضين والانتهازيين وطالبى الشهرة .

• اتباع الإنسان لعادته ليس إيمانًا أو اعتقادًا ولا هو من قبيل الإيمان أو الاعتقاد، وإنما هو فى حقيقته وأصله توفير فى بذل الطاقة المتعمدة المصحوبة بالتركيز المجهد، والاستعاضة عنها بنوع من المجهود الآلى غير المجهد !

• فى تعريف الإسلام وكيف يكون، قال رسول الله ﷺ : « أن يسلم لله قلبك . وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك » .. وفى القرآن المجيد :
« وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ » (النساء ١٢٥)

• التوكل اعتصامٌ بالله تعالى فى اتباع أوامره ..

واعتصامٌ بالله تعالى فى اجتناب نواهيه ..
هو الاعتصام بالله تعالى فى الحركـــة ..
وهو الاعتصام به فِى النتائج .. أى السكون إليه فى كل ذلك مع السكينة .. فمن يتوكل على الله، فهو حسبه وكافيه ..
والله تعالى يحب المتوكلين .

- الحصيف لا يجارى هواه فى مُحال ..
ولا يجارى الكره فيما لا محالة كائـــن !

❁ ❁ ❁

- إذا كان انتشار الآدمى العادى وكثرته يجعلان تغيير سلوكه وأعرافه وعاداته أمرًا ليس هينًا، فقد أصبح ذلك أقل صعوبة عما كان من قبل بكثير .. وذلك بفضل اليسر غير العادى فى الاتصالات والمواصلات العامة الذى حققته التكنولوجيا الحديثة وتطوير الصحافة وسرعة وسائل الإعلام، فتقاربت بذلك المسافات بين العاديين من الناس وبين الخاصة من المترفين وأهل البطر والشقاق وامتهان الأخلاق وعدم المبالاة بالقيم. وصار انتقال العدوى إلى الآدمى من هؤلاء أسرع وأوسع، كما صار منعه أشق وأكثر صعوبة، وعلاجه يكاد يكون متعذرًا أو بالغ الصعوبة !
- رؤية البشر للأمور، أيًا كانت اتجاهاتها، مصدرها الرئيسى الموافقة والنقل والاستنتاج، وهذه المصادر الثلاثة تتم عادة لدى السواد الأعظم بمراعاة قانون أقل مجهود، وبأدنى قدر من العناء الذى يكفل الدقة والحرص على الضبط والإحكام . وفى ذلك كله يتدخل العرف والاعتياد العام إلى حد كبير، كما تُصاغ على أساسها أصول الآداب وقواعد وسنن الأخلاق وقدر كبير من أنماط السلوك وتعاليم الخير ووجوهه، وما يقابل ذلك مما يوصف بالفساد والضلال والشر.

- من أقوال ابن سينا :

زهد العارف، تنزه عما يشغل سر العابد عن الحق،
وتكبر عن كل شىء غير الحق !

- من أقوال سلطان العارفين أبى زيد البسطامى :

من الزاهدين من إذا رأيته هبته، وإذا فارقته قد يهون عليك أمره ..
والعارف إذا رأيته هبته، وإذا فارقته هبته !

- من نظر إلى الناس بعين العلم مقتهم ؛
ومن نظر إليهم بعين الحقيقة عذرهم !

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٩٤)

• رؤية الآدمى لما يواقعه أو ينقله أو يستنتجه مما يتعلق بنفسه أو بمحيطه ـ تكاد تكون خالية تمامًا من الأصالة، أو الإبداع . لكنها تصبح رؤيته هو. المنتمية إلى ذاته، والمتصلة بشخصه، متى قطعها من مصدرها الخارجى وربطها بأنانيته واختلطت برصيدها المصون الذى يجب عليه عاطفيًا أن يخف لحمايته والدفاع عنه، وأن يُسَرّ ويفرح لانتصاره وإكباره . وهذا يحدث كلما ترك الآدمى نفسه ينساق فكرًا وسلوكًا مع رؤية حقيقية لها أصدقاء انضم إليهم سرًا أو سرًا وعلانية، وخصوم خاصمهم سرًا أو سرًا وعلانية، وصارت بذلك جزءًا من حياته هو فى زمن ما من أزمانها ومراحلها .

قال حكيم من الزمن الأول :

للعبد ثلاثة أحوال :

حالة لم يكن فيها شيئًا، وهى ما قبل أن يوجد .

وحالة من ساعة موته إلى ما لا نهاية له فى البقاء السرمدى .

وحالة بين الحالتين : ما بعد وجوده وما قبل موته .. هى أيام حياته، وهى أقل من طرفة عين فى عمر الدنيا، وعلى عمله فيها يسكن إحدى الدارين .

قال رسول القرآن ﷺ : « ما لى وللدنيا، وإنما مثلى ومثل الدنيا كراكب خالٍ فى ظل شجرة ثم راح وتركها » .

• من أقوال البسطامى سلطان العارفين :

أمل الزاهد فى الدنيا الكرامات، وفى الآخرة المقامات ..

وأمل العارف فى الدنيا بقاء الإيمان معه، وفى الآخرة العفو .

• إذا شغلتك عدة أمور، فابدأ بأعظمها خطرًا، فإن لم يكن فبأقربها منالاً، فإذا اشتبه عليك الأمر فأجدرها ما لا يكون له مرجوع حتى تولى فرصتُهُ !

• زهد العارف من سمو نفسه عن كل ما يشغله عن الله، وترفع عن الدنيا تلك التى لا تساوى عند الله جناح بعوضة .

❁ ❁ ❁

• اعتقاد الآدمى بجهة غيبية تقدم له العون والمساعدة ـ يؤدى إلى اعتياد عقله على ترك الأمر لهذه الجهة، ويتسع مجال انسحاب العقل وتراجعه باتساع الاعتياد على هذا الاعتقاد الذى يمتد وينتشر عرضًا وطولاً ـ مع الاستمرار فى الاعتياد .. فيصير نصيب العقل فى توجيه سلوك صاحبه ضئيلاً، وتمسى فرصة ترقيه وتطويره محدودة .. وهذا حال البدائيين والمتخلفين الذين تنقسم عقولهم ونفوسهم ـ انقسامًا شديدًا حادًا لا يقبل الالتئام والتفاعل والتداخل بين المعتقدات والمصدقات الموروثة المستحكمة غير القابلة للتطوير، وبين أفعال وتصرفات الحياة اليومية التى يباشرها الآدمى أو يمتنع عنها حسب الفائدة العاجلة أو الضرر العاجل ـ بلا دخل فى ذلك للعقائد وأحكامها وموافقتها من عدمه لحياة الإنسان كإنسان يشكل وحدة مكونة من عقل ونفس وجسد .. وحدة متعاونة متسقة قابلة للتطور والتقدم والإمساك بكل ما تستطيع الإمساك به مما هو خير وحسن ومعقول ونافع، ونشدان كل ما يتمنى العاقل من ذلك ومن السعى الجاد فى سبيل تحقيقه حسب ظروفه وزمانه . إذ قلما تتيح مثل تلك المعتقدات والمصدقات الموروثة العاجزة عن التطور ـ فرصة لعقل صاحبها وعواطفه للنمو كإنسان سوى فكريًا وعاطفيًا صالحًا للتآخى والعيش مع غيره من

الآدميين ينفعهم وينتفع هو بهم ومنهم، ويرتقى معهم ويرتقون هم معه فى حدود إمكاناته وإمكاناتهم .

- كم من طالب رشد وجده والغَىَّ معًا، فاختار الذى منه هرب، وأعطى ظهره إلى الذى إليه سعى!!!
- كلام اللبيب أدب موفور ..
ومقارفة الإثم مصيبة ثقيلة ..
ولقاء الإخوان غُنم حسن ..
- ذكر الله، فكر باللسان، وذكر بالقلب، وذكر بالروح .. وأكمل الذكر ما اجتمعت فيه الثلاثة .. فإذا ذكر العبد ربه حقيقة ذكره، قام له المذكور بالذكر وكان له عوضًا عن كل ذكر .
- على قدر افتقار العبد إلى الله، يكون غناه بالله فى كل شىء .

❋ ❋ ❋

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٩٥)

• ليس لدى البشر ـ فيما عدا الإيمان الصحيح ـ إلا وسائل وقتية لنسيان ذلك الغموض الكامن المحيط بحياتهم وعالمهم ومصيرهم منذ الأزل، وليس معهم من العقل والفهم ما يرفع ذلك الغموض المزعج الذى يهرب منه وعى الآدمى ولا يطيق وحده الصبر على مواجهته والتحديق فيه . إن وعى الآدمى بكثافة وجسامة ذلك الغموض الذى لا مفر منه، فرع على ما وهب من عقل قابل للنمو والاتساع، وهذا ضمن ما يميزه على سواه من الأحياء التى تعيش على هذه الأرض .. وقد قابل ذلك فيما يبدو لنا ـ استعداد الإنسان فى كل عصر للاعتقاد بغيبيات اعتقادًا يتفق مع فهمه وفهم عصره للغيب والغيبيات . وفى عصرنا لم تعد الطاقة الكهرومغناطيسية أو النووية من الغيبيات، رغم أعاجيب الآلات والأدوات والنتائج التى تدين بوجودها لهذه الطاقة أو تلك، ورغم جهل البشر لحقيقة هذه الطاقة أو غيرها . نحن فى دنيا الغموض ـ لابد أن نحلم إلى أن نعرف ونعقل ما عرفناه، ونستنفد الانتفاع به ونبنى فوقه أحلامًا جديدة، ثم تطمس زيادة المعرفة لدينا تلك الأحلام وتقيم رؤى أخرى وهكذا، علمًا بأن العلم ليس له حد يمكن أن نصل إليه نحن المحدودين الذين يتداولون أطوار الأحلام والمعرفة فى جو الغموض الكثيف الذى لا ينتهى برغم انتهاء آجالنا !!

• لم يحيا الإنسان قط منذ خلق ـ حياة واضحة لوعيه تمام الوضوح، وهو لا يتصور الحياة الخالية من الغموض قط، بل لا يتصور إمكان وجود حياة واضحة تمامًا يحياها آدمى .. لأن وضوحها التام ربما أبطل معنى الماضى والمستقبل ومعنى الأنا والأنت والآخر وأبطل اختلاف بعضنا عن بعض وربما أبطل الذات وفردية الفرد وهويته !!

• لا يكتمل عمل من لا يعمل من الخير إلا ما يشتهيه، ولا يترك من الشر إلا ما يكرهه !!

• من يؤثر الناس بالخير، يؤثرونه بالوفاء والمحبة ! إلا الجَحُود الناكر !

❀ ❀ ❀

• ما أشد جهل الآدمى ـ بنفسه وذاته وجسمه وعقله ويقظته ونومه وضحكه وبكائه وحبه وكرهه ورضاه وسخطه، وجهله بماضيه وحاضره وقابله، وبعالمه الأرضى قريبه وبعيده ظاهره وباطنه، وبعالمه الكونى المشاهد وغير المشاهد وبما وراء ذلك من الأكوان، وما أفدح جهله بخالق ذلك كله ومبدعه ومداول ما يجرى فيه منذ الأزل .. من وجود وعدم وظهور وخفاء وكبر وصغر واتصال وانفصال وزيادة ونقص واتفاق واختلاف ـ حسبما فى وسع الآدميين أن يتصوروه ويعبروا عنه ـ فى جهلهم !

• نسبية المعرفة البشرية على اتساعها وتسيدها الآن، ليست إلا فرعًا على أن الآدمى يولد جاهلاً جهلاً تامًا مصحوبًا باستعدادات تمكنه من المعرفة والتعلم بمرور الوقت وحصول الاحتكاك والاختلاط .. معرفة وتعلمًا نافعين لحياته حسب مطالبها وظروفها كما أسلفنا .. قابلين للزيادة فى السعة والدقة إذا تهيأت لهما الأسباب .

• قال بعض الحكماء من الزمن الأول :

تصبروا، فإنما هى أيام قلائل .

وإنما أنتم ركب يوشك أن يُدْعى أحدكم فيجيب ولا يلتفت ..

وإنه قد نُعِيَتْ إليكم أنفسكم ..

والموت مصير لا بد منه، وإن ربك بالمرصاد ..

وإنما تخرج هذه النفوس على آخر ما جاء بسورة الواقعة ..

قال تعالى : « فَلَوْلاَ إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إليهِ مِنكُمْ وَلَكِن لا تُبْصِرُونَ * فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ * وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ أَصْحَابِ اليمِينِ * فَسَلامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ اليمِينِ * وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالينَ * فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ اليقِينِ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ »

(الواقعة ٨٣-٩٦)

• الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا !

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(٢٩٦)

• التركيبة أو الميكانيزم التى يعرف بها الإنسان ويتعرف على ما معه وعلى ما نسميه بالأشياء وبالمعانى ـ تركيبةٌ خاصة به كآدمى .. لا يشاركه فيها غيره من الأحياء أو الجمادات .. وهى تركيبة فى ناحيتها الموضوعية أو التكنولوجية ـ ناجحة محققة لأغراض البشر منها، لكنها بالتأكيد ليست التركيبة الأزلية، وليست أصح وأدق وأضبط التركيبات الممكنة الأخرى المتصور بناؤها على أسس أخرى مختلفة عن الأسس الضرورية لفهمنا نحن البشر وعقلنا وشعورنا . إن ما يعتبره الآدمى صحيحًا يساير لحد من الحدود ما هو أزلى، لكن لا يوجد ما يجعلنا نجزم بأن هذه المسايرة نفسها أزلية أبدية .

• يبدو أن الاحتياج الدفين الكامن المستمر إلى العزاء والمواساة، قابع وراء حاجتنا التى لا تنقطع إلى التدين والتصور الدينى للأمور . لا سبيل أمامنا إلى التخلى أو إلى تجاهل احتياجنا للعزاء والمواساة بالاعتياد على التفلسف، وهو ما ليس فى مقدور أغلبية البشر ـ أو الاعتياد على عدم الإحساس وتجاهل جراح الذات وهزائمها، وهو أيضًا ما ليس فى استطاعة معظمنا حتى مع استعانة من يستعينون بالكحول أو المخدرات !

• من أفضل البر :

الحلم فى الغضب ..

والجود فى العسرة ..

والعفو عند المقدرة ..

• من حصافة العقل أن يحسن المعيشة فيما أوتيه من خير .. وألا يكترث من الشر بما لم يصبه أو ينال منه !!

• لا يخيب من يؤمن بشىء، وإنما تأتى الخيبة المحققة إلى من لا يؤمن بأى شىء !

❁ ❁ ❁

• جهل الآدمى دائمًا مرحلى ونسبى، وإن كانت بدايته لكل فرد تبدأ من الصفر الذى هو صفر وقتى سرعان ما يفتح فاه ثم جوفه الملىء بالاستعدادات لتلقى ألوان المعرفة التى تلائم تركيبه، فيستوعب إراديًا وغير إرادى أخلاطًا من المعارف .. فيها المؤقت والنهائى والمتأنى المرتب، وفيها السريع المختطف، وفيها ما يصلح ليومه وغده القريبين، وفيها ما تشتغل به آماله وخياله، أو ما يحرك هواجسه ومخاوفه من قريب أو بعيد، وفيها ما يتعلق بالماضى الذى سبق مولده ومولد آبائه، ومنها ما يتعلق بالمستقبل بما فى ذلك المستقبل البعيد الذى يجىء بعد فنائه هو وأولاده . وهو يجمع أراد أو لم يرد، يجمع المعارف المتداولة فى محيطه بطريقته هو دون أن يتقيد أو يتكلف التدقيق والانضباط، بل دون أن يستعد للفرص والإمكانات . ولا يبالى فيما يجمع ويحرز ويحوز ـ لا يبالى بالتداخل واللبس والخطأ وقلة الأمانة وضعف السند .. وقد يعيش البشر لمئات بل لآلاف السنين ـ على تصورات وافتراضات ومصدقات تمتزج بحياتهم وتختلط بعاداتهم وأعرافهم .. يتوارثونها ويحافظون عليها ويبنون من أجلها المعابد والمشاهد، وينفقون الأموال الطائلة ويرصدون لها السدنة والكهنة المتخصصين .

- من علامات اللئيم المخادع :
أن يكون حسن القول، سيئ الفعل ..
مداريًا الغضب، قريب الحسـد ..
حمولاً للفحش، مليئًا بالحقد، متكلفًا للجود والكرم !!
- من كمال العلم، أن تعلم بأنك لا تعلم بما لا تعلم !
- من اختار الدنيا على الآخرة ..
غَلَب جهلُهُ علْمَه ..
وفضولُهُ ذكرَه ..
وعصيانُه طاعتَه !
- العابد الصادق يرى منَّة الله عليه فى العبادة أكثر من العبادة حتى تغرق عبادته فى المنّة .

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٩٧)

• القرب والبعد كلاهما نسبى يختلف من ظرف إلى آخر، ومن نظرة إلى أخرى .. فما يعد قريبًا فى حال أو حين أو ظرف ما، قد يعتبر بعيدًا فى حين أو ظرف حال آخر .. والعكس . ولكن القرب والبعد اللذين أعنيهما بالنسبة للآدمى، هما القرب أو البعد المادى بالمقياس الحسى - ولا مجال للقرب أو البعد إلى الآدمى إلا بالنسبة للحى، لأن القرب والبعد وصف لعلاقة شخصية ما بين آدمى حى وبين ما يوصف بأنه قريب منه أو بعيد عنه .. فالقريب إلى الآدمى الحى هو القريب منه حسيًا .. مكانًا أو زمانًا، وكذلك البعيد عنه .. أما من فارق الحياة، أو ما انصرم من حوادث الماضى، أو متوقعات المستقبل، فإن القرب أو البعد لا ينسب إلى أى منهما إلا على سبيل المجاز .. فصفحة حياة الآدمى تنطوى برحيله عن الدنيا، وما حدث وانصرم فى الماضى لم يكن محل مشاهدة عينية من الحاضر، أما المستقبل فمن المحال أن يكون محلاً لمشاهدة يعاينها أحد قبل حدوثها .. لذلك فإن القرب أو البعد بالنسبة لمن فارق الحياة، أو انصرم من الحوادث، أو متوقعات وحوادث المستقبل، لا يكون إلاَّ إضافة مجازية لمعنى القرب أو البعد .. تستعمل باطِّراد فى التعبير عن الآراء والأفكار والتصورات والنظريات والعلوم والآداب والفنون .

• مع التسليم بقيمة عقل الآدمى ودوره الفذ فى ترقية حضارته العجيبة، يجب التسليم بأن حياة الإنسان لا يزال يكتنفها غموض هائل، ولا يزال

هذا الغموض يسودها إلى مستقبل غير قريب ـ وأن الإنسان ملزم بأن يعيش هذا الغموض ويواجهه بشتى الطرق التى ليس فيها لعقله إلا مكان محدود شديد الضآلة .. فهو على انتمائه لأحد الأديان، ضعيف الإيمان الحقيقى بالله، ولا يصدر فى سلوكه وأفعاله وتصرفاته عن معرفةٍ وتصديقٍ بالله مدركٍ لوحدانيته سبحانه وقدرته، وهو فيما يعيش فيه من غموض لا يؤدى فيه العقل دوره، لا يعرف بالضبط ما يجرى داخل جسده ولا ما يدور فى وجدانه، ولا ما يتعرض له من مفاجآت فى مجتمعه الضخم أو فى المجتمعات الأخرى التى كثيرًا ما تهدد مجتمعه إذا اختلت فيها الأمور.

❁ ❁ ❁

• ما يجرى داخلنا على قربه الشديد منّا مكانًا وزمانًا ـ ليس واضحًا لوعينا، ولا هو موضوع مباشر لإدراكنا .. ذلك لأنه بطبيعته غير مزود بصور ذهنية مصدرها حواسنا العاملة مع المحيط الخارجى.. وما نشعر به داخلنا غير الانفعالات والعواطف مما نسميه الآلام والاضطرابات وأنواع العجز، أو ما نسميه بالعافية والراحة والاتزان .. هذا كله لا يفارقه الغموض قط، ويصعب علينا تذكره إذا فارقناه . وقرب الجنين مثلاً فى بطن حاملته تحس به الأم الحامل إحساسًا قويًا خاصًا بها، لكنها لا تستطيع أن تصفه، ولا يشاركها فيه أحد . لأن أحداثه وتطوراته لا تمر على ذاكرتها الواعية قط بعد انتهاء حملها أو قبله إلا بقدر ما تمر عليها هى طوارئ الألم وإطّراد العافية .. وفى الأحلام : قد تترجم المخيلة خلال نوم الوعى بعض ما يجرى داخلنا من ذلك إلى صور قريبة غير معقولة أو مفهومة .. مدفوعة بضغط إحساسنا هذا الغامض الذى أشرنا إليه .

• الآدمى يحب الإطراء لأنه يحب ذاته ولا يشبع من مرضاة نفسه لأنها وقود حياته .. وليس كل الناس سواء فى كبح جماح هذه الرغبة وإبعادها

عن الغلو والمبالغة، ومحاولة الالتفات المعقول لمرضاة الآخرين واحترام ما تواضعوا عليه من العدل والبر فى وسطهم وظروفهم . أما التجرد التام من مرضاة « الذات » فأمنية بعيدة المنال !

- العبادة عند غير العارف « معاملة مــا » ..
  كأنه يعمل فى الدنيا طلبًا للأجر فى الآخرة .
  وعبادة العارف عبادة من لا ينشد غير الله تعالى،
  لا ينتظر عليها أجــرًا ولا ثوابًـــا ..
- العارف همه ما يأملـــه ..
  والجاهل همه ما يأكلـــه ..
- طوبى لمن عرف أنه مسافرٌ .. وإنما إلى ربـــه !

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
و حديث الخاطر

(٢٩٨)

• لو تأملنا للاحظنا أن قرب الآدمى من سواه لا ينطوى فقط على محض الاقتراب من شخص أو شىء مادى أو إمكان الوصول إليه، وإنما ينطوى أيضًا على مضمون عاطفى هام جدًا فى حياة البشر .. هذا المضمون هو تقرير وإقرار صلة محبة وود من جانب الآدمى لغيره أو من جانب الغير إليه، أو إيجاد أو إنشاء صلة تبعية يصحبها ولاء من جانبه للغير أو من جانب الغير إليه . وهذه وتلك أساسها اعتقاد واعتياد وسلوك، وثباتها على ذلك مع متانة الاعتقاد واطّراد السلوك وبقاء الاعتياد . وقد يتزعزع الثبات كما قد يتغير السلوك والاعتياد تبعًا لتغير الأحوال داخلنا وخارجنا .. وهذا فى طبعنا أو ناموسنا لا مفر منه، قد نوفق إلى تلطيفه فقط، ولكن يستحيل علينا إيقافه كلية مهما تكلفنا وتعمدنا وبذلنا من الإرادة والتصميم والصبر والمثابرة !

• البعد ليس بالضبط عكس القرب .. لأن عواطفنا الطبيعية لا تنشغل ودًّا ونقصًا وأملاً وخوفًا بالبعيد النائى مكانًا أو زمانًا. فهذا البعيد يكاد يرادف فى نظرنا المعدوم أو غير الموجود، ولا بد من قدر من الاقتراب لكى تتحرك عواطفنا وتشعر بما تحبه وتقبله أو تبغضه وتخافه وتحاول إبعاده ما استطاعت !

• فى قوله : « مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عليه » (الأحزاب٢٣) ـ قالوا : هو أن يترك الصادق إرادته لإرادة الله، واختيارَه

لاختيارِه، وتدبيرَه لتدبيرِه، حتى يرى من قلبه ونفسه وجميع جوارحه أنه لا يريد إلا ما أراد الله .

- لأن النسيان آفة حاضرة، وقد تصاحبه الغفلة، فإن الحصيف من يحفظ صواب ما يصادفه إلى حين الحاجة إليه !
- فى الجزاء تثبيت للمحسن، وعلاج للمسىء !
- لا غناء للعقل والمعرفة، عن التوفيق .

❁ ❁ ❁

- لا تخلو حياة الآدمى، مهما كان انتباهه وتيقظه وتدبيره وحرصه واحتياطه، من دور قليل أو غير قليل، للمصادفات فى حياته .. تأتى أو تأتيه على غير موعد ولا توقع، يحمل بعضها رياحًا طيبة، قيل فيها بالأمثال:

« يا محاسن الصدف » .. « رب صدفة خير من ألف ميعاد » .. ويحمل بعضها نُذُرًا غير طيبة، وهذه وتلك تلعب فى حياة الآدمى دورًا إيجابيًا أو سلبيًا، وقد يخرج بعضها عن نطاق القدرة الفاعلة على التعامل معها، فتلقى برياحها الطيبة أو غير الطيبة على الحاضر وربما على المستقبل .

- رأيت على مدار سنوات طويلة، غير قليل من الأسوياء الذين التزموا الجد والاستقامة والحرص والتدبير والحذر والاحتياط، ومع ذلك دهمتهم مصادفات من فعل المقادير دفعت بهم دفعًا، على غير إرادة معدودة منهم ـ إلى مواطن الخطأ أو الزلل .. درجنا فى علم النفس، وفى علم الإجرام إذا دخل الخطأ فى حومة الجريمة ـ على أن نطلق عليهم مخطئى الصدفة، أو مجرمى الصدفة بحسب نوع وقدر الزلل !

- تموت القلوب بعشرة أشياء ..

أولهـــا : تقول عرفنا الله، ولا تؤدى حقه !

ثانيهـــا : وتقرأ كتاب الله، ولا تعمل به !

ثالثهـــا : وتدعى حب رسول الله ﷺ، وتترك سنته !

رابعهـــا : وتدعى عداوة الشيطان، وتوافقه وتنقاد له !

خامسها : وتحب الجنة، ولا تعمل لها !

سادسها : وتخاف النار، وترهن أنفسها بها !

سابعهـــا : وتقول إن الموت حق، ولا تستعد له !

ثامنهـــا : تشتغل بعيوب الناس، وتنبذ عيوبها !

تاسعهـــا : وتأكل نعمة ربها، ولا تشكره !

عاشرهـــا : وتدفن موتاها، ولا تعتبر بهم .

- لا نفع إلا بالمودة والنصيحة، ولا مودة إلا مع الرأى والعفاف !

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر
(٢٩٩)

• حياة الآدمى مهما بلغ لديه الحدس، أو ملكة التوقع، مليئة باحتمالات، وأزمة المصادفة، أيًّا كانت، أنها تأتى أو تداهم على غير توقع، والتوقع هو الذى يهيئ الاستعداد والتأهب وإجراء الحسابات واتخاذ التدابير، بينما المفاجأة التى تصاحب المصادفات، لا تتيح لمتلقيها شيئًا من ذلك فيُؤخذ على غرة .. وليست المصادفات كلها من نوع واحد أو على وتيرة ما يتغنى به المطربون : « كان يوم حبك أجمل صدفة، يوم ما قابلتك مرة صدفة » .. فهناك مصادفات مُرة، وهناك منها ما يبلغ حدّ الفواجع .. والحوادث بعامة تأتى على غير اتفاق وبغير تنبيه سابق، فيشب الحريق فجأة، أو تنحرف السيارة فجأة، أو يداهم التسمم بغتة، أو ينهار العقار الجديد بلا مقدمات !

• إننا نحتاج إلى المعرفة فى كل عصر لنتخلص فيها وبها من الحيرة والقلق والشك .. وإذا تصاعدت هذه الحيرة أو القلق والشك ـ صار الاستمرار فى حياة الآدميين أو توالدهم صعبًا، واحتاجوا من ثم إلى المعرفة ليطمئنوا بها ويهدأوا وينصرفوا بهمة لاستعمال وممارسة حياتهم وتنميتها خلال الزمن المتاح لهم ما بقوا على هذه الأرض . وهذه المعرفة التى نحصلها أو نسلم بها ـ قد تعوزها الصحة أو الدقة، ولكن يشترط فيها أن تحقق لدينا جانبًا من الاطمئنان لها .. أى لتشجيعنا وتدفقنا فى الحياة بهمّة وعزم، ولأن نرتقى ونرقيها بإخلاص ما استطعنا .

• قال بعض العارفين فى الزمن الأول :

لا تؤاخِ مخادعًا خبيثًا ..

ولا تستنصر عاجزًا قليل الحيلة ..

ولا تستعن بكسول متثاقل فاتر !

• سئل ابن أدهم عن عظة يتعظ بها السائل، قال له : « إن الحزن على الدنيا طويل، والموت من الإنسان قريب، وللنفس منه فى كل وقت نصيب، وللبلى فى جسمه دبيب . فبادر بالعمل أن تُنادى بالرحيل، واجتهد بالعمل فى دار الممر »

• من اتجه إلى الله بكل كيانه، تقبله سبحانه فى رحابه، وغفر له ما تقدم من ذنوبه، وفتح له أبواب الهداية .

❁ ❁ ❁

• المجاهيل والاحتمالات والمصادفات التى تواجه الآدمى منذ ميلاده حتى وفاته، توجب عليه أن يتخذ من تجاربه شاحنًا لعقله وملكاته .. أن يمعن التفكر والتأمل، وأن يثرى ملكة التوقع لديه، ليكون أقدر على مواجهة مخبوءات المقادير وشتى الاحتمالات والمصادفات .. وليكون أكثر فهمًا للحياة وسننها، وأعمق رؤية لما يجرى فيها، وأصوب وأعقل نظرًا وتصرفًا فيما يداهمه من تقادير المصادفات .. فالاحتمالات وأحوالها لن تنتهى من عالم الآدمى، ولن تكون عنده « مفاتح الغيب » .. ما يملكه هو أن يعمل عقله وفكره، ونظره وإمعانه، ليكون أقرب إلى الفهم والتوقع وحسن التصرف، وأجدر بالحياة التى وهبها الخالق عز وجل له ولكافة الأحياء .

• لا ينعدم فى أى مجتمع، بدائيًا كان أم متحضرًا، أخلاقيًا أو لا ـ لا ينعدم فيه وجود نوايا طيبة صادقة .. ولكن هذه النوايا ـ الطيبة ـ لا تؤثر تأثيرًا

مجتمعيًّا، إلاّ إذا كان وجودها مصحوبًا بمناخ طيب وبحماس فى المجتمع يجتذب ويشجع أصحاب هذه النوايا على الإسهام المؤثر فى نهر الحياة، والخروج من بحر الكثرة السلبية الغارقة فى خضم المصالح والأغراض الخاصة والأهواء الشخصية، التى تجرف وتلهى هذه الكثرة عن الحق والصواب، بنواياها السيئة أو بنظرها القصير أو انكفائها وإخلادها إلى وهدة ما اعتادته ..

- الله تعالى نور السموات والأرض، شواهد ربوبيته ودلائل وحدانيته ظاهرة فى الكون بما أبدى من لطائف نوره فيها .. من نوره تبارك وتعالى وُجِدَ طعم الحياة، سبحانه : يهدى بنوره من يشاء : فى الرأس نور الوحى، وبين العينين نور المناجاة، وفى السمع نور اليقين، وفى اللسان نور البيان، وفى الصدر نور الإيمان، وفى الباقى نور التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير ..

سبحانه وتعالى جعل الإيمان والإسلام نورًا لأهله ..

وجعل التصديق نورًا فى قلب المؤمن، وفى عقله وبصيرته ..

وجعل جميع أخلاق المؤمنين أنوارًا، وعباداتهم نورًا يتقربون بها إليه سبحانه على قدر أنوارهم ..

- من خضع لله أعزه، ومن اتقاه وقاه، ومن أطاعه أنجاه، ومن أقبل إليه أرضاه، ومن توكل عليه كفاه، ومن سأله أعطاه .

❁ ❁ ❁

من همس المناجاة
وحديث الخاطر

(٣٠٠)

• لقد مرت قرون بين تخلخل مركز الاتزان فى موضعه القديم، وبين مفارقته الكلية لذلك الموضع .. وهى قرون من الانطفاء الجزئى ومن اليقظة الجزئية .. فى داخل وخارج الإنسان .. انطفاء فى الروح ويقظة فى المعرفة .. لم يتحقق ولم يمكن أن يتحقق باجتماعهما شىء خصب حىّ .. ولم يزوّد الآدميين برؤية شاملة سديدة لأنفسهم وعالمهم . بل أوقع عقلاءهم فى الحيرة وأغرق عوامهم فى السطحية والغفلة . نعم، ظهرت هنا وهناك فقاقيع غير قليلة من رؤى ومواقف واتجاهات ومذاهب .. معظمها عودة إلى الماضى القريب أو البعيد أو إلى الماضى الموغل فى القدم .. ارتفع صوتها ـ هذه الفقاقيع ـ وانتشر صيتها، ولكن لفترة ثم طواها النسيان . وما كان لها إلا أن تنطمر لأنها حوّمت وطافت بالسطح، وخاضت فى قضايا فكرية نظرية، فلم تبلغ أعماق الإنسان، ولم تمس منابعه ودفائنه التى تزوده بالطاقات النفسية لآماد.

• كما يشيع ويتفشى التواكل والسلبية والقعود والتهاون، ويتناقل كالعدوى بين من درجوا عليه واعتادوه، فإن النوايا الطيبة لا تعدم وسائلها التى تجمع وتؤلف بين أصحابها، وتساندهم وتواصل بينهم وتكرس وتربى تعاونهم إلى أن يكونوا قوة مؤثرة مسموعة، تقدم للمجتمع حصاد نواياها الطيبة الصادقة وصفوة جهودها ونشاطها وخدماتها وعطائها . تعارف وتجمع أصحاب هذه النوايا يتيح لهم التساند والتعاون، ويمهد لتقديمهم ما بوسعهم واستطاعتهم لبث الأمان والثقة فى المجتمع، وحماية

الأنفس والأعراض والأموال، واحترام القيم والمبادئ وأعراف الحياة التى يقرها العقلاء ويحاكيها العامة ومستورو الحال فى المجتمع .

- إن الناس طلبوا الدنيا بالغضب وبالرضا، فلم ينالوا منها حاجتهم .. أمّا من أراد الآخرة، فإن الناس منه فى راحة، لا ينخدع بذلها، ولا ينازعهم فى غيرها ..
هو من نفسه فى شغل، والناس منه فى راحة !
- طوبى لمن شغل قلبه بالخوف من الله، وبدنه بالدأب فى طاعة الله، ووجهه بالحياء من الله، ولسانه وقلبه وروحه بذكر الله .
- من أشد عيوب المرء خفاؤها عليه، فإن من خفى عليه عيبه فاته إصلاحه أو مداراته !

❁ ❁ ❁

- يجب أن نلتفت إلى أن ما يبدو لنا من إعجاز الكون، يرجع إلى أن تركيبه ـ فى نظرنا نحن ـ بعيد إلى أعماق وأغوار يتعذر علينا تتبعها إلى نهاياتها أو بداياتها، وإنْ كان على كل جيل من أجيالنا أن يجتهد فى فهم أقصى ما يمكنه فهمه منها بأسلم وأدق ما يستطيعه من الوسائل الصالحة للإدراك والفهم البشرى الذى لا يستطيع الوصول مهما حلق أو غاص أو جال خياله أو وهمه إلى ما هو أزلى.

وكما أن حياة الشجرة سلسلة متداخلة متصلة من الحيوات المختلفة شكلاً وموضوعًا، لا يلتفت لاحقها إلى سابقها ولا يتقيد به، اكتفاءً بواقعه الحاضر الذى يحياه .. كذلك حياة كل آدمى حىّ، بفارق واحد، هو المُثل والتقاليد والعادات الأخلاقية التى كونها وجمعها وتشبث بها خلال عمره الذى يذكره ويرتبط بحاضره ويلازمه .

• مرور الزمن يبعد ويباعد ويغير ويزيل كل ما حصل عليه الآدمى وشهده، ويحوله إلى ذكريات ومحفوظات منتقاة وملخصة فى الذاكرة المعرضة للضعف والنسيان، وهى تحفظها بعد أن تسربت منها الحدّة الحيّة وفتر وتشابه وبهت وشحب وانطفأ ما كان يصحبها وقت حدوثها من يقظة العاطفة والشعور بما هو حىّ وحاضر .

ولعل هذا مقصود فى تركيب الأحياء كافة، وفى تركيب الآدمى بخاصة، لتمكين نوعه من تعمير جانب من هذا الكون الهائل، بإتاحة المزيد من الفرص لتطوره وعيًا وجسدًا، وتوسيع الخبرات إلى أقصى حد، وبتسجيلها تسجيلاً نافعًا كافيًا بأدوات ووسائل أكثر دوامًا وضبطًا، وأقوى استيعابًا وحفظًا ـ من ذاكرة الآدمى وحدها .

• التصديق أول منازل الإيمان .

والإيمان قول وعمل .. وقيل : ما وقر فى القلب، وصدقه العمل .

• قال بعض العارفين :

الحياء خليل المؤمن والحلم وزيره، والعلم دليله، والعمل فقهه، والصبر أمير جنوده، والرفق والده، والبر أخوه .

• من أقوال الصوفى إبراهيم بن أدهم :

الهوى يردى، وحب الله يشفى .

ويزيل عن القلب هواه، إذا خاف من يعلم أنه يراه !

• من أصبح حزينًا على الدنيا، فقد أصبح ساخطًا على الله !

ومن أصبح شاكرًا، فقد أصبح راضيًا عارفًا لربه .

❁ ❁ ❁

إصدارات المؤلف

(١) أوراق ـ المركز المصرى للأبحاث والإعلام ـ ط ١٩٩٧ .
(٢) من هدى النبوة وفى مدرسة الرسول ـ المركز المصرى للأبحاث والإعلام ـ ط ١٩٩٧
(٣) من هدى القرآن وذلك الكتاب لاريب فيه ـ المركز المصرى للأبحاث والإعلام ـ ط١٩٩٨.
(٤) بشاير ـ المركز المصرى للأبحاث والإعلام ـ ط ٢٠٠٠
(٥) باسمك اللهم ـ المركز المصرى للأبحاث والإعلام ـ ط ٢٠٠٠
(٦) بسم الله ـ المركز المصرى للأبحاث والإعلام ـ ط ٢٠٠٠
(٧) نواب القروض ـ المركز المصرى للأبحاث والإعلام ـ ط ٢٠٠١
(٨) يارب ـ المركز المصرى للأبحاث والإعلام ـ ط ٢٠٠١.
(٩) قضية النقابيين ـ المركز المصرى للأبحاث والإعلام ـ ط ٢٠٠١
(١٠) أبو ذر الغفارى ـ روز اليوسف، هيئة الكتاب ـ ٢٠٠٢، ٢٠٠٥
(١١) قضية الجمارك الكبرى ـ المركز المصرى للأبحاث والإعلام ـ ط ٢٠٠٢
(١٢) مواقف ومشاهد إسلامية ـ دار الهلال ـ ط ٢٠٠٢
(١٣) ماذا أقول لكم ـ دار الشروق ـ ط أولى ٢٠٠٣
(١٤) عالمية الإسلام ـ مركز الأهرام للترجمة والنشر ـ ط ١، ط ٢ ـ ٢٠٠٣
(١٥) إبحار فى هموم الوطن والحياة ـ دار الشروق ـ ط ٢٠٠٤
(١٦) الإنسان العاقل وزاده الخيال ـ دار الشروق ـ ط ٢٠٠٤
(١٧) السيرة النبوية فى رحاب التنزيل ـ المجلد الأول ـ روز اليوسف ـ ط ٢٠٠٣، دار المعارف ـ ط ٢ ـ ٢٠١٣
(١٨) السيرة النبوية فى رحاب التنزيل ـ المجلد الثانى ـ روز اليوسف ـ ط ٢٠٠٣، دار المعارف ـ ط ٢ ـ ٢٠١٤
(١٩) السيرة النبوية فى رحاب التنزيل ـ المجلد الثالث ـ روز اليوسف ـ ط ٢٠٠٤، دار المعارف ـ ط ٢ ـ ٢٠١٤
(٢٠) السيرة النبوية فى رحاب التنزيل ـ المجلد الرابع ـ روز اليوسف ـ ط ٢٠٠٥، دار المعارف ـ ط ٢ ـ ٢٠١٤
(٢١) السيرة النبوية فى رحاب التنزيل ـ المجلد الخامس ـ المكتب المصرى الحديث ـ ط ٢٠٠٦، دار المعارف ـ ط ٢ ـ ٢٠١٤

(٢٢) السيرة النبوية فى رحاب التنزيل ـ المجلد السادس ـ دار المعارف ـ ٢٠١٤ .
(٢٣) الإنسان والكون والحياة ـ كتاب الهلال ـ أكتوبر ٢٠٠٥
(٢٤) تأملات غائرة ـ دار الشروق ـ ط ٢٠٠٦
(٢٥) الأديان والزمن والناس ـ كتاب الهلال ـ سبتمبر ٢٠٠٦
(٢٦) شجون وطنية ـ المكتب المصرى الحديث ـ ٢٠٠٦
(٢٧) الهجرة إلى الوطن ـ كتاب الهلال ـ نوفمبر ٢٠٠٧
(٢٨) رسالة المحاماة ـ دار الشروق ـ سبتمبر ٢٠٠٨
(٢٩) فى الوحدة والجماعة الوطنية ـ المكتب المصرى الحديث ـ سبتمبر ٢٠٠٨ .
(٣٠) فى رياض الفكر ـ كتاب الهلال ٢٠٠٨
(٣١) بين شجون الوطن وعطر الأحباب ـ المكتب المصرى الحديث ٢٠٠٨
(٣٢) من حصاد المحاماة ـ المجلد الأول ـ المكتب المصرى الحديث ٢٠٠٩
(٣٣) من حصاد المحاماة ـ المجلد الثانى ـ المكتب المصرى الحديث ٢٠٠٩
(٣٤) من حصاد المحاماة ـ المجلد الثالث ـ المكتب المصرى الحديث ٢٠٠٩
(٣٥) من حصاد المحاماة ـ المجلد الرابع ـ المكتب المصرى الحديث ٢٠٠٩
(٣٦) من حصاد المحاماة ـ المجلد الخامس ـ المكتب المصرى الحديث ٢٠٠٩
(٣٧) من حصاد المحاماة ـ المجلد السادس ـ المكتب المصرى الحديث ٢٠٠٩
(٣٨) من حصاد المحاماة ـ المجلد السابع ـ المكتب المصرى الحديث ٢٠٠٩
(٣٩) من حصاد المحاماة ـ المجلد الثامن ـ المكتب المصرى الحديث ٢٠٠٩
(٤٠) من حصاد المحاماة ـ المجلد التاسع ـ المكتب المصرى الحديث ٢٠٠٩
(٤١) من حصاد المحاماة ـ المجلد العاشر ـ المكتب المصرى الحديث٢٠٠٩
(٤٢) من حصاد المحاماة ـ المجلد الحادى عشر ـ المكتب المصرى الحديث٢٠١٠
(٤٣) من حصاد المحاماة ـ المجلد الثانى عشر ـ المكتب المصرى الحديث٢٠١٠
(٤٤) من حصاد المحاماة ـ المجلد الثالث عشر ـ المكتب المصرى الحديث٢٠١٠
(٤٥) من حصاد المحاماة ـ المجلد الرابع عشر ـ المكتب المصرى الحديث٢٠١٠
(٤٦) من حصاد المحاماة ـ المجلد الخامس عشر ـ المكتب المصرى الحديث ٢٠١٢
(٤٧) من حصاد المحاماة ـ المجلد السادس عشر ـ المكتب المصرى الحديث٢٠١٣
(٤٨) من حصاد المحاماة ـ المجلد السابع عشر ـ المكتب المصرى الحديث . ٢٠١٤
(٤٩) دولة الأيام ! ـ كتاب الهلال أول يونيو ٢٠٠٩
(٥٠) قد تكون الديانة تجسيدا للعقل . ترجمة وعرض عن كتاب حياة العقل للفيلسوف جورج سانتايانا ـ كتاب الهلال ـ نوفمبر ٢٠٠٩

(٥١) الأمن والأمان : قراءة فى الأمن المجتمعى فى الإسلام ـ المكتب المصرى الحديث ـ ٢٠٠٩

(٥٢) من تراب الطريق ـ الكتاب الأول ـ المكتب المصرى الحديث ٢٠٠٨

(٥٣) من تراب الطريق ـ الكتاب الثانى ـ المكتب المصرى الحديث ٢٠٠٩

(٥٤) من تراب الطريق ـ الكتاب الثالث ـ المكتب المصرى الحديث ٢٠١٠

(٥٥) من تراب الطريق ـ الكتاب الرابع ـ المكتب المصرى الحديث ٢٠١٠

(٥٦) من تراب الطريق ـ الكتاب الخامس ـ المكتب المصرى الحديث ٢٠١٢

(٥٧) من تراب الطريق ـ الكتاب السادس ـ المكتب المصرى الحديث ٢٠١٣

(٥٨) فى دروب الفكر والحياة . مطبوعات الهلال ـ نوفمبر ٢٠١٠

(٥٩) من همس المناجاة وحديث الخاطر (١) . المكتب المصرى الحديث ـ ٢٠١٠

(٦٠) من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢) المكتب المصرى الحديث ٢٠١٢

(٦١) من همس المناجاة وحديث الخاطر (٣) المكتب المصرى الحديث ٢٠١٤

(٦٢) الواقع أو الحقيقة ـ ترجمة عن كتاب طبيعة العالم المادى ـ للسير آرثر إدينجتون ومقالات أخرى للمترجم ـ كتاب الهلال ـ ديسمبر ٢٠١٠

(٦٣) من وحى الحج ـ سلسلة دراسات اسلامية ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ يناير ٢٠١١

(٦٤) فى صحبة محمد عبد الله محمد .المكتب المصرى الحديث ٢٠١١

(٦٥) كتابات غربية . كتاب الهلال ـ أغسطس ٢٠١١

(٦٦) من فيوض الإسلام ـ دار المعارف ـ ٢٠١٢

(٦٧) الإسلام يا ناس ! ـ المكتب المصرى الحديث ٢٠١٣

(٦٨) عبقرية إنكار الذات ـ أبو عبيدة بن الجراح ـ دار المعارف ٢٠١٣

❁ ❁ ❁

الفهــرس

الموضــــوع	الصفحة
تقديم	٣
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٠١)	٥
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٠٢)	٨
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٠٣)	١١
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٠٤)	١٤
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٠٥)	١٧
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٠٦)	٢٠
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٠٧)	٢٢
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٠٨)	٢٥
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٠٩)	٢٨
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢١٠)	٣١
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢١١)	٣٤
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢١٢)	٣٧
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢١٣)	٤٠
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢١٤)	٤٣
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢١٥)	٤٦
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢١٦)	٤٩
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢١٧)	٥٢
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢١٨)	٥٥
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢١٩)	٥٨
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٢٠)	٦١
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٢١)	٦٣
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٢٢)	٦٦
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٢٣)	٦٨

من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٢٤)	٧٠
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٢٥)	٧٣
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٢٦)	٧٧
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٢٧)	٨١
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٢٨)	٨٤
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٢٩)	٨٧
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٣٠)	٩٠
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٣١)	٩٣
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٣٢)	٩٦
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٣٣)	٩٩
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٣٤)	١٠٢
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٣٥)	١٠٥
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٣٦)	١٠٨
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٣٧)	١١١
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٣٨)	١١٤
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٣٩)	١١٧
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٤٠)	١٢٠
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٤١)	١٢٣
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٤٢)	١٢٦
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٤٣)	١٢٩
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٤٤)	١٣٢
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٤٥)	١٣٥
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٤٦)	١٣٨
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٤٧)	١٤١
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٤٨)	١٤٤
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٤٩)	١٤٧
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٥٠)	١٥١

من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٥١)	١٥٤
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٥٢)	١٥٧
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٥٣)	١٦٠
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٥٤)	١٦٣
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٥٥)	١٦٦
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٥٦)	١٦٩
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٥٧)	١٧٢
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٥٨)	١٧٥
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٥٩)	١٧٨
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٦٠)	١٨١
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٦١)	١٨٤
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٦٢)	١٨٧
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٦٣)	١٩٠
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٦٤)	١٩٢
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٦٥)	١٩٥
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٦٦)	١٩٧
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٦٧)	٢٠٠
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٦٨)	٢٠٤
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٦٩)	٢٠٨
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٧٠)	٢١٢
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٧١)	٢١٦
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٧٢)	٢٢٠
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٧٣)	٢٢٤
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٧٤)	٢٢٨
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٧٥)	٢٣١
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٧٦)	٢٣٤
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٧٧)	٢٣٨

من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٧٨)	٢٤٢
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٧٩)	٢٤٦
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٨٠)	٢٤٩
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٨١)	٢٥٣
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٨٢)	٢٥٦
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٨٣)	٢٥٩
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٨٤)	٢٦٢
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٨٥)	٢٦٥
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٨٦)	٢٨٦
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٨٧)	٢٧١
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٨٨)	٢٧٤
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٨٩)	٢٧٧
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٩٠)	٢٨٠
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٩١)	٢٨٣
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٩٢)	٢٨٦
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٩٣)	٢٨٩
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٩٤)	٢٩٢
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٩٥)	٢٩٥
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٩٦)	٢٩٨
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٩٧)	٣٠١
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٩٨)	٣٠٤
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٢٩٩)	٣٠٧
من همس المناجاة وحديث الخاطر (٣٠٠)	٣١٠
إصـــــدارات المـــؤلف	٣١٣

رقم الإيـــداع ٢٢٤٦ / ٢٠١٤
الترقيــم الدولي I.S.B.N.978- 977-209-249-9

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٩٧]

﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [الحج: ٢٧]

عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة». [متفق عليه، أخرجه البخاري ومسلم مالك في الموطأ والبيهقي وأصحاب السنن].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺقال: «عمرة في رمضان تعدل حجة» (١). أو «حجة معي» متفق عليه.

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي].

---

(١) في الأجر.

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولـــى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

رقـــم الايـــداع ٢٠٠٣ / ٣٠١٩	
الترقيم الدولـي I.S.B.N. 977-209-088-0	

المكتب المصري الحديث

www.almaktabalmasry.com
E-mail : info@almaktabalmasry.com
almaktabalmasry@hotmail.com

القـــاهـــرة : ٢ شارع شريف عمارة اللواء ت : ٣٩٣٤١٢٧

الأسكندريـــة : ٧ شـــارع نوبـــار المنشيـــة ت : ٤٨٤٦٦٠٢